



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى

كلية التربية  
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

## الرحلة في طلب العلم عند بعض المرابين المسلمين في العصر العباسي، وتطبيقاتها التربوية

إعداد الطالب

عبد الله بن علي بن خضران الحارثي  
الرقم الجامعي (٤٢٦٨٨٠٨٥)

إشراف الأستاذ الدكتور

محمود محمد كسناوي

الأستاذ بقسم التربية الإسلامية والمقارنة  
كلية التربية بجامعة أم القرى

العام الدراسي - الفصل الدراسي الثاني لعام  
١٤٣٠هـ - ١٤٣١هـ

بحث مكمل للحصول على درجة الماجستير في قسم التربية الإسلامية والمقارنة

Her&

( ﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ

فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا

رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ) [سورة التوبة]

## ملخص الدراسة

اسم الباحث: عبد الله بن علي بن خضران الحارثي.  
الدرجة: ماجستير في قسم التربية الإسلامية والمقارنة  
عنوان الدراسة: الرحلة في طلب العلم عند بعض المرين المسلمين في العصر  
العباسي وتطبيقاتها التربوية.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى بيان أهمية الرحلة في طلب العلم عند المسلمين قديمًا والتعريف بالعصر العباسي الأول والثاني سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وعلميًا، والتعريف بالأئمة: الشافعي وابن حنبل والبخاري، وبرحلاتهم وأهم نتائج تلك الرحلات، وبيان أهم التطبيقات التربوية لهذه الرحلات.

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهجين التاريخي والوصفي.  
فصول الدراسة: تتكون من سبعة فصول:

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة، ويشمل المقدمة وخطة الدراسة.  
الفصل الثاني: نبذة عن العصر العباسي الأول والثاني، من خلال بيان الحالة السياسية، والحالة الاقتصادية، والحالة الاجتماعية، والحالة العلمية.

الفصل الثالث: الرحلة في طلب العلم: ويتناول في ثلاثة مباحث: فضل طلب العلم، والرحلة: تعريفها ومجالاتها في الإسلام، والرحلة في طلب العلم.

الفصل الرابع: الإمام الشافعي، ويتناول في ثلاثة مباحث: التعريف بالإمام الشافعي ورحلاته في طلب العلم ونتائج تلك الرحلات.

الفصل الخامس: الإمام أحمد بن حنبل، ويتناول في ثلاثة مباحث: التعريف بالإمام أحمد ورحلاته في طلب العلم ونتائج تلك الرحلات.

الفصل السادس: الإمام البخاري، ويتناول في ثلاثة مباحث: التعريف بالإمام البخاري ورحلاته في طلب العلم ونتائج تلك الرحلات.

الفصل السابع: بعض التطبيقات التربوية لرحلات الأئمة الثلاثة.  
الخاتمة: وتشمل: أهم النتائج والتوصيات والمقترحات:

من أهم النتائج: ١ - شهد العصر العباسي الأول والثاني حركة علمية نشطة.  
٢ - اتضح من الجهد الذي قام به أئمة الحديث أن الرحلة في طلب العلم وسيلة من وسائل التعليم الذاتي الذي تنادي به بعض المؤسسات التربوية حاليًا.

٣ - الرحلة في طلب العلم على الصفة التي قام بها هؤلاء الأئمة هي من مزايا الأمة المحمدية.

٤ - تعرف هؤلاء الأئمة على أنماط الشعوب وثقافتهم كما ازدادوا علمًا وخبرة.  
ومن أهم التوصيات:

١ - تتبع سير السلف الصالح من علماء الأمة والتعرف على أحوالهم وطريقة طلبهم للعلم. مع عمل بحوث علمية في ذلك.

٢ - الالتزام بمبادئ الإسلام السمحة والتخلق بالأخلاق الفاضلة والصفات النبيلة.  
٣ - الاهتمام بطلب العلم وإدراك أهميته ثم العمل به مع إخلاص النية لله تعالى.

## Abstract

**Researcher :** Abdullah Ali Khadran Al Harthi

**Title of The Study :** The journey in seeking knowledge at some Muslim educators in the Abbasid period & its educational applications .

**Aims of The Study :** This study aims at clarifying the importance of the journey in seeking knowledge at the ancient Muslims . Moreover , identifying the first & second Abbasid period , politically , economically , socially & scientifically . Also, to identify Al Shafi , Ibn Hanbal , Al Boukhari Imams , their voyages & the most important results . Furthermore , to clarify the most important applications of these voyages .

**Methodology of The Study :** The study depended on the historical & descriptive method .

**Chapters of The Study :** It consists of seven chapters

**The first chapter :** It is the general frame of the study . It has the introduction & plan of the study .

**The second chapter :** It has a brief about the first & second Abbasid period through clarifying the political , economical , social & scientific condition .

**The third chapter :** The voyage at seeking knowledge : It has three searches . The first one is about the merit of seeking knowledge . As for the second one , it is about the voyage , its definition & fields in Islam . The third one is about the journey in seeking knowledge .

**The fourth chapter :** It is about Imam Al Shafi . It has three searches . As for the first one , it is about identifying Imam Al Shafi, his voyages in seeking knowledge & the results of these voyages .

**The fifth Chapter :** It is about Imam Ahmad Ibn Hanbal . It consists of three searches . The first one is about identifying the Imam . The second one is about his voyages in seeking knowledge & the results of these voyages .

**The sixth Chapter :** It is about Imam Al Boukhari . It has three searches . As for the first one , it is about identifying Al Boukhari, his voyages in seeking knowledge & the results of these voyages .

**The seventh Chapter :** It is about some educational applications of the voyages of the three Imams .

### **From The Most Important Results :**

- 1- The first & second Abbasid period have an active scientific movement .
- 2- It is clarified , from the effort which performed by the Imams , that the voyage in seeking knowledge is a method from self teaching methods with which some educational institutions are calling for .
- 3- The way which the Imams used in performing the journey of seeking knowledge is from the characteristics of the Mohammadian nation .
- 4- These Imams knew the styles & cultures of the nations , as well as they gained more knowledge & experience .

### **From The Most Important Recommendations :**

- 1- To track the way of our good ancestor , and knowing their conditions & their methods of seeking knowledge . This should be accompanied with making scientific researches for that .
- 2- To be complied with the Islamic principles and the noble moralities .
- 3- Paying attention to seeking knowledge & knowing its importance . Then , to work with it with sincerity of faith to Allh .



## إهداء

- ✽ إلى والدي رحمه الله.. المربي الفاضل... الذي كان يحثني دائماً على طلب العلم والصبر عليه.
- ✽ إلى والدتي الحبيبة - شفاها الله وعافاها -
- ✽ إلى زوجتي الغالية... والأبناء الأعزاء... فلذات كبدي
- ✽ إلى إخوتي وأخواتي
- ✽ إلى كل طالب علم يتطلع إلى المعالي دون أن يأبه من الصعاب، يخلق في سماء المعرفة ليكتشف العوالم ويغوص في بحورها ليلتقط الدرر.



## شكر وتقدير

بداية يشكر الباحث المولى العلي القدير على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة، والذي له الفضل كل الفضل في الوصول إلى ما وصل إليه هذا البحث، وأسأله العظيم المنان وأرجوه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به إنه قريب سميع مجيب الدعاء.

كما يدون الباحث بشعور غامر بالوفاء شكره الخالص والعميق لقسم التربية الإسلامية الممثل في رئيسه وأعضاء هيئة التدريس فيه، وأخص بالشكر العميق سعادة الأستاذ الدكتور/ محمود محمد كسناوي، الذي أشرف على هذه الرسالة، والذي كان لرعايته الدائمة وتوجيهاته القيمة أكبر الأثر في إنجاز هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لسعادة الأستاذين الفاضلين اللذين تشرفت بقبولهما مناقشة هذا البحث، سعادة الدكتور الفاضل/ نايف حامد همام الشريف، وسعادة الدكتور الفاضل/ حامد سالم الحربي، فجزاهم الله تعالى عني وعن طلاب العلم خير الجزاء.

كما أتوجه بشكري وتقديري للأستاذين الفاضلين، الأستاذ الدكتور/ محمد جميل خياط، والأستاذ الدكتور/ عبد الله حريري، على تحكيمهما خطة البحث. كما أتوجه بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور/ السعيد محمود عثمان، على توجيهاته الكريمة، فجزاه الله خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر والتقدير للأستاذة/ خيرية جميل السليمانى، التي أثرت الرسالة بأفكارها القيمة، فجزاها الله خيراً.

كما لا يفوتني أن أسطر شكري وتقديري لإخواني وأخواتي الأشقاء على وقفاتهم الجميلة ودعمهم لي حتى إتمام البحث، فجزاهم الله خيراً.

وفي الختام أشكر كل من ساهم معي في إخراج هذا البحث على هذه الصورة، سائلاً المولى العلي القدير أن يعظم لهم الأجر، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

# ة ي

## الموضوع

### الصفحة

ج	ملخص الدراسة بالعربي	.....
د	ملخص الدراسة بالإنجليزي	.....
هـ	إهداء	.....
و	شكر وتقدير	.....
١	الفصل الأول: الإطار العام للدراسة	.....
٢	المقدمة	.....
٤	موضوع الدراسة	.....
٦	أسئلة الدراسة	.....
٧	أهداف الدراسة	.....
٧	أهمية الدراسة	.....
٨	منهج الدراسة	.....
٩	حدود الدراسة	.....
١٠	مصطلحات الدراسة	.....
١٠	الدراسات السابقة	.....
١٣	الفصل الثاني: نبذة عن العصر العباسي الأول والثاني	.....
١٤	المبحث الأول: الحالة السياسية	.....
١٤	أ - خلفاء العصر العباسي الأول	.....
٢٩	ب - خلفاء العصر العباسي الثاني	.....
٤٣	المبحث الثاني: الحالة الاقتصادية في العصر العباسي الأول والثاني	.....
٥٠	المبحث الثالث: الحالة الاجتماعية في العصر العباسي الأول والثاني	.....
٥٨	المبحث الرابع: الحالة العلمية في العصر العباسي الأول والثاني	.....
٥٨	١ - انتشار حركة الترجمة	.....
٦٢	٢ - تطور الحياة الاقتصادية	.....
٦٤	٣ - استقرار الحياة الاجتماعية	.....
٦٤	٤ - الرحلة في طلب العلم	.....
٦٥	٥ - تشجيع الخلفاء والولاة للعلماء ولطلبة العلم	.....
٦٧	المؤسسات التربوية في العصر العباسي الأول والثاني	.....
٦٧	١- الكُتَّاب	.....
٦٨	٢ - المساجد	.....
٧١	٣ - المكتبات	.....

٧٤	٤ - مجالس المناظرة
٧٨	الفصل الثالث: الرحلة في طلب العلم
٧٩	المبحث الأول: فضل طلب العلم
٨٨	المبحث الثاني: الرحلة تعريفها ومجالاتها في الإسلام
٨٨	التعريف بالرحلة
٨٩	مجالات الرحلة في الإسلام
٩٠	أ - الرحلات الدينية
٩٠	١ - الهجرة في سبيل الله
٩٣	٢ - الجهاد في سبيل الله
٩٦	٣ - التفكير في مخلوقات الله
٩٩	٤ - أداء الحج والعمرة
١٠١	٥ - الدعوة إلى الله
١٠٤	٦ - بر الوالدين وصلة الأرحام
١٠٦	٧ - إصلاح ذات البين
١٠٧	ب: الرحلات العلمية
١٠٧	١ - الرحلة في طلب العلم
١٠٧	٢ - الرحلات الجغرافية
١٠٨	٣ - الرحلات الاستكشافية
١٠٨	ج - الرحلات الرسمية
١١١	د - الرحلات الشخصية
١١١	١ - الاستشفاء وطلب الدواء
١١٢	٢ - الرحلة للتجارة
١١٦	آداب الرحلة في طلب العلم
١١٦	أ - آداب قبل الرحيل
١١٦	١ - إخلاص النية لله تعالى
١١٧	٢ - صلاة الاستخارة
١١٨	٣ - التخطيط للرحلة
١١٨	ب - آداب أثناء الرحيل
١١٨	١ - اختيار الرفقة الصالحة
١١٩	٢ - اجتناب مجالس أهل الملل المختلفة والأهواء والبدع
١١٩	٣ - التحلي بالأخلاق الفاضلة
١٢١	أهمية الرحلة في طلب العلم
١٢٥	نماذج ممن رحلوا في طلب العلم
١٢٥	١ - رحلة موسى إلى الخضر عليهما السلام
١٢٦	٢ - رحلة الإسراء والمعراج
١٢٨	٣ - رحلات الوفود إلى النبي صلى الله عليه وسلم لطلب العلم

١٢٨	أ - وفد عبد قيس .....
١٢٩	ب - وفد بني تميم، وأهل اليمن .....
١٢٩	٤ - رحلات بعض الصحابة رضوان الله عليهم .....
١٣٠	٥ - رحلات بعض التابعين رحمهم الله لطلب العلم .....
١٣٠	أ - أبو العالية رفيع بن مهران .....
١٣١	ب - مكحول الدمشقي .....
١٣٢	الفصل الرابع: الإمام الشافعي .....
١٣٣	المبحث الأول التعريف بالإمام الشافعي .....
١٣٣	اسمه ونسبه .....
١٣٤	مولده ونشأته .....
١٣٦	طلبه للعلم .....
١٣٨	مؤلفاته .....
١٣٩	وفاته .....
١٤٠	المبحث الثاني: رحلاته في طلب العلم .....
١٤٤	رحلته إلى المدينة .....
١٤٤	رحلته الثانية إلى العراق .....
١٦٤	رحلته إلى مصر .....
١٧١	المبحث الثالث: نتائج رحلاته .....
١٧١	أولاً: نتائج رحلته إلى البادية .....
١٧٢	ثانياً: نتائج رحلته إلى المدينة النبوية .....
١٧٢	ثالثاً: نتائج رحلته إلى اليمن .....
١٧٢	رابعاً: نتائج رحلته إلى العراق .....
١٧٣	خامساً: نتائج رحلته إلى مصر .....
١٧٣	بعض المبادئ التي كان يتحلى بها الإمام الشافعي رحمه الله .....
١٧٦	الفصل الخامس: الإمام أحمد بن حنبل .....
١٧٧	المبحث الأول: التعريف بالإمام أحمد بن حنبل .....
١٧٧	اسمه ونسبه .....
١٧٧	مولده ونشأته .....
١٧٨	طلبه للعلم .....
١٨١	مؤلفاته .....
١٨٢	مرضه ووفاته .....
١٨٤	المبحث الثاني: رحلاته في طلب العلم .....
١٨٤	رحلاته داخل العراق .....
١٨٤	١ - رحلته إلى الكوفة .....
١٨٧	٢ - رحلته إلى البصرة .....
١٩٠	٣ - رحلته إلى واسط .....

١٩١	٤ - رحلته إلى الرقة
١٩٢	رحلاته الخارجية
١٩٢	١ - رحلته إلى مكة المكرمة
١٩٦	٢ - رحلته إلى اليمن
٢٠٢	<b>المبحث الثالث: نتائج رحلاته</b>
٢٠٢	أولاً: نتائج رحلاته للكوفة
٢٠٣	ثانياً: نتائج رحلته إلى البصرة
٢٠٣	ثالثاً: نتائج رحلته إلى واسط
٢٠٤	رابعاً: نتائج رحلته إلى الرقة
٢٠٤	خامساً: نتائج رحلاته إلى مكة المكرمة
٢٠٤	نتائج رحلته لليمن
٢٠٥	<b>بعض المبادئ التي كان يتحلى بها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله</b>
٢١٩	الفصل السادس: الإمام البخاري
٢٢٠	<b>المبحث الأول: التعريف بالإمام البخاري</b>
٢٢٠	اسمه ونسبه
٢٢٠	مولده ونشأته
٢٢١	طلبه للعلم
٢٢٤	مؤلفاته
٢٢٥	وفاته
٢٢٧	<b>المبحث الثاني: رحلاته في طلب العلم</b>
٢٣٠	رحلاته إلى الحجاز
٢٣٤	رحلاته إلى العراق
٢٣٨	رحلته إلى الجزيرة
٢٣٩	رحلته إلى الري
٢٣٩	رحلته إلى الشام
٢٤١	رحلته إلى مصر
٢٤٢	<b>المبحث الثالث: نتائج رحلات الإمام البخاري</b>
٢٤٤	<b>بعض المبادئ التي كان الإمام البخاري رحمه الله يتحلى بها</b>
٢٤٩	الفصل السابع: بعض التطبيقات التربوية لرحلات الأئمة الثلاثة
٢٥٦	الخاتمة
٢٥٩	الملاحق
٢٦٤	الفهارس
٢٦٥	فهرس الآيات
٢٦٩	فهرس الأحاديث النبوية
٢٧٢	فهرس المصادر والمراجع





الفصل الأول  
خطة الدراسة

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، ولي المتقين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن التربية الإسلامية تهتم لمسلم اهتمامًا بالغًا، فهي تربيته على المعالي، وترفع همته ليكون متطلعًا دائمًا للغايات الكبرى والأهداف النبيلة.

لذا تُعرّف بأنها: «تنمية شخصية الإنسان في جوانبها الجسمية والروحية والعقلية، وتوجيه قدراته وإمكانياته في ضوء المبادئ والمفاهيم والقيم المستمدة من الأصول الإسلامية بهدف إعداد الإنسان الصالح المصلح، والمجتمع العامل المنتج، والأمة الإسلامية الخيرة»<sup>(١)</sup>.

فمن أساليبها في تنمية شخصية الإنسان، وتوجيه قدراته حثه على طلب العلم الذي هو سبب في خشية الله تعالى، فقد قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) رَبِّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢).

ولقد شرف الله تعالى أهل العلم بشهادتهم مع شهادته جل وعلا وشهادة الملائكة بوحدانيته، قال تعالى: ( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) (٣).

قال السعدي في تفسير هذه الآية: «هذا تقرير من الله للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له وهي شهادته تعالى وشهادة خواص الخلق وهم الملائكة وأهل العلم»<sup>(٤)</sup>.

يقول الغزالي: «إذا نظرت إلى العلم رأيت لذيذًا في نفسه، فيكون مطلوبًا لذاته، ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى،

(١) آل عمرو، محمد بن عبد الله، الشيخ، محمود يوسف (١٤٢٨هـ)، أصول التربية الإسلامية، (٣ط)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض (ص ٢٧).

(٢) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٤) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٤٢٢هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن الجوزي، الرياض (ص ١٢٤).

ولا يُتوصل إليه إلا به»<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم أن الله تعالى أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بسؤال ربه أن يزيده من العلم، فقال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)<sup>(٢)</sup>.

فرغب النبي صلى الله عليه وسلم أمته في طلب العلم، وبيّن لهم فضله، فقد روى ابن ماجه رحمه الله بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرْبَةً مِنَ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَادَرَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَنُزِلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغُشِّيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»<sup>(٣)</sup>.

فمن هذا المنطلق طلب كثير من علماء الأمة العلم في بلادهم، ونهلوا من مشايخهم، حتى إذا أخذوا ما عندهم من علم رحلوا إلى غيرهم يطلبون المزيد، مرفوعة همهم، مشدودة عزائمهم، سامية مقاصدهم، صابرين على ما يواجهون من صعاب، متطلعين إلى المعالي، مستغلين أوقاتهم خير استغلال، يقطعون المسافات الشاسعة، والصحاري المقفرة، من أجل طلب العلم.

ومن هؤلاء العلماء: محمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري، الذين رحلوا من بلدانهم لطلب العلم، مستهينين بالصعوبات متجاوزين العقبات، تحذوهم الرغبة القوية، والهمة العالية، فما أحوج طلاب العلم في هذا العصر إلى همة كهمتهم، وصبر كصبرهم، ودقة وثبت كدقتهم وثبتهم، وبذل وعطاء كبذلهم وعطائهم، هذا الذي حدا بالباحث أن يبحث في سيرهم، ويتتبع أخبارهم، ويقدم لطلاب العلم النموذج الأمثل لطالب العلم.

### موضوع الدراسة:

تُعدُّ الرحلة في طلب العلم من الأمور التي اهتم بها علماء الأمة قديماً، وهي من أساسيات منهجهم في طلب العلم لاسيما وهم يطلبون الحديث الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

(١) الغزالي، محمد بن محمد (١٤٢٥)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت (ص ٢٥).

(٢) سورة طه، آية: ١١٤.

(٣) ابن ماجه، محمد بن يزيد، (د ت)، سنن ابن ماجه، مكتبة الرشد، الرياض، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، (ص ٥٧)، حديث رقم (٢٢٥).

فإذا فرغ الطالب من طلب العلم في بلده ارتحل يطلب المزيد مدرِّكًا أن في رحلته توسعة للمدارك والأفاق العلمية لديه.

يقول ابن جماعة في وصف آداب طالب العلم في نفسه: «أن يبادر شبابه وأوقات عمره إلى التحصيل، ولا يغتر بخدع التسوييف والتأمل؛ فإن كل ساعة تمضي من عمره لا بدل لها ولا عوض عنها، ويقطع ما يقدر عليه من العلائق الشاغرة والعوائق المانعة عن تمام الطلب وبذل الاجتهاد وقوة الجد في التحصيل؛ فإنها كقواطع الطريق ولذلك استحب السلف التغرب عن الأهل والبعد عن الوطن؛ لأن الفكرة إذا توزعت قصرت عن الحقائق وغموض الدقائق»<sup>(١)</sup>.

ولقد تمعَّن الباحث في رحلات بعض المرين في طلب العلم، أمثال الإمام محمد بن إدريس الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام محمد بن إسماعيل البخاري، فوجدها مليئة بالمصاعب والمتاعب وصعوبة وسائل الارتحال، هذا على ما بهم من فاقة وشظف العيش، ومع ذلك صبروا وتعلموا وأنتجوا.

أولاً: يقول الذهبي عن الإمام الشافعي في سير أعلام النبلاء: «وارتحل – وهو ابن نيف وعشرين سنة وقد أفتى وتأهل للإمامة – إلى المدينة فحمل عن مالك بن أنس (الموطأ) عرضه من حفظه – وقيل: من حفظه لأكثره – وحمل عن إبراهيم بن أبي يحيى فأكثر، وعبد العزيز الدراوردي، وعطاف بن خالد، وإسماعيل بن جعفر، وإبراهيم بن سعد وطبقتهم، وأخذ باليمين عن مطرف بن مازن وهشام بن يوسف القاضي وطائفة، وبيغداد عن محمد بن الحسن فقيه العراق ولازمه وحمل عنه وقر بغير وعن إسماعيل بن عليه وعبد الوهاب الثقفي وخلق»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: يقول ابن الجوزي في ذكر ابتداء الإمام أحمد في طلب العلم ورحلته فيه: «ابتدأ أحمد في طلب العلم من شيوخ بغداد ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة وكتب عن علماء كل بلد»<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: يقول النووي عن الإمام البخاري رحمه الله: «وروينا عن الخطيب البغدادي رحمه الله قال: رحل البخاري رحمه الله تعالى إلى محدثي الأمصار وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها وبالبحر والشام ومصر وورد بغداد دفعات، وروينا من جهات عن جعفر بن محمد القطان قال: سمعت البخاري يقول:

(١) ابن جماعة، محمد بن إبراهيم (١٤٢٤هـ)، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، دار الضياء، طنطا (ص ١٧٠).

(٢) الذهبي، محمد بن عثمان (٢٠٠٤م)، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، لبنان (ص ٣٢٧٩).

(٣) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٢٤هـ)، تهذيب مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تهذيب: عبد القادر الغامدي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة (ص ٢٢).

كتبت عن ألف شيخ من العلماء وزيادة وليس عندي حديث إلا أذكر إسناده»<sup>(١)</sup>.  
وبهذا يتبلور للباحث موضوعه الذي سيفصله إن شاء الله تعالى، وهو: (الدور  
التربوي للرحلة في طلب العلم صدر العصر العباسي (١٣٢هـ - ٣٣٤هـ) -  
نماذج تطبيقية).  
أسئلة الدراسة:

يمكن تحديد موضوع الدراسة من خلال السؤال الرئيس:  
ما الرحلة في طلب العلم عند بعض المرين المسلمين في العصر العباسي  
(١٣٢هـ - ٣٣٤هـ)؟ وما تطبيقاتها التربوية؟

ويتفرع من هذا السؤال عدد من الأسئلة هي:

- س ١: ما مدى اهتمام العباسيون الأوائل في العصرين الأول والثاني بالعلم؟
- س ٢: ما مفهوم الرحلة في طلب العلم في ضوء التربية الإسلامية؟
- س ٣: ما رحلات الأئمة المرين: الشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري؟ وما نتائج تلك الرحلات؟
- س ٤: ما التطبيقات التربوية لرحلات الأئمة: الشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري في طلب العلم؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الآتي:

- ١- بيان أهمية الرحلة في طلب العلم عند المرين المسلمين قديماً.
  - ٢- التعريف بالعصر العباسي الأول والثاني، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعلمياً.
  - ٣- التعريف بالأئمة الشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري.
  - ٤- التعريف برحلات الأئمة الشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري في طلب العلم، وإبراز أهم نتائج تلك الرحلات.
  - ٥- بيان أهم التطبيقات التربوية لرحلات الأئمة الشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري.
- أهمية الدراسة:

(١) النووي، محب الدين بن شرف (١٤٢٦هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار النفائس، لبنان (١٢٤/١).

تتضح أهمية الدراسة فيما يلي:

- ١ - بيان ما وصل إليه العلم من ازدهار وانتشار في العصر العباسي.
- ٢ تعريف طلاب العلم بمدى ما لقيه المرينيين المسلمون من وِصَابٍ وَنَصَبٍ في تحصيلهم العلمي.
- ٣ - بيان أهمية الصبر والتحمل في طلب العلم المقرون بعلو الهمة.
- ٤ - الاقتداء بالصالحين في طلبهم للعلم، واتباع منهجيتهم الموسومة بالحرص والدقة والتثبیت.

يقول عبد الفتاح أبو غدة: «وكنت أرى سطور تلك الأخبار والوقائع دروساً صامتة عظيمة يجب أن يطلع عليها شبابنا المثقف، وجيلنا المتعلم، واللفيف الغامط لتراثه العظيم ليدركوا منها منزلة هذه العلوم الإسلامية التي أُلقيت بين أيديهم دانية القطوف، طيبة الثمرات والجنى، فيعرفوا قيمتها وقيمة الجهود الجبارة الهائلة التي بذلت في تحصيلها وتدوينها ونقلها وضبطها وتلقيها»<sup>(١)</sup>.

منهج الدراسة:

«منهج البحث هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة»<sup>(٢)</sup>.

لذلك فقد استخدم الباحث في دراسته:

### ١ - المنهج التاريخي:

«يهتم الأسلوب التاريخي أو الأسلوب الوثائقي بجمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة الوثائق والسجلات والآثار، ويُستخدم هذا الأسلوب في دراسة الظواهر والأحداث والمواقف التي مضى عليها زمن قصير أو طويل، فهو يرتبط بدراسة الماضي وأحداثه»<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا فقد استخدم الباحث هذا المنهج وذلك بالرجوع إلى المصادر التي تحدثت في التاريخ الإسلامي وسير العلماء.

(١) أبو غدة، عبد الفتاح (١٤٢٦هـ)، صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، (ط٨)، شركة البشائر، بيروت (ص ٢٠).

(٢) العساف، صالح بن حميد (١٤٢٤هـ)، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، (ط٣)، مكتبة العبيكان، الرياض (ص ٩٠).

(٣) عبيدات، ذوقان (١٤٢٤هـ)، البحث العلمي، إشراف للنشر والتوزيع، جدة (ص ٢٣٣).

## ٢ - المنهج الوصفي:

وهو ما يقوم على وصف الظواهر الطبيعية والاجتماعية للوصول إلى إثبات الحقائق العلمية.

والمنهج الوصفي «مكمل لمنهج الاسترداد التاريخي الذي يصف الظواهر في تطورها الماضي حتى يصل بها إلى الوقت الحاضر»<sup>(١)</sup>.

لذا قام الباحث بانتقاء الظواهر التي تخدم الغرض من هذه الدراسة ليتوصل بها إلى حقيقة علمية.

### حدود الدراسة:

اقتصرت الباحث على ثلاثة من العلماء الذين اشتهروا بكثرة رحلاتهم في طلب العلم وهم: محمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري، هؤلاء العلماء عاشوا في العصر العباسي الأول والثاني (١٣٢هـ - ٣٣٤هـ).

### مصطلحات الدراسة:

**الرحلة:** في اللغة جاء في لسان العرب: «الرحل: مركب البعير والناقة، وجمعه أرحل ورحال، والرحول والرحولة من الأبل: التي تصلح أن ترحل، وهي الرحلة تكون للذكر والأنثى، فاعلة بمعنى مفعولة. وارتحل البعير رحلة: سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل: ارتحل القوم عن المكان ارتحالاً، ورحل عن المكان يرحل وهو رحل من قوم رُحِّل، والرتحل، والارتحال: الانتقال، والرحلة: اسم للارتحال والمسير»<sup>(٢)</sup>.

**واصطلاحاً:** عرّف الغزالي السفر بأنه: «السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه، أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه... - ويضيف رحمه الله - اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة»<sup>(٣)</sup>.

ويعرف الباحث الرحلة بحركة ينتج عنها الانتقال من مكان إلى مكان لهدفٍ معين

### الدراسات السابقة:

من خلال إطلاع الباحث واستفساره من معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى والذي يتصل بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض فإنه لم يجد دراسة تناولت موضوع الرحلات العلمية، إلا أن

(١) حسين، غازي (١٤٠٤هـ)، مناهج البحث، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (ص ٨٢).

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، (٢٠٠٤م)، لسان العرب، (ط ٣)، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان (٦ /).

(٣) الغزالي، مرجع سابق، (٦٨٧/١).

هناك دراستين تناولت الموضوع من بعض جوانبه.

### الدراسة الأولى: دراسة جمعان أحمد الديبسي (١٤١٥هـ) (١).

#### هدف الدراسة:

- ١- التعرف على الجانب التربوي في فكر الإمام أحمد بن حنبل.
- ٢- التعرف على أثر العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الفكر التربوي لأحمد بن حنبل.
- ٣- استخلاص بعض التطبيقات التربوية من فكر الإمام أحمد بن حنبل.
- ٤- مقارنة الفكر التربوي للإمام أحمد بن حنبل بالفكر التربوي المعاصر ومدى الاستفادة من أفكاره التربوية في العصر الحاضر.

#### منهج الدراسة:

المنهج التاريخي والمنهج الاستنباطي.

#### أهم نتائج الدراسة:

- ١- قد تحمل الإمام أحمد بن حنبل في سبيل العلم كثيراً وعانى من صعوبة التنقل لعدم وجود ما يشترى به دابة لركوبها أثناء السفر، فإذا انقطعت به المئونة اشتغل حمالاً، كل ذلك ليرحل في طلب العلم.
- ٢- عم الرخاء والازدهار الاقتصادي أرجاء الدولة الإسلامية في العصر الأول من الخلافة العباسية وخاصة في عهد الرشيد.
- ٣- امتاز الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله على أقرانه بالنبوغ والتفوق.

### الدراسة الثانية: دراسة محمد أبو محمد إمام (١٤٠٨هـ) (٢).

لم ترفق خطة البحث بمتن الرسالة وبالتالي لم يتضح منهج الدراسة ولا الأهداف ولا النتائج، ومن خلال قراءة الباحث للرسالة تبين له أن منهج الدراسة هو المنهج التاريخي، وأن الدراسة قد تضمنت:

- ١- نشأة الدولة العباسية.
- ٢- النظام السياسي والإداري.
- ٣- الدواوين.
- ٤- الحجابة.
- ٥- النظم المالية.

(١) جمعان أحمد الديبسي، الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤١٥هـ.

(٢) محمد أبو محمد إمام، نظم الحكم في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ.

٦- النظام القضائي.

٧- ولاية البلدان.

مما سبق يتضح أن الدراسة الأولى تناولت جزءاً من موضوع الدراسة الحالية، وهو الحديث عن الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل، فالدراسة الحالية ستتناول رحلات ثلاثة مرين لطلب العلم هم: الإمام محمد بن إدريس الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام محمد بن إسماعيل البخاري).

أما الدراسة الثانية فتحدثت عن نظم الحكم في العصر العباسي الأول، وهو جزء من التعريف بالعصر الذي عاش فيه الإمام الشافعي رحمه الله.



# الفصل الثاني

نبذة عن العصر العباسي الأول والثاني

ويتضمن أربعة مباحث:

- المبحث الأول: الحالة السياسية.
- المبحث الثاني: الحالة الاقتصادية.
- المبحث الثالث: الحالة الاجتماعية.
- المبحث الرابع: الحالة العلمية.

## المبحث الأول الحالة السياسية

قامت الدولة العباسية بعد أن أُسقطت الدولة الأموية عام ١٣٢ هـ، وامتد حكمها ما يقارب ٥٢٤ عامًا إلى أن زال حكمها بسقوط بغداد على أيدي التتر عام ٦٥٦ هـ.

### أ - خلفاء العصر العباسي الأول:

بدأ هذا العصر بخلافة أبي العباس السفاح، وانتهى بخلافة الواثق بالله.

#### ١ - أبو العباس السفاح (١٣٢ هـ - ١٣٦ هـ):

يقول الذهبي: «السفاح الخليفة، أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أول خلفاء بني العباس، كان شابًا مليحًا، مهيبًا، أبيضًا، طويلًا، وقورًا»<sup>(١)</sup>.

اجتهد السفاح في تنظيم دولته، وتوطيد أركانها، وتثبيت أقدام العباسيين في الحكم، فاستعان بإخوانه، وأبناءهم، وأعماله.

يقول ابن الأثير: «وجه السفاح أخاه المنصور واليًا على الجزيرة وأذربيجان، وأرمينية، وفيها عزل عمه داود بن علي عن الكوفة وسواها وولاه المدينة ومكة واليمن واليمامة، وولى موضعه من عمل الكوفة ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد، فاستقصى عيسى على الكوفة ابن أبي ليلى»<sup>(٢)</sup>.

أصيب السفاح في آخر حياته بالجذري وهو بالأنبار، وتوفي في الثالث عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٦ هـ، بعد أن عهد بالخلافة لأخيه أبي جعفر المنصور.

#### ٢ - أبو جعفر المنصور (١٣٦ هـ - ١٥٨ هـ):

يقول عنه الذهبي: «والمنصور الخليفة: أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور، وأمه سلامة البربرية، وُلد في سنة خمس وتسعين أو نحوها، ضرب في الأفق ورأى البلاد، وطلب العلم، وكان أسمر طويلًا نحيفًا مهيبًا، خفيف العارضين، معرق الوجه، رحب الجبهة، كأن عينيه لسانان ناطقان، تخالطه أبهة الملك، بزى النساك، تقبله القلوب، وتتبعه العيون، أفتى الأنف، بين

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٢/٢٥٠٥).

(٢) ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني، (د. ت)، الكامل في التاريخ، (د. ط)، بيت الأفكار الدولية، لبنان (٤٤٤/٥).

القنا، يخضب بالسواد»<sup>(١)</sup>.

تمتع المنصور بصفات القائد الناجح؛ حيث اتصف بالشدة والبأس، واليقظة والحزم، والصلاح والاشتغال بمصالح الرعية.

### أهم الأعمال التي قام بها المنصور:

أ - القضاء على كل أمر قد يُربك أمن الدولة، مثل: منافسة عمه عبد الله بن علي له في الأمر وأبو مسلم الخراساني الذي كانت له من الصولة وشدة التمكن ما كانت، وذلك في عهد السفاح، فضرب المنصور أعداءه بعضهم ببعض فاستراح منهم جميعاً.

كما قضى المنصور على محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم اللذان كانا ينازعا عانه على الخلافة.

ب - وضع المنصور حداً لمطامع البيزنطيين وذلك بتحسين الثغور وحشد فيها آلاف المقاتلين والمرابطين.

ج - بناء مدينة بغداد:

يقول ابن خلدون: «وابتدأ المنصور سنة ست وأربعين في بناء مدينة بغداد، وسبب ذلك ثورة الراوندية عليه بالهاشمية، ولأنه كان يكره أهل الكوفة ولا يأمن على نفسه منهم، فتجافى على جورهم وسار إلى مكان بغداد اليوم وجمع من كان هناك من البطارقة فسألهم عن أحوال مواضعهم في الحر والبرد والمطر والوحد والهوام، واستشارهم فأشاروا عليه بمكانها، وقالوا: تجيئك المسيرة في السفن من الشام والرقّة ومصر والمغرب إلى المصرات، ومن الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل في دجلة، ومن أرمينية وما اتصل بها في تامر حتى يتصل بالزاب، وأنت بين أنهار كالخنادق لا تعبر إلا على القناطر والجسور، وإذا قطعها لم يكن لعدوك مطمع وأنت متوسط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل قريب من البر والبحر والجبل، فشرع المنصور في عمارتها»<sup>(٢)</sup>.

د - الاستيلاء على طبرستان لتكون تحت السيطرة العباسية، ثم شيدت مراكز عسكرية على الحدود لمنع الاعتداءات الخارجية، يقول سيد علي: «كان أهل طبرستان الجبلية الواقعة على الجنوب الغربي من بحر قزوين لا يزالون باقين

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٢/٢٥١٢).

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (د. ت)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (د. ط)، بيت الأفكار الدولية، لبنان (ص ٧٠٨).

على دينهم القديم، وكان يحكمهم رؤساء من بني جلتدهم رغم كونهم خاضعين للإمبراطورية العربية، ولكنهم ثاروا فجأة على العرب المستوطنين وقتكوا بعدد غير قليل منهم، وفي الحال أنفذ الخليفة إليهم جيشًا كثيفًا هزمهم ونكل برؤسائهم وألحق طبرستان وكيلان نهائيًا بالدولة العباسية، ولم يكذب يتم للخليفة هذا النصر حتى اجتاح أهل الديلم حدود الدولة العربية وقد كان هؤلاء يدينون بالمانوية القديمة ويتمتعون بشبه استقلال ذاتي، فنكلت بهم الجيوش الإسلامية شر تنكيل وأراحتهم إلى بلادهم، كما شيدت مركز عسكرية على الحدود منعًا لوقوع مثل هذا الغزو في المستقبل»<sup>(١)</sup>.

بهذا يكون المنصور قد أتم الدور التأسيسي من حياة الدولة وصان حدودها وأمسك بزمام قيادتها.

هـ - عزل المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى عن ولاية العهد وأخذ البيعة لابنه المهدي بعد أن أوصاه بالعدل والتقرب إلى الله بحسن السيرة وإجلال أهل العلم والدين وعمارة الأرض وأوصاه بأهل بيته خيرًا.

ثم توفي المنصور وهو منصرف إلى الحج ببئر ميمون سنة ثمان وخمسين ومائة للهجرة.

### ٣ - المهدي (١٥٨هـ - ١٦٩هـ):

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، يقول عنه ابن كثير: «كان أسمرًا طويلًا جعد الشعر على إحدى عينيه نكتة بيضاء»<sup>(٢)</sup>.

نشأ المهدي وترعرع في بيت الخلافة فاهتم به والده وعني بتعليمه، ودربه على الحرب وحسن الإدارة.

من أهم الأعمال التي قام بها المهدي في خلافته:

أ - رد الأموال التي صودرت في عهد أبيه إلى أصحابها.

ب - قام بتوسعة المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، وأكرم أهل الحجاز عندما حج عام ١٦٠هـ.

يقول ابن الأثير: «..وقسم مالاً عظيماً وكان معه من العراق ثلاثون ألف ألف درهم، ففرق ذلك كله، وفرق مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب، ووسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ خمسمائة من الأنصار يكونون

(١) علي، سيد أمير (١٤٢١هـ)، مختصر تاريخ العرب، دار الآفاق العربية، القاهرة (ص ١٨٨).

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٤٢٥هـ)، البداية والنهاية، (د. ط)، دار الحديث، القاهرة (١٦٣/١٠).

حرسًا بالعراق وأقطعهم بالعراق، وأجرى عليهم الأرزاق»<sup>(١)</sup>.

ج - تتبع الزنادقة وحاربهم، مثل المقنع الذي اتخذ قناعًا من ذهب وقال بتناسخ الأرواح، ثم ادعى الألوهية.

د - أنشأ المهدي البريد وأقام له الإبل والبغال عام ١٦٦ هـ، يقول الطبري: «أمر المهدي بإقامة البريد بين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين مكة واليمن بغالًا وإبلًا ولم يبق هناك بريد قبل ذلك»<sup>(٢)</sup>.

هـ - عزل المهدي ولي عهده عيسى بن موسى عن ولاية العهد وعهد بها لولده الهادي.

توفي المهدي عام ١٦٩ هـ، وكانت خلافته عشر سنين.

#### ٤ - الهادي (١٦٩ هـ - ١٧٠ هـ):

هو موسى بن محمد المهدي، يقول عنه المسعودي: «كان موسى قاسي القلب، شرس الأخلاق، صعب المرام، كثير الأدب، محبّله، وكان شديدًا، شجاعًا، بطلاً، جوادًا، سخيًا»<sup>(٣)</sup>.

من أهم الأعمال التي قام بها الهادي:

أ - القضاء على ثورة العلويين في الحجاز بقيادة علي بن الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ب - تتبع الزنادقة وقتلهم، يقول ابن كثير: «وشرع الهادي في تطلب الزنادقة من الآفاق فقتل منهم طائفة كثيرة واقتدى في ذلك بأبيه»<sup>(٤)</sup>.

عزم الهادي على خلع أخيه هارون من ولاية العهد، واعطائها لابنه جعفر، فما كان من الرشيد إلا أن ابتعد، وليرتاح من مضايقات أخيه فلم يعد حتى مات الهادي، فبويع له بالخلافة وذلك عام ١٧٠ هـ.

#### ٥ - هارون الرشيد (١٧٠ هـ - ١٩٣ هـ):

هو هارون بن محمد المهدي، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين، وعصره من أزهى العصور، يقول عنه العبادي: «يعتبر من أشهر خلفاء العباسيين وأكثرهم ذكرًا حتى في المصادر الأجنبية كالحوليات الألمانية على عهد الأمبراطور

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، (٦/٨٤٥).

(٢) الطبري، محمد بن جرير، (د. ت)، تاريخ الأمم والملوك، (د. ط)، بيت الأفكار الدولية، لبنان (ص ١٦٢٩).

(٣) المسعودي، علي بن الحسين (١٤٢٥ هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت (٢/٢٧٠).

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (١٠/١٦٩).

شرلمان التي ذكرته باسم Aron، والحواليات الهندية والصينية في أقصى المشرق التي ذكرته باسم Alun، أما المصادر العربية فقد أفاضت الكلام عنه لدرجة أن أخباره قد امتزجت فيها حقائق التاريخ بخيال القصص»<sup>(١)</sup>.

ومن صفاته ومناقبه ما ذكره السيوطي بقوله: «كان أبيضاً طويلاً، جميلاً، مليحاً، فصيحاً، له نظر في العلم والأدب، وكان يصلي في خلافته كل يوم مئة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا لعدة ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم. وكان يحب العلم وأهله، ويعظم حرمان الإسلام، ويبغض المرء في الدين، والكلام في معارضة النص.

وبلغه عن بشر المريسي القول بخلق القرآن، فقال: لأن ظفرت به لأضربن عنقه.

وكان يبكي على نفسه وعلى إسراره وذنوبه، سيما إذا وُعط، وكان يُحب المديح، ويجيز عليه الأموال الجزيلة، وله شعر»<sup>(٢)</sup>.

### من أهم الأعمال التي قام بها في عهده:

أ - نشر الأمن والطمأنينة في أرجاء الدولة وذلك بقضائه على الاضطرابات والتطاحن القبلي في بلاد الشام، يقول الطبري: «ذكر أن هذه العصبية لما حدثت بالشام بين أهلها وتفاقم أمرها اغتم بذلك من أمرها الرشيد فعقد لجعفر بن يحيى على الشام وقال له: إما أن تخرج أنت أو أخرج أنا، فقال له جعفر: بل أفيك بنفسي، فشخص في جلة القواد والكراع والسلاح وجعل على شركه العباس بن محمد بن المسيب بن زهير، وعلى حرسه: شبيب بن حميد بن قطبة فأتاهم فأصلح بينهم وقتل زواقيهم والمتلصصة مهم، ولم يدع بها رمداً ولا فرساً فعادوا إلى الأمن والطمأنينة، وأطفأ تلك النائرة»<sup>(٣)</sup>.

ب - قضى الرشيد على البرامكة اللذين كانوا مقربين عنده، يقول الخضري عن أصلهم: «تنسب هذه الأسرة إلى جدها برمك، وهو من مجوس برمك، وبنوه سدنة له، وكان برمك عظيم المقدر عندهم ولم يعلم هل أسلم أم لا؟ ولما جاءت الدعوة العباسية خراسان كان خالد بن برمك من أكبر دعائها وزعمائها وكان ذا صفات عالية أهلته للسيادة ورفعة القدر في صدر الدولة»<sup>(٤)</sup>.

(١) العبادي، أحمد مختار، (د.ت)، في التاريخ العباسي والفاطمي، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت (ص ٨٠).

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٤٢٥هـ)، تاريخ الخلفاء، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة (ص ٢٤٥).

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، (ص ١٦٧١).

(٤) الخضري، محمد (١٤٢٢هـ)، الدولة العباسية، (ط٦)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (ص ٩٩).

اختلف في سبب القضاء على البرامكة كما قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «كان مهلك البرامكة على يد الرشيد، قتل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ودمر ديارهم، واندرست آثارهم، وذهب صغارهم وكبارهم وقد اختلف في سبب ذلك»<sup>(١)</sup>.

ج - لم يكن اهتمام الرشيد بالعلاقات الخارجية أقل اهتماماً من الأوضاع الداخلية، فلقد نقض ملك الروم (نقفور) الهدنة التي كانت بين المسلمين وبين الملكة (ريني) قبل وفاتها، فأرسل ملك الروم إلى الرشيد يطلبه إعادة ما أخذه من جزية من الملكة الراحلة إلا أن الرشيد رد عليه بما يستحقه.

يقول السيوطي: «... فلما قرأ الرشيد الكتاب استشاط غضباً حتى لم يمكن أحد أن ينظر إلى وجهه دون أن يخاطبه، وتفرق جلساؤه من الخوف، واستعجم الرأي على الوزير، فدعا الرشيد بدواة وكتب على ظهر كتابه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه لا ما تسمعه) ثم سار ليومه فلم يزل حتى نازل مدينة هرقل وكانت غزوة مشهورة فتدأ مبيدًا، فطلب نقفور الموادة<sup>(٢)</sup> والتزم بخراج يحمله كل سنة، فأجيب»<sup>(٣)</sup>.

د - من الأعمال المهمة التي تمت في عهد الرشيد ضم كابول وسنهار ثم فصل سواحل آسيا الصغرى عن الإمبراطورية العربية، يقول سيد علي: «وفي سنة ١٧١ هـ ألحقت كابول وسنهار بالإمبراطورية العربية وامتدت حدودها إلى كوش الهندوسية، وفي نفس الوقت فصل الرشيد سواحل آسيا الصغرى عن الإدارة الأصلية وأطلق عليها اسم العواصم، كما عيّن لها حاكمًا عسكريًا خاصًا يقيم في طرسوس بكيلىكيا»<sup>(٤)</sup>.

هـ - عين الرشيد ابنه محمد الأمين وليًا للعهد، ومن بعده عبد الله المأمون، ومن بعد القاسم الملقب بالمؤتمن، ووقع الرشيد في خطأ عظيم كان عاقبته وخيمة وهو أنه قسم الدولة الإسلامية بين أبناءه الثلاثة.

يقول ابن خلدون: «وفي سنة ست وثمانين حج الرشيد وسار من الأنبار ومعه أولاده الثلاثة محمد الأمين، وعبد الله المأمون، والقاسم، وكان قد ولي الأمين العهد وولاه العراق والشام إلى آخر المغرب، وولى المأمون العهد بعده وضم إليه من همذان إلى آخر المشرق، وباع لابنه القاسم من بعد المأمون ولقبه المؤتمن وجعل خلعه وإثباته للمأمون وجعله في حجر عبد الملك صالح وضم إليه الجزيرة

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٢٠٤/١٠).

(٢) الموادة: المصالحة.

(٣) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٢٤٥).

(٤) علي، سيد أمير، مرجع سابق، (ص ٢٠٧).

والتغور والعواصم».

خرج الرشيد عام ١٩٣ هـ من بغداد إلى خراسان للقضاء على رافع بن الليث وإخماد فتنته، وكان يشكو من ألم في بطنه فاشتد عليه الألم حتى توفي.

يقول ابن كثير: «مات ليلة السبت وقيل ليلة الأحد مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة عن خمسين، وقيل: سبع وأربعين سنة، وكان ملكه ثلاث وعشرون سنة»<sup>(١)</sup>.

## ٦ - الأمين (١٩٣ هـ - ١٩٨ هـ):

يقول عنه ابن كثير: «هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور، أبو عبد الله، ويقال: أبو موسى الهاشمي العباسي، وأمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، كان مولده بالرصافة سنة سبعين ومائة، قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا عياش بن هشام عن أبيه قال: ولد محمد الأمين بن هارون الرشيد في شوال سنة سبعين ومائة وأتته الخلافة بمدينة السلام لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقيل: ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم، وقتل سنة ثمان وتسعين ومائة، قتله قريش الدانداني وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين فنصبه على رمح وتلا هذه الآية: ( قُلْ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ )<sup>(٢)</sup> وكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام»<sup>(٣)</sup>.

ويصفه ابن كثير بقوله: «كان طويلاً سمياً، أبيض، أفتى الأنف، صغير العينين، عظيم الكراديس، بعيداً ما بين المنكبين، وقد رماه بعضهم بكثرة اللعب والشرب وقلة الصلاة»<sup>(٤)</sup>.

لم يكن في خلافة الأمين شيء يذكر سوى خلافه الشديد مع أخيه المأمون الذي أدى لمقتله عام ١٩٨ هـ.

## ٧ - المأمون (١٩٨ هـ - ٢١٨ هـ):

تولى المأمون الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين، يقول عنه المسعودي: «بُويع للمأمون عبد الله بن هارون الرشيد - وكنيته أبو جعفر وأمه باذغيسيه واسمها مراجل، وقيل: إن كنيته أبو العباس - وهو ابن ثمان وعشرين سنة وشهرين»<sup>(٥)</sup>.

كان المأمون يحب العلم من صغره، فتعلم علوم الشريعة وأقحم عليها الفلسفة

(١) ابن خلدون، مرجع سابق، (ص ٧٢٢).

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٦.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (١٠/٢٦٣).

(٤) المرجع السابق نفسه.

(٥) المسعودي، مرجع سابق، (٢/٥٠).

مما قاده إلى مزلق خطر وهو القول بخلق القرآن.

يقول عنه السيوطي: «سمع الحديث من أبيه، وهشيم، وعباد بن العوام، ويوسف بن عطية، وأبي معاوية الضرير، وإسماعيل بن عليه، وحجاج الأعور، وطبقتهم.

وأدبه اليزيدي، وجمع الفقهاء من الآفاق، وبرع في الفقه، والعربية، وأيام الناس، ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن»<sup>(١)</sup>.

امتدت خلافته إلى ما يقارب عشرين عاماً، كان أبرز ما فيها ما يلي:

أ - القضاء على الحركات المعادية للخلافة العباسية مثل حركة أبي السرايا في الكوفة، وحركة محمد بن جعفر الصادق في الحجاز، ثم قضى على حركة نصر بن شيث في شمالي حلب.

ب - عين المأمون علي بن موسى الكاظم ولياً للعهد وسماه علي الرضا رغبة منه في نقل الخلافة إلى آل البيت، مخالفاً في ذلك طريقة العباسيين في تعيين ولي العهد.

كما ترك لبس السواد وعمد إلى لبس الأخضر مما أدى إلى غضب بني العباس عليه، وحدث بعض الاضطرابات ومبايعة إبراهيم بن المهدي بالخلافة، فلما سمع الخليفة بذلك رحل إلى بغداد قادماً من مرو، فهرع الناس في مبايعته بالخلافة بعد خلع ابن المهدي.

لعل المأمون أدرك عمق المشاعر التي يكنها بنو العباس تجاه الطالبين فعاد لللبس السواد.

توفي المأمون بعد أن عين أخيه المعتصم ولياً للعهد، يقول ابن كثير: «كانت وفاة المأمون بطرسوس في يوم الخميس وقت الظهر، وقيل: بعد العصر لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب من سنة ثمان مائة وعشرون ومائتين وله من العمر نحو من ثمان وأربعين سنة، وكانت مدة خلافته عشرين سنة وأشهرًا، وصلى عليه أخوه المعتصم وهو ولي العهد من بعده»<sup>(٢)</sup>.

## ٨ - المعتصم بالله (٢١٨ هـ - ٢٢٧ هـ):

يقول عنه ابن كثير: «هو أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي، يقال له: المثلث؛ لأنه ثامن ولد العباس، وأنه ثامن الخلفاء من ذريته، ومنها أنه فتح ثمان فتوحات، ومنها أنه أقام

(١) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٢٥٩).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٣٠٤/١٠).

في الخلافة ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وقيل: يومين»<sup>(١)</sup>.

### أهم الأعمال التي تمت في خلافته:

أ - القضاء على بعض حركات الشيعة المعادية للدولة مثل حركة محمد بن القاسم بن علي الزيدي في خراسان.

ب - القضاء على حركة الزط:

وهي من المصاعب التي واجهت المعتصم، والزط كما قال عنهم ابن خلدون: «وهم قوم من أخلاط الناس غلبوا على طريق البصرة وعاشوا فيها وأفسدوا البلاد وولوا عليهم رجلاً منهم اسمه محمد بن عثمان، وقام بأمره آخر منهم اسمه سماق، وبعث المعتصم لحربهم في هذه السنة عجيف بن عنيسة في جمادى الآخرة، فسار إلى واسط وحاربهم»<sup>(٢)</sup>.

ج - القضاء على حركة بابل الخضر التي نشأت في عهد المأمون، وهي حركة دينية المظهر سياسية الهدف.

د - فتح عمورية في بلاد الروم:

ومما حكى ابن الأثير عن هذه الواقعة قوله: «لما خرج ملك الروم وفعل في بلاد الإسلام ما فعل بلغ الخبر إلى المعتصم فلما بلغه ذلك استعظمه وكبر لديه وبلغه أن امرأة هاشمية صاحت وهي أسيرة في أيدي الروم: وامعتصماه! فأجابها وهو جالس على سريرته: لبيك لبيك! ونهض من ساعته وصاح في قصره: النفير النفير ثم ركب دابته... فلما ظفر المعتصم ببابك قال: أي بلاد الروم أمنع وأحصن! فقيل: عمورية لم يعرف لها أحد منذ كان الإسلام، وهي عين النصرانية وهي أشرف عندهم من القسطنطينية.

فسار المعتصم من سر من رأى... وتجهز جهازاً لم يتجهزه خليفة قبله من السلاح والعدد... وأمر بعمورية فهدمت وأُحرقت، وكان نزوله عليها لست خلون من شهر رمضان وأقام عليها خمسة وخمسين يوماً وفرق الأسرى على القواد، وسار نحو طرسوس»<sup>(٣)</sup>.

هـ - بناء مدينة سامراء:

يقول السيوطي: «تحول المعتصم من بغداد وبنى سر من رأى وذلك أنه اعتنى باقتناء الترك فبعث إلى سمرقند وفرغانة والنواحي في شرائهم، وبذل فيهم الأموال، وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب، فكانوا يطردون خيلهم في بغداد،

(١) المرجع السابق، (١٠/٣٢٠).

(٢) ابن خلدون، مرجع سابق، (ص ٧٤٢).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، (٦/٤٨٦).

ويؤذون الناس وضاقَت بهم البلد فاجتمع إليه أهل بغداد وقالوا: إن لم يخرج عنا بجندك حاربناك، قال: وكيف تحاربونني؟ قالوا: بسهام الأسحار، قال: لا طلاقة لي بذلك، فكان ذلك سبب بنائه (سر من رأى) وتحوله إليها»<sup>(١)</sup>.

والذي دفع المعتصم لاقتناء الترك هو ما لمسهم فيهم من النجدة وقوة البأس، فأراد تعزيز جيشه منهم، ذكر بعضهم الخصري: «١ - الأفشين حيدر بن كاوي: وهو تركي من أشروسنة كورة من بلاد ما وراء النهر. ٢ - إيتاخ: كان غلامًا خزرياً لسلام الأبرش طباخًا فاشتراه المعتصم، وكان لإيتاخ رجولة وبأس فرفعه المعتصم وولاه بعد الخلافة معونة سامرا مع إسحاق بن إبراهيم. ٣ - أشناس: غلام تركي اشتراه المعتصم ورقاه لما ظهر من شجاعته، وكان في غزوة عمورية على مقدمة الجيش»<sup>(٢)</sup>.

على ما كان لهؤلاء الأتراك من دور رائد في عهد المعتصم إلا أن دخول هذا العنصر الغريب على الدولة الإسلامية أثره السيئ؛ حيث كانوا سبباً في اضطراب أمر خلفاء العصر العباسي الثاني الذي تميز بضعف سلطة الخلافة وتدخل الأتراك في شؤون الدولة.

توفي المعتصم سنة ٢٢٧ هـ من علة أصابته بعد أن احتجم، وكان قد عين ابنه هارون الوائق ولياً للعهد.

## ٩ - الوائق بالله:

عرّفه السيوطي فقال: «الواثق بالله هارون، أبو جعفر - وقيل أبو القاسم - بن المعتصم بن الرشيد، أمه أم ولد رومية اسمها قراطيس»<sup>(٣)</sup>.

### من أهم الأعمال التي تمت في عهده:

أ - الاهتمام بالدولة وتنظيمها والحفاظ عليها، فبدأ بكتّابه حيث صادر ما معهم من مال ثم عاقبهم لما ظهر له من خيانتهم.

يقول ابن كثير: «أمر الوائق بعقوبة الدواوين وضربهم واستخلاص الأموال منهم لظهور خيانتهم وإسرافهم في أمورهم، فمنهم من ضُرب ألف سوط وأكثر من ذلك وأقل، ومنهم من أخذ منه ألف ألف دينار ودون ذلك».

كما ذكر ابن كثير ما عمله الوائق بالله من استتباب للأمن وقمع للمفسدين فقال: «خرجت بنو سليم حول المدينة النبوية فعاثوا في الأرض فساداً وأخافوا السبيل، وقاتلهم أهل المدينة فهزموا أهلها واستحوذوا على ما بين المدينة ومكة

(١) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٢٨٠ - ٢٨١).

(٢) الخصري، مرجع سابق، (ص ٢٠٥ - ٢٠٨).

(٣) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٢٨٤).

من المناهل والقرى فبعث إليهم الوثائق بغا الكبير أبا موسى التركي في جيش فقاتلهم في شعبان» ثم يذكر رحمه الله ما فعلته بني نمير وكيف ردعهم الوثائق بالله: «عانت قبيلة يقال لها بني نمير باليمامة فساداً فكتب الوثائق إلى بغا الكبير وهو سقيم بأرض الحجاز فقتل منهم جماعة وأسر منهم آخرين وهزم بقيتهم»<sup>(١)</sup>.

ب - ثم في عهد الوثائق بالله تبادل الأسرى مع الروم، ذكر ذلك الطبري بقوله: «تم الفداء بين المسلمين وصاحب الروم واجتمع فيها المسلمون والروم على نهر يقال له اللمس على سلوقية على مسيرة يوم من طرسوس»<sup>(٢)</sup>.

توفي الوثائق بالله بسبب داء الاستسقاء عام ٢٣٢ هـ ولم يستخف أحداً.

وبموته ينتهي العصر العباسي الأول الذي تميز بقوة الخلافة وتمتع خلفاءه بشخصية سياسية قوية، مما أدى إلى وحدة الدولة العباسية، وإخماد الفتن، ساعد على ذلك طاعة قواد وأفراد الجيش للخليفة وإخلاصهم وتفانيهم في العمل رغم تدخل الفرس والترک في شؤون الدولة إلا أن الخلافة الإسلامية ظلت قائمة على أصولها فترة قرن كامل.

يقول الخضري: «لم يعهد الوثائق لأحد من بعده بالخلافة فخلافته من بعده بدء شكل جديد لم تكن له سابقة في الدولة العباسية وقد ختم هذا القرن بانتهاء الخلفاء العسكريين الذين كانوا يقودون الجيوش بأنفسهم ويخوضون غمرات الموت ولا يستسلمون لداعي الترف المضني»<sup>(٣)</sup>.

### ب - خلفاء العصر العباسي الثاني:

تميز معظم خلفاء العصر العباسي الثاني بضعف السلطة ولين الجانب مما أدى إلى تدخل الأتراك في شؤون الدولة، فبدأ بخلافة المتوكل على الله وانتهى بنهاية عهد المستكفي بالله.

### ١ - المتوكل على الله (٢٣٢ هـ - ٢٤٧ هـ):

عرّفه ابن كثير بقوله: «جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، وأم المتوكل أم ولد يقال لها: شجاع... وبويع له بالخلافة بعد أخيه الوثائق في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة لسنة ثنتين وثلاثين ومائتين»<sup>(٤)</sup>.

نصر المتوكل السنة وقضى على البدع، يقول الطبري: «أمر المتوكل بهدم

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٣٢٦/١٠، ٣٢٧، ٣٣٣).

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، (ص ١٨٨٦).

(٣) الخضري، مرجع سابق، (ص ٢١٩).

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٣٢٦/١٠، ٣٢٧، ٣٣٣).

قبر الحسين بن علي وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يحترق ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من إتيانه»<sup>(١)</sup>.

كما تنبه المتوكل إلى خطورة ازدياد النفوذ التركي الأمر الذي دفعه إلى التخلص من بعض زعمائهم.

عقد المتوكل على الله البيعة لبننيه الثلاثة بولاية العهد، وهم: «محمد ولقبه المنتصر بالله، وأبو عبد الله محمد وقيل: طلحة، وقيل: الزبير، ولقبه المعتز بالله، وإبراهيم ولقبه المؤيد بالله، وعقد كل واحد منهم لواءين: أحدهما أسود وهو لواء العهد والآخر أبيض وهو لواء العمل»<sup>(٢)</sup>.

عزم المتوكل على الله على تقديم ابنه المعتز بالله على أخويه المنتصر والمؤيد، فثار غضب المنتصر ودبر مؤامرة مع الأتراك لاغتيال والده، يقول ابن كثير: «فلما كان يوم عيد الفطر خطب المتوكل بالناس وعنده بعض ضعف من علة به ثم عدل إلى خيام قد ضربت له أربعة أميال في مثلها، فنزل هناك ثم استدعى في يوم ثالث شوال بندمائه على عادته في سمره وحضرته وشربه ثم تمالاً ولده المنتصر وجماعة من الأمراء على الفتك به، فدخلوا عليه ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال وهو على السماط فابتدروه بالسيوف فقتلوه، ثم ولوا بعده المنتصر»<sup>(٣)</sup>.

وبهذا انتهى عهد المتوكل على الله الذي استمر أربع عشرة سنة وعشرة أشهر.

## ٢ - المنتصر بالله (٢٤٧هـ - ٢٤٨هـ):

هو محمد بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن الرشيد، لم تدم المودة بينه وبين الأتراك الذين قتلوا والده فكان يزدريهم ويقتل من شأنهم فدبروا له مكيدة لقتله فلم يدم في الخلافة سوى أقل من ستة أشهر، يقول عنه السيوطي: «ولما ولي - أي المنتصر بالله - صار يسب الأتراك ويقول: هؤلاء قتلوا الخلفاء فعملوا عليه وهموا به، فعجزوا عنه لأنه كان هيباً، شجاعاً، فطناً، متحرزاً، فتحيلوا إلى أن دسوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار في مرضه، فأشار بفصده، ثم فصده بريشة مسمومة فمات»<sup>(٤)</sup>.

## ٣ - المستعين بالله (٢٤٨هـ - ٢٥٢هـ):

يقول عنه ابن كثير: «وهو أبو العباس أحمد بن محمد المعتصم، بُوع له

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، (ص ١٦٢٩).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، (٩٨٢/٦).

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٣٧٧/١٠).

(٤) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٢٩٨).

بالخلافة يوم مات المنتصر، بايعه عموم الناس»<sup>(١)</sup>.

لم يكن حال المستعين بالله بأحسن من حال المنتصر بالله مع الأتراك فقد وقع اختيارهم للخلافة على أحمد بن محمد المعتصم ولقبوه بالمستعين بالله فتنكروا له لما قتل بعض قوادهم فأحس بخطرهم وهرب من سامراء إلى بغداد فحاولوا إعادته باعتذارهم فرفض، ثم أخرجوا المعتز بالله من السجن وبايعوه بالخلافة، يقول السيوطي: «ثم جهز المعتز جيشاً كثيفاً لمحاربة المستعين واستعد أهل بغداد للقتال مع المستعين ف وقعت بينهما وقعات ودام القتال أشهر، وكثر القتل، وغلت الأسعار وعظم البلاء، وانحل أمر المستعين فسعوا في الصلح على خلع المستعين وقام في ذلك إسماعيل القاضي وغيره بشروط مؤكدة، فخلع المستعين نفسه في أول سنة اثنتين وخمسين وأشهد عليه القضاة وغيرهم، فأحد إلى واسط فأقام بها تسعة أشهر محبوساً موكلاً به أمين ثم رد إلى سامراء، وأرسل المعتز إلى أحمد بن طولون أن يذهب إلى المستعين فيقتله، فقال: والله لا أقتل أولاد الخلفاء، فندب له سعيد الحاجب فذبحه في ثالث شوال من السنة، وله إحدى وثلاثون سنة»<sup>(٢)</sup>.

وهذا أكبر دليل على تسلط الأتراك وعلى الضعف الذي وصلت إليه الخلافة العباسية في عصرها الثاني.

#### ٤ - المعتز بالله (٢٥٢هـ - ٢٥٥هـ):

يقول عنه المسعودي: «بُويع المعتز بالله وهو الزبير بن جعفر المتوكل، وأمه أم ولد يقال لها قبيحة، ويكنى أبا عبد الله، وله يومئذ ثمان عشرة سنة، بعد خلع المستعين لنفسه، وذلك يوم الخميس ليلتين خلتا من المحرم، وقيل: لثلاث خلون منه، سنة اثنتين وخمسين ومائتين»<sup>(٣)</sup>.

عاد المعتز إلى سامراء، فبدأ يتخلص من بعض قواد الأتراك، فزاد شر الأتراك وبدأوا يطالبون الخليفة بالمال فعجز عن تحقيق مطالبهم، وكعادتهم مع الخلفاء خلعوا المعتز ونصبوا أخيه المؤيد للخلافة.

يقول الطبري عن الخليفة المخلوع: «فذكر أنه لما خلع دفع إلى من يعذبه ومُنع الطعام والشراب ثلاثة أيام، فطلب حسوة من ماء البئر فمنعوه، ثم جصصوا سرداباً بالجص التخين ثم أدخلوه فيه، وأطبقوا عليه بابه فأصبح ميتاً»<sup>(٤)</sup>.

#### ٥ - المهدي بالله (٢٥٥هـ - ٢٥٦هـ):

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٣/١١).

(٢) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٢٩٩).

(٣) المسعودي، مرجع سابق، (١٣٤/٢).

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، (ص ١٩٨٦).

هو «أبي محمد عبد الله محمد بن الواثق بن المعتصم بن هارون، كانت بيعته يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب من هذه السنة - خمسة وخمسون ومائتين للهجرة - بعد خلع المعتز نفسه بين يديه، وإشهاده عليه بأنه عاجز عن القيام بها وأنه قد رغب إلى من يقوم بأعبائها وهو محمد بن الواثق بالله، ثم مد يده فبايعه قبل الناس كلهم، ثم بايعه الخاصة، ثم كانت بيعة العامة على المنبر، وكتب على المعتز كتاباً أشهد فيه بالخلع والعجز والمبايعة للمهتدي»<sup>(١)</sup>.

عُرف المهتدي بالتقوى والورع والرغبة في الإصلاح فقد ترك الملاهي وحرّم الغناء والشراب وأظهر العدل.

لم تسر الأمور كما أراد المهتدي فقد نشبت ثورة الزنج، وثار الطالبيون في الأقاليم، وتنكر له الأتراك بعد أن أراد أن يضرب بعضهم ببعض فاجتمعوا على عزله وقتله.

يقول السيوطي عن المهتدي بالله: «فكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوماً»<sup>(٢)</sup>.

## ٦ - المعتمد على الله (٢٥٦ هـ - ٢٧٩ هـ):

يقول عنه المسعودي: «وبُويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين، وهو ابن خمس وعشرين سنة ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد كوفية يقال لها فتيان»<sup>(٣)</sup>.

عُرف المعتمد على الله بإنهماكه في اللهو واللذات، يقول عنه السيوطي: «لما قُتل المهتدي وكان المعتمد محبوباً بالجوسق، فأخرجوه وبايعوه، ثم إنه استعمل أخاه الموفق طلحة على المشرق وصير ابنه جعفرًا ولياً للعهد، وولاه مصر والمغرب، لقبه المفوض إلى الله وانهمك المعتمد في اللهو واللذات واشتغل عن الرعية، فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة»<sup>(٤)</sup>.

من أهم الأحداث التي حدثت في عهد المعتمد على الله:

دخول الزنج للبصرة فعاتوا فيها فساداً، إلا أن جيش المعتمد قضى عليهم وفي مقدمتهم رئيسهم.

توفي الموفق أخا الخليفة المعتمد والدولة في أمس الحاجة إليه، مما اضطر الخليفة إلى خلع ابنه المفوض من ولاية العهد الذي فشل في القضاء على الصراع

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (١٩/١١).

(٢) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٣٠٢).

(٣) المسعودي، مرجع سابق، (١٥٩/٢).

(٤) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٣٠٢ - ٣٠٧).

الذي اشتد بين الدولة وخصومها، ثم عهد الخليفة المعتمد بولاية العهد إلى المعتضد، ثم توفي الخليفة عام ٢٧٩هـ واختلف المؤرخون في سبب موته.

### ٧ - المعتضد بالله (٢٧٩هـ - ٢٨٩هـ):

يقول عنه السيوطي: «أحمد أبو العباس ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد... وأمه أم ولد اسمها صواب، وقيل: حرز، وقيل: ضرار، وبُويع له في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بعد عمه المعتمد، وكان ملكًا شجاعًا، مهيبًا، ظاهر الجبروت، وافر العقل، شديد الوطأة من أفراد خلفاء بني العباس، وكان يقدم على الأسد وحده لشجاعته، وكان قليل الرحمة: إذا غضب على قائد أمر بأن يلقى في حفيرة ويطم عليه، وكان ذا سياسية عظيمة»<sup>(١)</sup>.

انتشر الأمن وسكنت الفتن في عهد المعتضد وقضى على بعض البدع التي كانت منتشرة بين الناس، يقول المسعودي: «ولما أفضت الخلافة إلى المعتضد بالله سكنت الفتن، وصلحت البلدان، وارتفعت الحروب، ورخصت الأسعار، وهذا الهرج وسالمة كل مخالف وكان مظفرًا قد دانته له الأمور»<sup>(٢)</sup>.

ومن الأخبار الحسان التي وردت عن المعتضد بالله ما رواه السيوطي: «وفي أول سنة استخلف فيها منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها، ومنع القصاص والمنجمين من القعود في الطريق... وفي سنة إحدى وثمانين فتحت مكورية في بلاد الروم... وفيها هدم المعتضد دار الندوة بمكة وصيرها مسجدًا إلى جانب المسجد الحرام... وفي سنة اثنتين وثمانين أبطل ما يفعل في النيروز من وقيد النيران، وصب الماء على الناس وأزال سنة المجوس»<sup>(٣)</sup>.

عين المعتضد ابنه المكتفي بالله وليًا للعهد، وتوفي عام ٢٨٩هـ.

### ٨ - المكتفي بالله (٢٨٩هـ - ٢٩٥هـ):

يقول عنه السيوطي: «المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد... وأمه تركية اسمها جيجك»<sup>(٤)</sup>.

ويضيف ابن كثير: «وليس من الخلفاء اسمه علي سوى هذا وعلى بن أبي طالب»<sup>(٥)</sup>.

كثرة الفتن وانتشرت الفوضى في عهد المكتفي بالله إلا أنه تصدى لها، فقد أزال نفوذ قرامطة الشمال، كما أزال الدولة الطولونية على يد قائده محمد بن

(١) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٣٠٦ - ٣٠٧).

(٢) المسعودي، مرجع سابق، (١٨٥/٢).

(٣) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٣٠٨).

(٤) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٣١٢).

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (١٠١/١١).

سليمان الكاتب.

عهد المكتفي بولاية العهد لأخيه جعفر، ثم توفي عام ٢٩٥هـ، وله من العمر إحدى وثلاثين سنة.

#### ٩ - المقتدر بالله (٢٩٥هـ - ٣٢٠هـ):

هو جعفر بن المعتضد بالله، بُويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفي بالله، يقول المسعودي: «وكان له يوم بُويع ثلاث عشرة سنة»<sup>(١)</sup>.

لم يكن المقتدر بالله مؤهلاً للخلافة وقتها مما أدى إلى انتشار الفتن في الداخل والخارج.

خلع الأتراك المقتدر من الخلافة، ثم أعادوه إليها، ثم انتهى الأمر بمقتله عند قتاله مؤنس الخادم، يقول المسعودي: «وقُتل المقتدر بالله ببغداد وقت صلاة العصر يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة وكان قتله في الوقعة التي كانت بينه وبين مؤنس الخادم بباب الشماسية من الجانب الشرقي، وتولى دفن المقتدر العامة»<sup>(٢)</sup>.

#### ١٠ - القاهر بالله (٢٢٠هـ - ٣٢٢هـ):

يقول عنه السيوطي معرفاً به: «القاهر بالله: أبو منصور محمد بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل، أمه أم ولد اسمها فتنة»<sup>(٣)</sup>.

بُويع القاهر بالله بالخلافة بعد مقتل أخيه المقتدر، حكى ذلك ابن كثير بقوله: «لما قُتل المقتدر بالله، عزم مؤنس على تولية أبي العباس بن المقتدر بعد أبيه ليطيب قلب أم المقتدر فعدل عن ذلك جمهور من حضر من الأمراء فقال أبو يعقوب إسحاق النوبختي: بعد التعب والنكد نباع لخليفة صبي له أم وخالات يطعهن ويشاورهن! ثم أحضروا محمد بن المعتضد فبايعه القضاة والأمراء والوزراء ولقبوه بالقاهر بالله»<sup>(٤)</sup>.

لم يكن حال القاهر بأحسن من حال أخيه المقتدر، فقد استمر الصراع مع مؤنس الخادم وابن مقله وغيرهم إلا أن الله تعالى أعان الخليفة عليهم ففضى عليهم إلا أن الخليفة لم يسلم من مكر القادة اللذين قبضوا على الخليفة وخلعوه من الخلافة وسملوا عينيه، وذلك لحقدهم الدفين على الخليفة الذي اشتهر بسفكه للدماء.

#### ١١ - الراضي بالله (٣٢٢هـ - ٣٢٩هـ):

(١) المسعودي، مرجع سابق، (٢/٢٣٢).

(٢) المرجع سابق، (ص ٢٤٣).

(٣) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٣١٩).

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (١١/١٨١).

عرّفه السيوطي بقوله: «الراضي بالله أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل، ولد سنة سبع وتسعين ومائتين وأمه أم ولد رومية اسمها ظلوم، بُويغ له يوم خلع القاهر»<sup>(١)</sup>.

استعان الراضي ببعض الوزراء في إدارة شؤون الدولة إلا أنهم أظهروا عجزهم عن هذه المهمة الصعبة.

أما الأتراك فقد انتشر بينهم الحقد والحسد والتنافس على الصدارة فترجع نفوذهم، يقول حسن إبراهيم: «ولما رأى الخليفة الراضي أن الكرخي - وهو أحد وزرائه - عجز عن النهوض بأعباء الوزارة استوزر سليمان بن الحسن بن مخلد فعجز هو أيضاً عن إدارة شؤون البلاد لازدياد نفوذ كبار القواد وتدخلهم في أمور الدولة مما دعا الخليفة إلى استمالة ابن رائق - وكان يلي واسط والبصرة - وسلم إليه مقاليد الأمور ولقبه أمير الأمراء»<sup>(٢)</sup>، وهذا حدث جديد في حال الدولة، وفي الوقت نفسه دليل على ما وصلت إليه الخلافة الإسلامية في هذه الفترة من ضعف.

يؤيد هذا وصف ابن الأثير لحال الدولة العباسية في عهد الراضي بالله: «ولم يبقى للخليفة غير بغداد وأعمالها والحكم في جميعها لابن رائق، ليس للخليفة حكم، وأما باقي الأطراف: فكانت البصرة في يد ابن رائق، وخوزستان في يد البريدي وفارس في يد عماد الدولة بن بويه وكرمان في يد أبي علي محمد بن إياس، والري وأصبهان والجل في يد ركن الدولة بن بويه، ويد وشمكير أخي مرداويج يتنازعان عليها، والموصل وديار بكر ومصر وربيعة في يد بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طعج، والمغرب وإفريقية في يد أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدي العلوي وهو الثاني منهم ويلقب بأمر المؤمنين، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموي، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد الساماني وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي»<sup>(٣)</sup>.

لم يتمتع ابن رائق بلقبه الجديد كثيراً فقد خرج عليه القائد التركي بجكم واستولى على لقبه ومنصبه، يقول السيوطي: «وفي سنة ست وعشرين خرج بجكم على ابن رائق، فظهر عليه، واختفى ابن رائق، فدخل ابن بجكم بغداد، فأكرمه الراضي، ورفع منزلته، ولقبه أمير الأمراء وقلده إمارة بغداد وخراسان»<sup>(٤)</sup>.

توفي الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٩هـ، يقول ابن الأثير: «في هذه السنة مات

(١) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٣٢٢).

(٢) حسن، إبراهيم (١٤١٦هـ)، تاريخ الإسلام، (ط ٤)، دار الجيل، بيروت (٣/٣٣).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، (٨/١١٩٠).

(٤) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٣٢٤).

الراضي بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر منتصف ربيع الأول وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وكان عمره اثنين وثلاثين سنة وشهوراً، وكانت علة الاستسقاء»<sup>(١)</sup>.

## ١٢ - المتقي لله (٣٢٩هـ - ٣٣٣هـ):

عرّفه السيوطي بقوله: «المتقي لله: أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل، بُوع له بالخلافة بعد موت أخيه الراضي وهو ابن أربع وثلاثين سنة وأمّه أمة اسمها خلوب، وقيل: زهرة، ولم يغير شيئاً قط، ولا تسرى على جاريتيه التي كانت له وكان كثير الصوم والتعبد، ولم يشرب نبيذاً قط، وكان يقول: لا أريد نديماً غير المصحف، ولم يكن له سوى الاسم، والتدبير لأبي عبد الله أحمد بن علي الكوفي كاتب بكم»<sup>(٢)</sup>.

تنافس الحمدانيون والبريدي وابن رائق على منصب أمير الأمراء، فظفر بها بصفة غير رسمية البريدي، ثم عادت لابن رائق الذي عزل البريدي من منصبه، ومن المؤسف جداً أنه لم يكن للخليفة تلك السلطة والهيبة التي تفض النزاع وتحسم الأمور؛ حيث خرج من بغداد بصحبة ابن رائق خوفاً من هجوم البريدي بجيشه، فلجأوا إلى بني حمدان في البصرة.

وبالفعل وصل البريدي بجيشه بغداد وأمعن في السلب والنهب، فتسلط عليه أميراً للأمراء قد عينه ناصر الدولة الحمداني فأخرجه من بغداد وعاد إليها المتقي لله، فبرز له قائد تركي يقال له توزون ظفر بمنصف أمير الأمراء إلا أنه غدر بالخليفة، وقصة غدره يصفها ابن الأثير بقوله: «فنزل توزون وقبّل الأرض وقال ها أنا قد وفيت بيمينني، والطاعة لك، ثم وكل به وبالوزير وبالحجابه وأنزلهم في مضرب نفسه مع حرم المتقي، ثم كحله فأذهب عينيه، فلما سمله صاح - أي المتقي لله - وصاح من عنده من الحرم والخدم وارتجت الدنيا، فأمر توزون بضرب الدباب؛ لئلا تظهر أصواتهم، فخفيت أصواتهم وعمي المتقي لله»<sup>(٣)</sup>.

بقي المتقي لله أعمى حتى مات سنة ٣٥٧هـ، أي لمدة خمس وعشرين سنة.

## ١٣ - المستكفي بالله (٣٣٣هـ - ٣٣٤هـ):

عرّفه السيوطي بقوله: «المستكفي بالله: أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بن المعتضد، أمه أم ولد اسمها أملح الناس، بُوع له بالخلافة عند خلع المتقي في صغر سنة ثلاث وثلاثين وعمره إحدى وأربعون سنة»<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، (١٢٠٢/٨).

(٢) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٣٢٥).

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرجع سابق، (٤٢٠/٨).

(٤) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٣٢٧).

لم يكن للمستكفي بالله سوى لقب الخليفة فقط، أما إدارة الدولة فقد كانت بيد أحمد بن بويه الملقب بمعز الدولة، يقول سيد علي: «وبدأ أمراً الديلم زحفهم على العراق فأراد المستكفي أن يكسب مؤازرتهم فخلع على أكبرهم أحمد لقب معز الدولة، وعلى أخيه علي لقب عماد الدولة، وعلى الحسن لقب ركن الدولة، غير أن معز الدولة لم يلبث أن نصب نفسه سيدياً على بغداد واتخذ لقب السلطان ونقش اسمه على العملة وذكر اسمه في خطب الجمعة مقروئاً باسم الخليفة... وكان الخليفة مجرد صورة يتناول معاشداً يبلغ خمسة آلاف دينار من خزينة الدولة»<sup>(١)</sup>.

توقع معز الدولة بعد ذلك من الخليفة المستكفي بالله سوءاً فأنهى خلافته نهاية مأساوية يصفها السيوطي بقوله: «ثم إن معز الدولة تخيل من المستكفي، فدخل عليه في جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين فوقف والناس وقوف على مراتبهم فتقدم اثنان من الديلم إلى الخليفة فمد يديه إليهما ظناً أنهما يريدان تقبيلهما، ف جذباه من السرير حتى طرحاه إلى الأرض وجراه بعمامته، وهاجم الديلم دار الخلافة إلى الحرم ونهبوها فلم يبق فيها شيء، ومضى معز الدولة إلى منزله وساقوا المستكفي ماشياً إليه، وخلع، وسملت عيناه يومئذ، وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر، وأحضروا الفضل بن المقتدر وبايعوه، ثم قدموا ابن عمه المستكفي فسلم عليه بالخلافة، وأشهد على نفسه بالخلع، ثم سجن إلى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وله ست وأربعون سنة وشهران، وكان يتظاهر بالتشيع»<sup>(٢)</sup>.

وبنهاية عهد المستكفي ينتهي العصر العباسي الثاني الذي تميز بضعف الخلافة، وسيطرة الأتراك على الدولة، مما أدى إلى ما يلي:

- ١- تفرق الدولة العباسية الموحدة إلى دويلات تخشى بعضها البعض، لكل دولة منها إدارتها وجيشها.
- ٢- أدى قتال تلك الدويلات لبعضها إلى طمع العدو فيهم، فلم يسلموا من غارات الروم، وحركات الزنج.
- ٣- انعكس ضعف سلطة الخليفة على الخليفة نفسه، فكثير من خلفاء هذا العصر كانوا يخلعون من مناصبهم، بل ويعذبون ثم يسجنون.
- ٤- انعدم الأمن الداخلي في نهاية هذا العصر، وانتشر السلب والنهب حتى وصل إلى قصر الخليفة، وذلك مثل ما حدث في نهاية عهد المستكفي بالله.



(١) علي، سيد أمير، مرجع سابق، (ص ٢٦٦).

(٢) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٣٢٧).



## المبحث الثاني

### الحالة الاقتصادية في العصر العباسي الأول والثاني

اهتم الخلفاء العباسيون الأوائل بنشر الأمن وتحقيق الاستقرار في أرجاء الدولة الإسلامية، وذلك بالقضاء على الفتن الداخلية، ورد الاعتداءات الخارجية مما ساعد على نمو الحياة الاقتصادية وانتعاشها، فكثر إيرادات الدولة.

يقول سيد علي عند حديثه عن إيرادات الدولة العباسية: «وكانت إيرادات الدولة تجبى من المصادر الآتية: ١ - الخراج. ٢ - الأعشار (ضريبة الدخل والعشر والزكاة والصدقة). ٣ - أخماس المعادن والمرعى. ٤ - الجزية على الذميين. ٥ - المكوس. - ثم ذكر أنواع الضرائب - ٦ - ضريبة الملاحة والأسماك. ٧ - الضريبة التي يدفعها أصحاب الحوانيت على استعمالهم المحلات العامة كالشوارع والبيادين. ٨ - ضرائب الصناعات. ٩ - ضرائب الكماليات. ١٠ - ضرائب الواردات (الجمارك)»<sup>(١)</sup>.

امتلأت خزائن الخلفاء العباسيين بالأموال، فوجهوا اهتمامهم بدولتهم والنهوض بها ومن ذلك ما يلي:

**١ - بناء المدن والطرق الرئيسية وخصوصاً في العصر العباسي الأول**  
مثل بناء مدينة بغداد في عهد المنصور، واهتمام المهدي بطريق مكة، يقول الخضري عنه: «ومما أجراه من الإصلاح أمره ببناء القصور في طريق مكة أوسع من القصور التي كان السفاح بناها من القادسية إلى زباله وأمر بالزيادة في قصور السفاح وترك منازل المنصور التي بناها على حالها وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل وهي حيضان تبنى وتملأ من مياه الآبار حتى يكون الاستقاء سهلاً على رجال القوافل الذين لا ينقطع مرورهم من تلك الجهات، وأمر بتجديد الأميال والبرك... وأقام البريد بين مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكة واليمن بغالاً وإبلًا ولم يبق هناك بريد قبل ذلك، ومن آثاره زيادته في المسجد الحرام فأدخل فيه دوراً كثيرة»<sup>(٢)</sup>.

بلغت بغداد في عهد الرشيد قمة مجدها وأوج حضارتها، كما بنى المعتصم بالله مدينة سامراء وسماها (سمر من رأى).

### ٢ - الاهتمام بالزراعة:

يقول حسن إبراهيم: «وجه خلفاء العصر العباسي الأول عنايتهم إلى تشجيع

(١) علي، سيد أمير، مرجع سابق، (ص ٣٦٤).

(٢) الخضري، مرجع سابق، (ص ٨٠).

الزراعة، فنشطوا في حفر الترع والمصارف وإقامة الجسور والقناطر، وكانت الأراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات من أخصب بقاع الدولة العباسية وكانت الحكومة تشرف على إدارتها إشرافاً مباشراً وتعمل على تحسين زراعتها وتنمية مواردها...

ويضيف حسن قوله: وقد عني خلفاء العصر العباسي الأول بالزراعة وفلاحة البساتين التي قامت على دراسة علمية بفضل انتصار المدارس الزراعية التي كان لها أثر كبير في إنارة عقول المسلمين فتوسعوا في البحث النظري ودرسوا أنواع النباتات وصلاحية التربة لزراعتها واستعملوا الأسمدة المختلفة لأنواع النبات»<sup>(١)</sup>.

بهذا يكون العباسيون الأوائل قد وضعوا أساساً لنهضة زراعية أنتجت وفرة وجودة في المحاصيل.

ومن تشجيع الخلفاء للمزارعين إلغاء الضرائب أو تخفيفها، يقول سيد علي: «ألغى المنصور دفع ضريبة الحنطة والشعير نقداً واستحدث نظام المقاسمة أي دفع الخراج عيداً بنسبة معينة من غلة الأرض، وأبقى الضريبة النقدية على الزراعات الأقل شأناً، وعلى زراعة النخيل والفاكهة.

ويضيف سيد علي قوله: «وفي سنة ٢٠٤ هـ أحدث المأمون تخفيضاً آخر في ضريبة الخراج بأن جعله خمسين بدلاً من النصف حتى في أخصب الأراضي الزراعية»<sup>(٢)</sup>.

أما في العصر العباسي الثاني فقد اهتم العباسيون بالري وتنظيم أساليبه معتمدين على ما أسسه الأوائل من نهضة زراعية كبيرة.

يقول حسن إبراهيم عند حديثه عن الزراعة في العصر العباسي الثاني: «ولما كانت الزراعة تعتمد على الري عني العباسيون بتنظيم أساليبه وجعل الماء مباحاً للجميع، ولذلك عملوا على تنظيمه في مصر والعراق واليمن وشمال شرقي فارس وبلاد ما وراء النهر، وبلغ هذا النظام شأواً بعيداً من الدقة»<sup>(٣)</sup>.

ومن أشهر المحاصيل ما ذكرها أحمد أمين بقوله: «كانت العراق تكثر من زراعة الحنطة، والهند من الأرز وفلسطين ومصر من القلقاس واشتهرت في البلدان كلها زراعة الكروم، واشتهر زراعة العنب في اليمن وهو كثير الأصناف يوجد كل صنف منه في بلد، واشتهر في هذا العصر فاكهتان وهما الأترج والنانج وكانت هاتان الفاكهتان نادريتين في هذا العصر وقد جلبتا من الهند إلى

(١) حسن، إبراهيم، مرجع سابق، (٣/٢٤٩ - ٢٥٠).

(٢) علي، سيد أمير، مرجع سابق، (ص ٣٦٥).

(٣) حسن، إبراهيم، مرجع سابق، (٣/٣٢٦).

عمان والبصرة والعراق والشام، واشتهرت زراعة البطيخ، واشتهر شمال فارس بجودة الفاكهة حتى بلغ أن كان البطيخ يقدر ويحمل إلى العراق وعلا شأن الرمان، وكان أحسن التفاح في ذلك العصر تفاح الشام حتى كان مضرب المثل في الحسن»<sup>(١)</sup>.

### ٣ - الاهتمام بالصناعة:

أولى العباسيون اهتمامهم بالصناعة، وذلك باستغلالهم لموارد الثروة المعدنية، وكذلك مما فتح الله عليهم من العلوم والمكتشفات، يقول حسن إبراهيم: «اشتهرت البصرة بصناعة الصابون والزجاج ولاسيما في عهد الخليفة المعتصم الذي شيد مصانع جديدة لها في بغداد وسامراء وغيرها من المدن، كما أنشأ مصانع للورق في عدة مدن وجلب لها الأساتذة والصناع من مصر التي اشتهرت بصنع الورق منذ عهد بعيد، كما أنشأ العباسيون دوراً للطراز في أهم مدن فارس وكذلك تفوق المسلمون في صناعة الحرير والأطلس والمنسوجات الحريرية المشجرة والسجاجيد»<sup>(٢)</sup>.

كما اشتهر القماش الديبقي في مصر، يقول عنه الأستاذ أحمد أمين: «واشتهر في تينيس مدينة تسمى (الديبق) وإليها ينسب القماش الديبقي، وربما بلغ الثوب الديبقي مائة دينار، وفيها كانت تصنع المنسوجات للخليفة البغدادي، ولا يدخل فيه الغزل غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تحتاج إلى تفصيل ولا خياطة وتبلغ قيمته نحو ألف دينار.

ويضيف أحمد أمين عن الصناعات الأخرى قوله: «... واشتهرت مرو بصناعة نسيج القطن فكانت تنتج ملابس ثقيلة... وانتشرت صناعة الحرير وأعظم مصانع الحرير في ذلك العصر كانت بفارس أخذها الفرس عن الروم، واشتهرت خوزستان بذلك، وكانت الطنافس التي تفرش على الأرض تصنع بالعراق في مدينة الحيرة»<sup>(٣)</sup>.

أما عن الورق فقد اشتهر منه البردي ثم الكاغد، يقول حسن إبراهيم: «وقد راجت صناعة الورق في العصر العباسي الثاني، وكان ورق البردي الذي اشتهر به مصر منذ عهد بعيد كثير الاستعمال حتى أوائل العصر العباسي الثاني، ثم حل محله الكاغد الذي انتقل من الصين إلى البلاد الإسلامية في القرن الرابع الهجري».

واشتهرت سمرقند بصناعة الكاغد حتى قيل: «إن كواغد سمرقند عطلت

(١) أمين، أحمد (١٤٢٧هـ)، ظهر الإسلام، المكتبة العصرية، بيروت (١/٤٢٤).

(٢) حسن إبراهيم، مرجع سابق، (٣/٣٥٣).

(٣) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، مرجع سابق، (١/٤٢٤).

قراطيس مصر، وانتشرت صناعة الورق في دمشق وطبرية وطرابلس والشام»<sup>(١)</sup>.

ومن الصناعات التي اشتهرت في تلك الحقبة من الزمان العطور، يقول الخازن: «واشتهر إقليم سابور في فارس بصناعة العطور المستخرجة من البنفسج والنيلوفر، والنجرس، والسوسن، والزنبق، والنانج وغيرها»<sup>(٢)</sup>.

#### ٤ - الاهتمام بالتجارة:

اهتم الخلفاء العباسيون بالتجارة وذلك بتسهيل سبلها وتأمين طرقها ورغبة منهم في انتعاش الاقتصاد الإسلامي وتأمين الحياة الكريمة للمسلمين، يقول حسن إبراهيم: «ولم تقتصر عناية الخلفاء على الزراعة والصناعة وحدهما بل اهتموا كذلك بتسهيل سبل التجارة، فأقاموا الآبار والمحاط في طرق القوافل، وأنشأوا المنائر في الثغور وبنو الأساطيل لحماية السواحل من إغارات لصوص البحار وكان لذلك أثر بعيد في نشاط التجارة الخارجية والداخلية وأصبحت قوافل المسلمين تجوب البلاد وسفنهم تبخر عباب البحار.

ويضيف حسن طريقة أخرى لتشجيع التجارة: وقد شجع خلفاء العصر العباسي الأول التجارة تشجيعاً غير مباشر بما أدخلوا من مظاهر الترف إلى بلاطهم، وذلك بتمهيد الطرق وتأسيس مدينة بغداد التي ساعد موقعها على أن تصبح سوقاً تجارياً من الطراز الأول»<sup>(٣)</sup>.

بهذا يكون الخلفاء العباسيون الأوائل قد أسسوا لتجارة إسلامية عالمية رائدة، يقول حسن إبراهيم: «واحتلت تجارة المسلمين في العصر العباسي الثاني المكانة الأولى في التجارة العالمية، وكانت الاسكندرية وبغداد مقياساً لأسعار البضائع العالمية في ذلك الحين»<sup>(٤)</sup>.

ومما ساعد على سيادة التجارة الإسلامية وريادتها حسن معاملة التجار المسلمين لغيرهم وتمسكهم بمبادئ دينهم الحنيف حتى في بيعهم وشرائهم حتى النساء في البيوت ساهمن في سير الحركة التجارية، يقول أحمد أمين: «نشطت الحركة التجارية في القرن الرابع الهجري نشاطاً عجيبياً سواء في البر أو في البحر، وهذا ما وسع أفق الناس الجغرافي وحسنت سمعة التجار المسلمين في المعاملات وضرب بهم المثل حتى النساء اشتركن في هذه الحركة التجارية، فقد ذكروا أنه في بلاد فارس الشمالية كانت حركة البيع في المنازل وكان اللائي يبعن

(١) حسن، إبراهيم، مرجع سابق، (٣/٣٣٢).

(٢) الخازن، ويلم (١٩٩٢م)، الحضارة العباسية، (ط٢)، دار المشرق، بيروت (ص٧٣).

(٣) حسن، إبراهيم، مرجع سابق، (٢/٢٥٥).

(٤) المرجع السابق، (٣/٣٣٣).

هن النساء.

ويبين أحمد أمين أثر حركة التجار الواسعة على الحياة العامة للشعب بقوله: «وقد أثرت حركة التجار الواسعة هذه في الحياة العامة للشعب سواء في الحركة الاقتصادية أو الاجتماعية، فمن الناحية الاقتصادية كانت التجارة مصدر ثروة لعدد كبير من الناس وأتباعهم وأتباع أتباعهم، ومن الناحية الاجتماعية ملأت التجارة البيوت بالرقيق من مختلف الأصناف وتأثير الرقيق في الحالة الاجتماعية لا يخفى.

وربطت التجارة بين الأقطار الإسلامية ربطاً محكماً وقلماً ما كان يخلو ركب من التجار من أين يصحبهم بعض العلماء يطلبون العلم وخصوصاً الحديث»<sup>(١)</sup>. وهذا دأب طلاب العلم المخلصين اللذين يتركون الراحة والدعة، جفت جنوبهم المضاجع يرمون لتحقيق مطلب سامٍ ومقصد نبيل ألا وهو طلب العلم.



(١) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، مرجع سابق، (١/٤٢١ - ٤٢٢).

## المبحث الثالث

### الحالة الاجتماعية في العصر العباسي الأول والثاني

اتصفت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الأول والثاني بصفات أهمها ما يلي:

١- كان المجتمع العباسي الأول مجتمعاً موحدًا يغلب عليه الطاعة للخليفة الذي يعين الولاة، ويدعى له على المنابر، وتكون العملة باسمه ونحو ذلك، حتى أخذت الخلافة في الضعف والهوان وذلك منذ بداية العصر العباسي الثاني الذي اتصف مجتمعه بالانقسام والتعدد فلوث التاريخ بمقتل المتوكل على الله مروراً بالمستعين بالله فالمعتز بالله فالمهتدي بالله حتى انتهى الأمر إلى المستكفي بالله الذي كانت نهايته نهاية مأساوية بئسة، مما أدى إلى إنقسام الدولة العباسية الموحدة إلى دويلات مستقلة، يقول أحمد أمين: «فصارت المملكة الإسلامية عبارة عن دول متعددة مستقلة علاقة بعضها مع بعض علاقة محالفة أحياناً وعداء غالباً، وأصبح لكل دولة مالها وجندها وإدارتها وقضاؤها وسكتها وأميرها، إن اعترف بعضها بالخليفة في بغداد حيناً من الزمن فاعترف ظاهري ليس له أثر فعلي»<sup>(١)</sup>.

٢- تعددت عناصر المجتمع العباسي الأول والثاني، فقد كان هناك بالإضافة إلى العرب فرس وترك وروم وغير ذلك من الأجناس التي كانت تعيش تحت راية التوحيد.

٣- وجود أهل الذمة (اليهود والنصارى) مع المسلمين، فقد كانوا يعيشون في تسامح ديني، يقول حسن إبراهيم: «وقد أوجدت الحاجة إلى المعيشة المشتركة وما ينبغي أن يكون فيها من وفاق بين المسلمين واليهود والنصارى نوعاً من التسامح، ولم تتدخل الحكومة الإسلامية كذلك في شعائر أهل الذمة بل كان من تسامح بعض الخلفاء أن يحضروا مواكبهم وأعيادهم ويأمر بصيانتهم»<sup>(٢)</sup>.

٤- تعدد الفرق والمذاهب سمة ظاهرة في العصر العباسي الأول والثاني، فقد كان بالإضافة إلى أهل السنة شيعة ومعتزلة وزنادقة وغيرهم، يقول التركي: «ولتعدد عناصر المجتمع وتنوع الحياة الاجتماعية واختلاف الوجهات والآراء كانت البلاد معرضاً للنحل، ومجالاً للمذاهب السرية وأصحاب الدعوات المختلفة، فكان فيها أهل السنة والحديث، وكان فيها التشيع برجالته، والاعتزال بطوائفه، وكانت فيها الفلسفة بمختلف مذاهبها، والعلوم الحديثة بشتى أنواعها، وكان لأهل

(١) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، مرجع سابق، (٧٦/١).

(٢) حسن، إبراهيم، مرجع سابق، (٤٣٣/٣).

السنة والجماعة دور كبير في مكافحة الشك في الدين والفساد في المجتمع، والدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، وكان بين جميع هذه الطوائف جدل شديد، ومناقشات وخصومات وهكذا عاش الناس في امتزاج وتوليد بين مختلف العناصر والأجناس، وفي صراع شديد بين الآراء والمذاهب بين دعوة الإسلام الخالصة ودعوات الشعوبية الجامحة، وبين حياة الإيمان وحياة الزندقة، وبين عيشة الجد وعيشة اللهو مما أثر في الحياة الاجتماعية في هذا العصر»<sup>(١)</sup>.

٥ - ظل الترف والنعيم سمة بارزة للخلفاء العباسيين في العصرين الأول والثاني، ظهر أثر ذلك في قصورهم ولباسهم وموائدهم ومواكبهم وأعيادهم ومجالس لهوهم ولذتهم وذلك في تدرج ملحوظ في سلم الصعود.

يقول أحمد أمين: «بدأت الدولة العباسية وحولها أعداء كثيرون من أمويين وصنائعهم، ولما أختير للخلافة السفاح ثم المنصور غضب كثيرون من البيت العباسي نفسه، وغضب شيعة علي فكان لا بد لقيام خلفاء جادين غير لاهين يصرفون كل وقتهم في تأسيس الدولة، واصطناع المواليين، وكبح جماح الثائرين وسفك دم الخارجين حتى إذا انتهى هذا الدور ومهدت الأمور وقتل الخارجون واستكان أمثالهم هدأت الدولة، فكان أمام الخليفة الذي يأتي بعد وقت من الفراغ والهدوء يجد فيه متسعاً لشيء من اللهو والترف والنعيم»<sup>(٢)</sup>.

وعندما آلت الخلافة للمهدي، وأحس باستقرار دولته خالف أبيه في سياسته فبدأ ينفق بسخاء، مما أدى إلى تغير ملحوظ في حياة أغلب الناس، ولا شك أن زيادة المال من أهم دواعي اللهو واللعب.

ظل الترف والنعيم سمة غالبية على الخلفاء في العصرين، وانعكس ذلك إيجاباً على مجتمعهم، مثال ذلك ما كان عليه الوضع في عصر المتوكل على الله، فقد كان من أنضر العصور وأرغدها عيشاً، يقول المسعودي: «وكانت أيام المتوكل في حسنها ونضارتها ورفاهية العيش بها وحمد الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لا ضراء، كما قال بعضهم: كانت خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل، ورخص السعر، وأمانى الحب، وأيام الشباب».

ويقول رحمه الله عن المعتز بالله: «وكان المعتز أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب، وكان من سلف قبله من خلفاء بني العباس وكذلك جماعة من بني أمية يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة والمناطق وأنجاد السيوف والسروج واللجم، فلما ركب المعتز بحلية الذهب اتبعه الناس في فعل ذلك»<sup>(٣)</sup>.

(١) التركي، عبد الله عبد المحسن (١٣٩٧هـ)، أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل، (ط٢)، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض (ص ٢١).

(٢) أمين، أحمد (١٤٢٧هـ)، ضحى الإسلام، المكتبة العصرية، بيروت (١/٨٩).

(٣) المسعودي، مرجع سابق، (٤/٤٥، ٩٩).

وبالنظرة العادلة المنصفة نجد أن هناك من خلفاء العصر العباسي الثاني من وصف بالتقوى والورع، فهذا المهدي بالله يصفه السيوطي بقوله: «وكان المهدي أسمر، رقيقاً، مليح الوجه، ورعاً عادلاً، قوياً في أمر الله، بطلاً، شجاعاً، لكنه لم يجد ناصرًا ولا معيذًا، قال الخطيب لم يزل صائمًا منذ ولي إلى أن قُتل»<sup>(١)</sup>.

هذا على مستوى الخلفاء أما بقية الشعب فقد كان منهم الأتقياء الورعين، اللذين لم يتأثروا ببريق الترف اللامع، ولا بلهو الحياة الخادع، فمن أعلامهم الإمام محمد بن إدريس الشافعي، يقول الرازي: «أخبرنا أبو الحسن، أخبرنا أبو محمد، قال: أخبرنا البستي فيما كتب إليّ، حدثني الحارث بن سريج: دخلت مع الشافعي على خادم للرشيد وهو بيت قد فرش بالديباج، فلما وضع الشافعي رجله على العتبة أبصره فرجع ولم يدخل، فقال له الخادم: أدخل، فقال: لا يحل افتراش هذا، فقام الخادم مبتسمًا حتى دخل بيديًا قد فرش بالأرمني، فدخل الشافعي، ثم أقبل عليه فقال: هذا حلال وذاك حرام، وهذا أحسن من ذلك وأكثر ثمناً منه فتبسم الخادم وسكت»<sup>(٢)</sup>.

ومن الأعلام الذين تركوا متاع الدنيا وزهدوا فيها الإمام أحمد بن حنبل، يقول ابن كثير: «روى البيهقي من طريق المزني عن الشافعي أنه قال للرشيد: إن اليمن يحتاج إلى قاضي، فقال له: اختر رجلاً نوله إياها، فقال الشافعي لأحمد بن حنبل وهو يتردد إليه في جملة من معه: ألا تقبل قضاء اليمن؟ فامتنع من ذلك امتناعاً شديداً وقال للشافعي: إني إنما أختلف إليك لأجل العلم المزهد في الدنيا فتأمرني أن ألي القضاء؟ ولولا العلم لما أكلتك بعد اليوم، فاستحى الشافعي منه»<sup>(٣)</sup>.

ومن الأعلام الذين وُصفوا بالتقوى والورع الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، يذكر الإمام الذهبي رحمه الله قول سليم بن مجاهد: «ما رأيت بعيني منذ ستين سنة أفقه ولا أروع ولا أزهد في الدنيا من محمد بن إسماعيل»<sup>(٤)</sup>.

أدرك هؤلاء الأعلام ومن سار على نهجهم من الأتقياء الورعين أن الدنيا متاع زائل، وأن ما عند الله خير وأبقى، وأنه تعالى عنده حسن المناب، قال تعالى: ( زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ

(١) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٣٠١).  
 (٢) الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم (١٤٢١ هـ)، آداب الشافعي ومناقبه، (ط ٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة (ص ١٠٣، ١٠٤).  
 (٣) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٣٥٥/١٠).  
 (٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣٣٣٨/٣).

## المآب (١).

٦ - من المظاهر الاجتماعية في هذين العصرين كثرة الرقيق، الذي كان له أثر كبير في الحياة الاجتماعية، فقد كان معظم الخلفاء من نسل السراري، إلا السفاح فإن أمه «ريطة بنت عبيد الله بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثية» (٢).

وأم المهدي «أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن ذي سهم بن أبي السرح، ومن ولد ذي رعين من ملوك حمير» (٣).

وأم الأمين «زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر» (٤). أي أن جدها أبا جعفر المنصور.

تنوع عمل الرقيق حسب نوعه وتعليمه وطاقته، يقول أحمد أمين: «وكان الرقيق صنفين متميزين: صنف أبيض وصنف أسود ويشمل الحبشان، فالصنف الأبيض كان من الترك والصقالبة والأرمن واليونان وكانت أكثر أسواقه سوق سمرقند ويأتي إليها رقيق تركستان وما وراء النهر والبلغار وسوق شرق أوروبا وهو يخترق ألمانيا إلى الأندلس وإلى موانئ إيطاليا وفرنسا إلى الشرق، والصنف الأسود كان يجلب من السودان والحبشة وما إليها. وكان الرقيق الأبيض أغلى ثمنًا وأكثر قابلية لتعلم الفن والموسيقى وكما مهرت في فنها بولغ في ثمنها...»

ويضيف أحمد أمين: «وقد قام هذا الرقيق على اختلاف أنواعه بأعمال كثيرة وتغلغل في الحياة الاجتماعية فمنهم من كانوا جنودًا وقوادًا تستعين بهم الدولة في حروبها حتى لقد بلغ بعضهم أرقى المناصب، مثل مؤنس في العراق، وجوهر الصقلي في المغرب ومصر، وكافور الأخشيدي بمصر، وسبكتكين في الأفغان ومنهن القيان في مجال الغناء العامة، ومنهن أمهات الأولاد، وملك اليمين يتغلغلن في بيوت الخلفاء والأمراء والأغنياء والأوساط، ومنهن من يقمن في الخدمة في البيت وقد يبلغن منزلة عالية.»

ومن الرجال الأرقاء من يقوم بالأعمال الصناعية والتجارية لسادتهم، ومنهم طبقة الخصيان، وقد انتشرت في هذا العصر انتشارًا كبيرًا (٥).

٧ - حدث في العصر العباسي الأول والثاني ظاهرة لم تكن معهودة من قبل، ألا وهي تدخل النساء في شؤون الدولة.

- (١) سورة آل عمران، آية: ١٤.
- (٢) المسعودي، مرجع سابق، (٢١٠/٣).
- (٣) المسعودي، مرجع سابق، (ص ٢٥٦).
- (٤) المرجع سابق، (ص ٣١٩).
- (٥) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، مرجع سابق، (١٠٥/١ - ١٠٦).

حدث ذلك في عهد الهادي مع أمه الخيزران، ولأن الخلافة العباسية وقتها كانت في قمة رفعتها استطاع الهادي بطريقته أن يمنع والدته من تلك الظاهرة الغربية على مجتمعه، حكى ذلك الطبري عن يحيى بن الحسن قال: «... وكانت الخيزران في خلافة موسى كثيرًا ما تكلمه في الحوائج فكان يجيبها إلى كل ما تسأله حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته، وانهاهال الناس عليها وطمعوا فيها فكانت المواكب تغدو إلى بابها، قال فكلمته يومًا في أمر لم يجد إلى إجابتها إليه سبيلًا، فاعتل بعلة فقالت: لا بد من إجابتي، قال: لا أفعل، قالت: فإني قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك، قال: فغضب موسى، وقال: ويل على ابن الفاعلة! قد علمت أنه صاحبها، والله لا قضيتها لك.

قالت إذًا: والله لا أسألك حاجة أبدًا.

قال إذًا: والله لا أبالي، وحمي وغضب.

فقامت مغضبة، فقال: مكانك تستوعي كلامي والله، وإلا فأنا نفي من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو أحد من خاصتي أو خدمني لأضربن عنقه، ولأقبضن ماله، فمن شاء فليزم ذلك.

ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك كل يوم!

أما لك مغزل يشغلك، أو مصحف يذكرك، أو بيت يصونك!

إياك ثم إياك، ما فتحت بابك لملي أو لذمي.

فانصرفت ما تعقل ما تطأ، فلم تنطق عنده ببلوة أو مرة بعدها»<sup>(١)</sup>.

وإن كان الهادي قد قطع هذه الظاهرة إلا أنه أساء لوالدته وتطول عليها وأسمعها

ما لا يليق، وكان بإمكانه أن يمنعها برفق وإحسان، وكأنه لم يسمع قوله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ

وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا) <sup>(٢)</sup>.

تكررت ظاهرة تدخل النساء في أمور الدولة في العصر العباسي الثاني وتحديدًا في عهد المقتدر بالله، وكانت الخلافة العباسية وقتها في هوان وضعف شديد، والمقتدر بالله وقتها صغير السن والمتحكم في أمور الدولة النساء.

يقول السيوطي: «وفي سنة ست فتح مارستان أم المقتدر، وكان مبلغ النفقة فيه في العام سبعة آلاف دينار وفيها صار الأمر والنهي لحرم الخليفة ولنسائه

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، (ص ١٦٤٦).

(٢) سورة النحل، الآيتين: ٢٣ - ٢٤.

لركاكته، وآل الأمر إلى أن أمرت أم المقتدر بمثل القهرمانة أن تجلس للمظالم وتتنظر في رفاع الناس كل جمعة، فكانت تجلس وتحضر القضاة والأعيان وتبرز التواقيع وعليها خطها»<sup>(١)</sup>.



(١) السيوطي، مرجع سابق، (ص ٣١٦).

## المبحث الرابع

### الحالة العلمية في العصر العباسي الأول والثاني

تميزت الحياة العلمية في العصر العباسي الأول والثاني بالازدهار والتطور بشكل يدعو إلى الفخر والاعتزاز، يقول إمام: «يعتبر العصر العباسي الأول من أزهى العصور الإسلامية حيث بلغت فيه الدولة شأواً بعيد المدى في العلوم والمعارف والسياسة والإدارة والقضاء، فعلى الرغم من مرور أكثر من قرن على عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، إلا أن الإسلام ظل نظاماً قوياً يحكم حياة المسلمين من كافة جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الجوانب الأخرى، بل تفتحت للمسلمين فيه آفاق جديدة، مما يؤكد لنا صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان»<sup>(١)</sup>.

ومن الأسباب التي أدت إلى ازدهار الحياة العلمية ما يلي:

#### ١ - انتشار حركة الترجمة:

يقول دياب: «وانتعشت حركة الترجمة من اليونانية والهندية والفارسية والسريانية إلى اللغة العربية، وانتشرت وتوسعت توسعاً كبيراً بعد بداية العصر العباسي، حيث تبنت الدولة العباسية هذه الحركة فكانت أعظم فترة ترجمة من لغة إلى لغة أخرى عرفت الحضارات القديمة السابقة للحضارة الإسلامية، وما إن حل القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي - حتى كانت الدولة الإسلامية تمتلك ثروة ضخمة من تراث الحضارات القديمة مترجمًا إلى العربية، ووضع هذا التراث تحت تصرف العلماء والأدباء والباحثين لدراسته والاستفادة منه في إثراء العلم العربي الإسلامي الذي بدأ في الازدهار، وأخذ في بناء أساس أعظم الحضارات التي شهدها العالم والإنسانية وهي الحضارة الإسلامية»<sup>(٢)</sup>.

ومما ساعد على نشاط حركة الترجمة ما يلي:

#### أ - تطور العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم من الدول:

يقول محمود والشريف: «بذل هؤلاء الخلفاء جهوداً تظفر بالتقدير والإعجاب وتضعهم في صف واحد مع أوفر المجاهدين المسلمين عملاً وأكثرهم إخلاصاً، وإن تنقض عنهم أباطيل الدعايات العلوية ومفترياتها فقد تحقق لهم السلم الإسلامي

(١) إمام، محمد أبو محمد (١٤٠٨ هـ)، نظم الحكم في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

(٢) دياب، مفتاح محمد (١٤٢٤ هـ)، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، دار قتيبية، دمشق (ص ٤٨).

وكانت نتائجه الثقافية أبقى أثراً من السياسة فلم يكن الأمر مجرد كسب دبلوماسي فقد ساعد ذلك على التسرب الثقافي للحضارة العربية التي بدأت في ذلك الوقت تفتح آفاقاً جديدة في تركستان وما وراء النهر والهند والشرق الأقصى وصقلية وجنوب إيطاليا، كما ساعد ذلك على أن يقتبس العرب من الثقافات الإغريقية والهندية، والصينية ما طاب لهم»<sup>(١)</sup>.

### ب - تشجيع الخلفاء العباسيين للترجمة ورعايتهم لها:

يقول ذنبيات: «ابتداء بعصر أبي جعفر المنصور فهو الذي أمر بنقل كتب الطب إلى العربية حيث طلب من رئيس مدرسة جنديسابور جورجيس بن بختيشوع بترجمة كتب الطب للعربية، وكذلك أمر بنقل كتاب كلية ودمنة من اللغة الفهلوية إلى العربية على يد ابن المقفع وكتب المنطق لأرسطو وكتاب في علم حساب الأفلاك - السند والهند - على يد إبراهيم الفزاري.

وفي عهد الرشيد ترجمت كتب الطب والفلك إلى العربية نقلها يوحنا بن ماسوية رئيس بيت الحكمة ونقل يحيى بن خالد البرمكي كتاب المجسطي لبطليموس.

وفي عهد المأمون اتسعت حركة الترجمة على يد آل المنجم وترجمت الكتب الخاصة بالآلهيات وعلم النفس، والمأمون هو الذي عمل على تأسيس وازدهار بيت الحكمة وبنى إلى جانبه مرصداً ومكتبة، وهو الذي أرسل البعثات العلمية محملة بالهدايا إلى ملوك الروم لتعود بكتب أفلاطون وأرسطو وجالينوس وأبقراط وإقليدس وبطليموس وكان يترأس بنفسه المناقشات والمحاضرات التي كانت تقام في بيت الحكمة»<sup>(٢)</sup>.

ج - «توافر الموالي وأهل الذمة في جميع مدن العالم الإسلامي خاصة في بغداد، هؤلاء ألفوا الحياة العربية وشاركوا في الحياة السياسية ونعموا بالحرية الدينية وحسن المعاملة، مما شجعهم على أن يسهموا بقسط كبير في مجال الترجمة»<sup>(٣)</sup>.

وهذا يدل على ما وصل إليه المسلمون في تلك الحقبة من الزمن من طيب المعشر وحسن الأخلاق ونبيل المقصد.

- (١) محمود، حسن، الشريف، أحمد (١٩٩٥م)، العالم الإسلامي في العصر العباسي (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة (ص١٢٧).
- (٢) ذنبيات، عوض عبد الكريم (١٤٢٨هـ)، المختار من تاريخ العلوم عند العرب، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن (ص١٠٥، ١٠٦).
- (٣) صبرة، عفاف، الحناوي، مصطفى (١٤٢٨هـ)، دراسات في الحضارة الإسلامية، (ط٤)، مكتبة الرشد، الرياض (ص٢٠٨، ٢٠٩).

**د - مما ساعد على نمو حركة الترجمة ما أشار إليه دياب وهو:** «الجدل الديني بين علماء المسلمين منذ بداية العصر الأموي الذي بدأ فيه عقد الحلقات العلمية في المساجد، وما تبع هذه الحلقات من نقاش وجدال في كثير من أمور العقيدة الإسلامية، حيث انقسمت الآراء في كثير من الموضوعات فاحتاج كل فريق إلى إيجاد براهين تؤيد رأيه أو حكمه، فكان الاتجاه إلى تراث الأمم الأخرى، خاصة الإغريق وترجمة كثير من كتب المنطق التي استخدمها علماء المسلمين في تأييد أو دحض الآراء والأحكام المختلفة»<sup>(١)</sup>.

وقد دخل الإمامين الجليلين محمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل رحمهما الله في مثل هذه المناظرات مع أصحاب الكلام فكانوا رحمهما الله يؤيدون قولهما بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم. نماذج ممن اشتهروا بالترجمة:

### ١ - من المسلمين:

#### أ - يعقوب بن إسحاق الكندي:

قال عنه ابن أبي أصيبعة: «فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها... وكان يعقوب بن إسحاق عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم، وعند ابنه أحمد وله مصنفات جليلة ورسائل كثيرة جداً في جميع العلوم.

وقال سليمان بن حسان: «إن يعقوب بن إسحاق الكندي شريف الأصل بصري - كان جده ولي الولايات لبني هاشم - ونزل البصرة وضيعته هنالك، وانتقل إلى بغداد وهناك تأدب، وكان عالماً بالطب، والفلسفة، وعلم الحساب، والمنطق، وتأليف اللحن، والهندسة، وطبائع الأعداد، وعلم النجوم، ولم يكن في الإسلام فيلسوف غيره، احتذى في تواليفه حذو أرسطوطاليس، وله توالييف كثيرة في فنون من العلم، وخدم الملوك مباشرة بالأدب، وترجم من كتب الفلسفة الكثير، وأوضح منها المشكل، ولخص المستصعب، وبسط العويص»<sup>(٢)</sup>.

#### ب - أحمد بن الطيب السرخسي:

قال عنه ابن أبي أصيبعة: «هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي ممن ينتمي إلى الكندي، وعليه قرأ، ومنه أخذ، وكان متفنتاً في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب، حسن المعرفة، جيد القريحة، بليغ اللسان، مليح التصنيف والتأليف أوحداً في علم النحو والشعر، وكان حسن العشرة، مليح النادرة، خليعاً ظريفاً، وسمع الحديث أيضاً وروى شيئاً منه...»

(١) دياب، مفتاح محمد (١٤٢٤هـ)، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، دار قتيبة، دمشق (ص ٤٥).

(٢) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (١٤١٩هـ)، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، دار الكتب العلمية، بيروت (ص ٢٦١).

ولأحمد بن الطيب السرخسي من الكتب: اختصار كتاب إيساغوجي لفرفور يوس، واختصار كتاب قاطيغورياس، واختصار كتاب بارير مينا...»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - من غير المسلمين:

### أ - حنين إسحاق العبادي:

قال عنه الذهبي: «حنين بن إسحاق العبادي النصراني علامة وقته في الطب، وكان بارعاً في لغة اليونان، عربّ كتاب إقليدس، وله تصانيف عدة، مات في صفر سنة ستين ومائتين، وكان ابنه إسحاق بن حنين من كبار الأطباء أيضاً»<sup>(٢)</sup>.

### ب - قسطا بن لوقا:

قال عنه ابن النديم: «هو قسطا بن لوقا البعلبكي... وقد ترجم قسطا قطعة من الكتب القديمة، وكان بارعاً في علوم كثيرة منها: الطب، والفلسفة، والهندية، والأعداد والموسيقى، لا مطعن عليه، فصيحاً باللغة اليونانية، جيد العبارة بالعربية»<sup>(٣)</sup>.

### ج - ثابت بن قرّة:

قال عنه ابن أبي أصيبعة: «كان من الصابة المقيمين بحران، ويقال الصابئون نسبتهم إلى صاب - وهو طاط بن النبي إدريس عليه السلام - وثابت هذا هو ثابت بن قرّة بن مروان بن ثابت بن كرايا بن إبراهيم بن كرايا بن مارينوس بن سالا يونس.

وكان ثابت بن قرّة صيرفياً بحران، ثم استصحبه محمد بن موسى لما انصرف من بلد الروم لأنه رآه فصيحاً، وقيل: إنه قرأ على محمد بن موسى فتعلم في داره فوجب حقه عليه فوصله بالمعتضد وأدخله في جملة المنجمين، وهو أصل ما تجدد للصابية من الرئاسة في مدينة السلام، وبحضرة الخلفاء، ولم يكن في زمن ثابت بن قرّة من يماثله في صناعة الطب ولا في غيره من جميع أجزاء الفلسفة، وله تصانيف مشهورة بالجودة، وكذلك جاء جماعة كثيرة من ذريته، ومن أهله يقاربونه فيما كان عليه من حسن التخرج والتمهر في العلوم... وكان جيد النقل إلى النقل العربي حسن العبارة، وكان قوي المعرفة باللغة السريانية وغيرها»<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، (ص ٢٦٩).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١٥٨٥/٢).

(٣) ابن النديم، محمد بن إسحاق (١٤١٧هـ)، الفهرست، (ط٢)، دار المعرفة، بيروت (ص ٣٥٧).

(٤) ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، (ص ٢٧٠).

## ٢ - تطور الحياة الاقتصادية:

كان لتطور الحياة الاقتصادية في العصر العباسي الأول والثاني دور رائد في نشاط الحياة العلمية، فقد تعددت طرق التجارة، وكثرت الأموال في أيدي التجار، واتصل الناس ببلدان بعيدة، وتعرفوا على أجناس شتى، ومن ثم عادوا بثقافات جمة إلى بلدانهم.

## ٣ - استقرار الحياة الاجتماعية:

إن القضاء على الفتن، وإخماد الثورات، وقمع النعرات، ونشر الأمن والاستقرار الداخلي للدولة، ووفرة المال في أيدي الناس، يهيئ لطلاب العلم مناخًا مناسبًا للدراسة والطلب.

## ٤ - الرحلة في طلب العلم:

لقد أتاحت طرق التجارة المتعددة لطلاب العلم فرصة الرحيل، والانتقال من بلد إلى بلد لطلب العلم، فكانوا يلزمون قوافل التجار غالبًا، ليسلموا من جور الطريق، يقول أحمد أمين: «وقلًا ما كان يخلو ركب من التجار من أن يصحبهم بعض العلماء يطلبون العلم، وخصوصًا الحديث»<sup>(١)</sup>.

فكانت الرحلة في طلب العلم سبب في نشاط الحياة العلمية وازدهارها، يؤيد ذلك قول محمود وشريف: «ومما ساعد على نمو الحركة التعليمية وذيوها أيضًا وامتدادها إلى أبعد الحواضر ما كان من رحلة العلماء بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه».

ولا شك أن الأمن الموفور والمستوى المعاشي المرتفع والتشجيع الكبير الذي يظفر به الرحالون من الولاة وسراة الناس كان له أثره العظيم في اشتداد الرحلة إلى الأمصار، وقد رحل علماء اللغة إلى البادية يقيدون اللغة والأدب، ورحل علماء الحديث بل امتدت الرحلات إلى بلاد الروم فأرسل المأمون بعثة إلى القسطنطينية لإحضار الكتب، ورحل حنين بن إسحاق إلى بلاد الروم ليتمكن من اللغة اليونانية»<sup>(٢)</sup>.

## ٥ - تشجيع الخلفاء والولاة للعلماء ولطلبة العلم:

حظيت الحياة العلمية في هذين العصرين بدعم قوي ومهم من الخلفاء وبعض الولاة.

أمثلة ذلك ما يلي:

(١) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، مرجع سابق، (٤٢٢/١).  
(٢) محمود، حسن، الشريف، أحمد، مرجع سابق، (ص ٢٠٦).

أ - ذكر ابن أبي أصيبعة تشجيع الخليفة أبي جعفر المنصور لطبيب سرياني - بارع في الطب والترجمة - هو جورجوس بن جبرائيل: «كان له خبرة بصناعة الطب، ومعرفة بالمداداة وأنواع العلاج، وخدم بصناعة الطب المنصور، وكان حظياً عنده رفيع المنزلة، ونال من جهته أموالاً جزيلاً، وقد نقل للمنصور كتباً كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربي»<sup>(١)</sup>.

ب - ما رواه الحموي عن أبي بريدة الوضاحي قال: «أمر أمير المؤمنين المأمونُ الفراءَ أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب، فأمر أن تقرد له حجرة من حجر الدار، ووكل بها جوارى وخدماء للقيام بما يحتاج إليه حتى لا يتعلق قلبه، ولا تتشوف نفسه إلى شيء، حتى إنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة، وصير له الوراقين، وألزمه الأمانة والمنفقين، فكان الوراقون يكتبون حتى صنف كتاب الحدود، وأمر المأمون بكتبه في الخزائن»<sup>(٢)</sup>.

ج - ذكر ابن النديم أن ابي عبيد القاسم بن سلام: «كل إذا ألّف كتاباً أهدها إلى عبد الله بن طاهر<sup>(٣)</sup> فيحمل إليه مالاً خطيراً»<sup>(٤)</sup>.

د - يقول الإمام الذهبي عن الإمام محمد بن جرير الطبري: «وقيل: إن المكتفي أراد أن يحبس وققاً تجتمع عليه أقاويل العلماء فأحضر له ابن جرير فأملى عليهم كتاباً لذلك، فأخرجت له جائزة فامتنع من قبولها، فقيل له: لا بد من قضاء حاجة، قال: أسأل أمير المؤمنين أن يمنع السؤال يوم الجمعة، ففعل ذلك.

وكذا التمس منه الوزير أن يعمل له كتاباً في الفقه فألف له كتاب (الخفيف) فوجه إليه بألف دينار فردها.

ويضيف الذهبي إلى هذه القصة يقول: «سمعت أبا العباس البكري يقول: جمعت الرحلة بين ابن جرير، وابن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني بمصر، فأرملوا، ولم يبق عندهم ما يقوتهم، وأضر بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على ابن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أصلي صلاة الخيرة قال: فاندفع في الصلاة، فإذا هم بالشموع وخصي من قبل والي مصر يدق الباب، ففتحوا، قال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو ذا، فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه، ثم قال: وأيكم محمد بن جرير؟ فأعطاه خمسين ديناراً، وكذلك

(١) ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، (ص ١٦٣).

(٢) الحموي، ياقوت بن عبد الله (١٤٢٠هـ)، معجم الأدباء، مؤسسة المعارف، بيروت (٢٤١/٧).

(٣) أحد أمراء الدولة الطاهرية التي انفصلت عن مركز الخلافة عام ٢٠٥هـ.

(٤) ابن النديم، مرجع سابق، (ص ٩٧).

للرويانى، وابن خزيمة، ثم قال: إن الأمير كان قائلاً بالأمس فرأى في المنام أن المحامد جياح قد طووا كشحهم، فأنفذ إليكم هذه الصرر، وأقسم عليكم: إذا نفدت فابعثوا إلي أحدكم»<sup>(١)</sup>.

## المؤسسات التربوية في العصر العباسي الأول والثاني:

### ١- الكُتَّاب:

جاء في المعجم الوسيط: «الكُتَّاب: مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن»<sup>(٢)</sup>.

يعتبر الكُتَّاب أول مراحل التعليم قديماً، فهو يُعدُّ الطفل للانتقال لمرحلة أعلى ألا وهي حلقات العلم في المساجد.

يقول ذنبيات: «وكانوا ينظمون أوقات الدراسة في اليوم، حيث يبدأ اليوم الدراسي بدراسة القرآن الكريم من أول النهار في الصباح الباكر حتى الضحى، ثم ينتقلون لتعلم الكتابة من الضحى حتى الظهر لتبدأ فترة الاستراحة وتناول طعام الغداء في البيوت، ثم يعود التلاميذ إلى الدراسة بعد صلاة الظهر حتى يدرسون بقية العلوم كالنحو والشعر والعربية وأيام العرب والحساب، وتستمر هذه الفترة حتى آخر النهار.

ولم يكن هناك سن معينة يبدأ عندها الصغار دخول الكتاتيب وتلقي العلم، وكان الأمر متروكاً لتقدير آبائهم»<sup>(٣)</sup>.

وكان أجر معلم الكُتَّاب زهيد، فقد كان يرضى من طلابه بالقليل حتى أنه ليرضى أن يخلفه أحد طلابه إذا غاب، مثل ما حدث مع الإمام الشافعي رحمه الله.

روى الرازي بسنده عن الشافعي قال: «كنت يتيماً في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام»<sup>(٤)</sup>.

ويقول شوفي ضيف: «وكان هؤلاء المعلمون يتقاضون من الناشئة أجوراً زهيدة، لا تتجاوز أحياناً بعض رغفان من الخبز، كانت تختلف أحجامها وأنواعها باختلاف أحوال آباءهم غنى وفقراً، حتى لقد ضربت برغفان المعلم الأمثال على شدة الاختلاف والتفاوت»<sup>(٥)</sup>.

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٦٧).

(٢) مصطفى، إبراهيم، وآخرون (١٣٩٢هـ)، المعجم الوسيط، (ط٢)، المكتبة الإسلامية، تركيا (٧٧٥/٢).

(٣) ذنبيات، عوض عبد الكريم (١٤٢٨هـ)، المختار من تاريخ العلوم عند العرب، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن (ص٤٧).

(٤) الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم (١٤٢١هـ)، آداب الشافعي ومناقبه، (ط٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة (ص٢٤).

(٥) ضيف، شوقي (١٩٦٦م)، العصر العباسي الأول، (د. ط)، دار المعارف، القاهرة (ص٩٩).

## ٢ - المساجد:

يُعد المسجد منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم أهم مؤسسة تربوية، ظلت تؤدي دورها عبر القرون.

فكان صلى الله عليه وسلم يجلس في مسجده الشريف وأصحابه من حوله، يرببهم، ويعلمهم أمور دينهم ودنياهم.

عن أبي واقد الليثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما أحدهما فرأى فُرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله تعالى فأواه الله إليه، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»<sup>(١)</sup>.

فلما انتهى عهد النبي صلى الله عليه وسلم خلفه بعض الصحابة رضوان الله عليهم في المسجد، مثل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

فقد ذكر الذهبي: «عن ابن عيينة عن أبي بكر الهذلي عن الحسن قال: كان ابن عباس من الإسلام بمنزل، وكان من القراء بمنزل، وكان يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسرهما آية آية، وكان عمر رضي الله عنه إذا ذكره قال: فتى الكهول، له لسان سؤول وقلب عقول»<sup>(٢)</sup>.

ثم أعقب الصحابة رضوان الله عليهم التابعون رحمهم الله تعالى، ومنهم ربعة الرأي<sup>(٣)</sup> فقد ذكر ابن خلكان قصته مع أبيه فروخ، ومنها: «... ثم خرج ربعة إلى المسجد وجلس في حلقتة، فأتاه مالك والحسين بن زيد وابن أبي الليثي والمساحقي وأشرف أهل المدينة وأحدق الناس به»<sup>(٤)</sup> وكان ذلك في العصر الأموي.

كما تنوعت الحلقات في مسجد البصرة، فالإلى جانب حلقات علوم الدين كان هناك حلقة للعربية وحلقة لعلم الكلام، يقول أحمد أمين: «وكان مسجد البصرة

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤١٩هـ)، صحيح البخاري، (ط٢)، مكتبة دار السلام، الرياض، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فُرجة في الحلقة فجلس فيها (١٦/١)، حديث رقم [٦٦].

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٢٤١٢/٢).

(٣) ربعة بن أبي عبد الرحمن فروخ، الإمام، مفتي المدينة، وعالم الوقت، أبو عثمان، ويقال: أبو عبد الرحمن القرني، التيمي، مولا هم المشهور بربعة الرأي من موالى آل المنكدر، روى عن أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، وسعيد بن المسيب، وكان من أئمة الاجتهاد. قال ابن سعد: توفي سنة ست وثلاثين ومئة بالمدينة.

(٤) ابن خلكان، أحمد بن محمد (١٤١٧هـ)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان دار إحياء التراث العربي، بيروت (٣٣٠/١).

مركزاً لحركة علمية كبيرة في العهد الأموي، فحول الحسن البصري وفي حلقاته نشأت المباحث الكلامية، واعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن وكوّن له حلقة، بل كان هناك بجانب علوم الدين حلقات لعلوم العربية»<sup>(١)</sup>.

يقول الحموي عن حماد بن سلمة بن دينار: «الإمام أبو سلمة البصري شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه... وكان حماد يمر بالحسن البصري في الجامع فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم»<sup>(٢)</sup>.

واستمر المسجد يؤدي دوره التربوي كذلك في العصر العباسي، فقد كان طلاب العلم يترددون عليه، ولم تنقطع حركتهم، تدفعهم الهمة، وتحثهم الرغبة في المزيد.

يقول شوقي ضيف: «وكانت المساجد ساحات العلم الكبرى، فلم تكن بيوتاً للعبادة فحسب، بل كانت أيضاً معاهد لتعليم الشباب حيث يتحلّقون حول الأساتذة يكتبون ما يلقونه أو يملونه، وكان الأستاذ يستند عادة إلى اسطوانة في المسجد ثم يأخذ في إلقاء محاضراته أو إملائها، وفي الحلقات الكبيرة كان يردد ستمل كلامه حتى يسمعه ويكتبه البعيدون عنه في الحلقة».

وكان لكل فرع من المعرفة حلقاته أو حلقاته الخاصة، فحلقة لفقهاء، وحلقة لمحدث، وحلقة لقصاص أو لمفسر أو حلقة للغوي وحلقة لنحوي وحلقة لمتكلم، وكانت حلقة الفقهاء أكبر الحلقات إذ كان يقصدهم طلاب الفقه ومن يريدون أن يتولوا منصب القضاء أو الحسبة»<sup>(٣)</sup>.

وقد كان الكسائي<sup>(٤)</sup> يجتمع بطلابه في المسجد ويعلمهم القراءات، يروي الذهبي عن خلف بن هشام: «أن الكسائي قرأ على المنبر (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا)»<sup>(٥)</sup> بالنصب، فسألوه عن العلة، فثرت في وجوههم، فمحوه، فقال لي: يا خلف، من يسلم من اللحن»<sup>(٦)</sup>.

ويذكر الحموي ما حدّث به الربيع بن سليمان عن الإمام الشافعي رحمه الله: «كان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقاته إذا صلى الصبح فيجيئ به أهل القرآن، فإذا طلعت

(١) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، مرجع سابق، (٤٤/٢).

(٢) الحموي، معجم الأديباء، مرجع سابق، (١٥٠/٤ - ١٥١).

(٣) ضيف، شوقي، مرجع سابق، (ص ١٠١).

(٤) الكسائي الإمام شيخ القراءة والعربية، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي، مولا هم الكوفي، الملقب بالكسائي لكسائه أحرم فيه، سار مع الرشيد فمات بالري بقرية أربنوية سنة تسع وثمانين ومئة عن سبعين سنة.  
الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٢٧٧٦/٢).

(٥) سورة الكهف، آية: ٣٤.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٢٧٧٥/٢ - ٢٧٧٦).

الشمس قاموا، وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاب النهار ثم ينصرفون»<sup>(١)</sup>.

### ٣ - المكتبات:

تُعد المكتبات من المؤسسات التربوية المهمة عبر العصور، فكانت وما تزال رافداً قوياً من روافد ثقافة الإنسان.

لقد أولى المسلمون في العصر العباسي الأول والثاني عناية فائقة بالمكتبات رغبة منهم في نشر العلم والثقافة، تحثهم العاطفة الإنسانية لذلك يقول السباعي: «مما يتصل بالحديث عن المؤسسات الخيرية والعلمية في حضارتنا الحديث عن المكتبات، فقد كانت مدارس للتعليم، ومؤسسات ينفق عليها الأمراء والأثرياء والعلماء، لينتشر العلم بين الناس، وخصوصاً على أيدي نساخ متخصصين لهذا العمل، فكان يبلغ بذلك ثمن الكتاب حدًا قد يتعذر عن طالب العلم أو العالم الفقير شراؤه، فكيف إذا أراد أن تكون له مجموعة من الكتب في الفن أو العلم الذي يتخصص فيه؟

ومن هنا كان قيام المكتبات في مجتمعنا الماضي منبعثاً عن عاطفة إنسانية وعن نزعة علمية في وقت واحد»<sup>(٢)</sup>.

ومما ساعد على انتشار المكتبات في العالم الإسلامي انتشار مهنة الوراق، وكذلك رغبة المسلمين في القراءة والاطلاع، ساعد في ذلك اهتمام الخلفاء بها، تقول هونكه: «لقد أحاط العرب الكتب بقلوبهم حتى المؤلفات الفنية الدقيقة في الهندسة والميكانيكا، والطب، والفلك، والفلسفة، وكما تطلب الدولة المنتصرة من الدولة المنهزمة تسليم أسلحتها وسفنها الحربية كشرط أساسي لعقد الصلح هكذا طلب هارون الرشيد بعد احتلاله لعمورية وأنقرة تسليم المخطوطات الإغريقية القديمة، وكما يستولي المنتصرون اليوم على المناجم والصناعات الحربية الهامة والأسلحة المدمرة مع مخترعيها، نرى المأمون بعد انتصاره على ميخائيل الثالث قيصر بيزنطية، يطالب بتسليم أعمال الفلاسفة القدماء التي لم تتم ترجمتها بعد إلى العربية، ويعتبر ذلك بديلاً عن تعويضات الحرب، إنها أسلحة تساهم في بناء المجد»<sup>(٣)</sup>.

نتيجة لهذا الاهتمام نشأت المكتبات العامة فكان من أشهرها:

- (١) الحموي، معجم الأدياء، مرجع سابق، (٤٦٨/٦).
- (٢) السباعي، مصطفى (١٤٠٧هـ)، من روائع حضارتنا، (ط٥)، المكتب الإسلامي، بيروت (ص١٥٣).
- (٣) هونكه، زيغريد (١٤١٣هـ)، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، كمال سوقى (ط٨)، دار الجيل، بيروت (ص٣٧٥).

## أ - بيت الحكمة:

«هي مكتبة كبيرة عامرة، أنشأها أولاً الخليفة العباسي هارون الرشيد في بغداد، فقد كان الرشيد يحب العلم ويشجع العلماء، وكانت هذه المكتبة تشتمل على عدد كبير من الكتب العلمية والأدبية، ووصلت هذه المكتبة أوج ازدهارها في خلافة المأمون الذي أولى العلم والتأليف عناية فائقة، فكان ينفق على كل عمل بمقدار وزنه ذهباً، وكان شغوفاً بعلوم الحكمة فأرسل في طلب الكتب من جميع الأقطار، واختار المترجمين من اللغات الأجنبية اليونانية والسريانية والفارسية والقبطية لترجمة الكتب من هذه اللغات إلى العربية»<sup>(١)</sup>.

## ب - مكتبة قرطبة:

«وهي المكتبة التي أنشأها عبد الرحمن الأوسط في الأندلس في أوائل القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي -، وهي مكتبة ضخمة أرسل مؤسسها بعض المندوبين إلى المشرق لإحضار الكتب لها من مكتبات المسلمين هناك.

واهتم بهذه المكتبة عبد الرحمن الناصر الذي جمع حوله الشعراء والمفكرين، وجهد للحصول على الكتب المختلفة من جميع أنحاء العالم الإسلامي، كما حاول الحصول على الكتب من مدينة القسطنطينية، فأحضر منها الكتب اليونانية التي ضمت كتاب ديوستوريدس في الأدوية والنبات»<sup>(٢)</sup>.

بجانب المكتبات العامة كان هناك مكتبات خاصة لا يخلو بيت عالم ولا أمير ولا وزير منها، يجمع فيها صنوف العلم والمعرفة، كالتي عملها علي بن المنجم<sup>(٣)</sup> للفتح بن خاقان<sup>(٤)</sup>، يقول ابن خلكان عن علي بن المنجم: «... ثم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزنة كتب أكثرها حكمة، واستكتب له شيئاً عظيماً يزيد على ما كان في خزنته أضعافاً مضاعفة مما لم تشتمل عليه خزنته»<sup>(٥)</sup>.

## ٤ - مجالس المناظرة:

لقد أدت مجالس المناظرة دوراً مهماً في نشر العلم والمعرفة، وإظهار الحق

(١) ذنبيات، مرجع سابق، (ص ٦٧).

(٢) ذنبيات، مرجع سابق، (ص ٦٧).

(٣) المنجم، أبو الحسن، علي بن يحيى بن أبي منصور، الإخباري الشاعر، نديم المتوكل ثم من بعده.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٢/٢٨٧٤).

(٤) الفتح بن خاقان الأمير الكبير الوزير الأكمل، أبو محمد التركي، شاعر مترسل بليغ مفوه، ذو سؤدد وجود ومحاسن على لعب فيه، وكان المتوكل لا يكاد يصبر عنه.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٢/٣٠٨٨).

(٥) ابن خلكان، مرجع سابق، (٢/١٧٨).

المؤيد بالدليل، فقد كانت تقام بين العلماء في شتى العلوم وذلك في المساجد والدور وقصور الخلفاء والوزراء.  
ومن ذلك:

المناظرات التي كانت بين الإمام الشافعي وشيخه محمد بن الحسن في العراق، يذكر الرازي ما رواه يونس بن عبد الأعلى قال: «سمعت الشافعي يقول: ناظرت محمد بن الحسن يوماً فاشتدت مناظرتي إياه فجعلت أوداجه تنتفخ وأزراره تنقطع زراً زراً»<sup>(١)</sup>.

ومع ذلك كان رحمه الله يقول: «ما ناظرت أحداً إلا على النصيحة»<sup>(٢)</sup>.  
وفي رواية أخرى يقول: «والله ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ»<sup>(٣)</sup>.  
ومن المناظرات النحوية ما كانت بين سيبويه والكسائي عند البرامكة الذين عزموا على الجمع بينهما، ومن تلك المناظرة:  
«... فحضر الكسائي فأقبل عليه سيبويه فقال: تسألني أو أسألك؟  
قال: لا، بل سلني أنت.

فأقبل عليه الكسائي فقال: كيف تقول: كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو إياها، قال سيبويه: فإذا هو هي ولا يجوز النصب.  
فقال له الكسائي: لحتت ثم سأله عن مسائل من هذا النحو:  
خرجت فإذا عبث الله القائم أو القائم

فقال سيبويه في ذلك كله بالرفع دون النصب، وقال له الكسائي: ليس هذا كلام العرب. العرب ترفع ذلك كله وتنصبه، فدفع سيبويه قوله.

فقال يحيى بن خالد قد اختلفتما وأنتما رئيسا بليكما فمن ذا يحكم بينكما؟! فقال الكسائي: هذه العرب ببابك قد اجتمعت من كل أوب، ووفدت عليك من كل صقع وهم فصحاء الناس، وقد قنع بهم أهل المصريين وسمع أهل الكوفة وأهل البصرة منهم فيحضرون ويسألون.

فقال يحيى وجعفر: قد أنصفت، فأمر بإحضارهم، فدخلوا، وفيهم أبو فقحس وأبو زياد وأبو الجراح وأبو ثروان فسألوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه، فتابعوا الكسائي وقالوا بقوله.

فأقبل يحيى على سيبويه فقال: قد تسمع أيها الرجل، فاستكان سيبويه.  
وأقبل الكسائي على يحيى فقال: أصلح الله الوزير إنه قد وفد إليك من بلده

(١) الرازي، مرجع سابق، (ص ١٦٠).

(٢) المرجع السابق، (ص ٩٢).

(٣) المرجع السابق، (ص ٩٢ - ٩٣).

مؤملاً فإن رأيت أن لا ترده خائباً؟!!

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج وصير وجهه إلى فارس، وأقام هناك ولم يعد إلى البصرة»<sup>(١)</sup>.



(١) السيوطي، جلال الدين (١٤٢٠هـ)، الأشباه والنظائر في النحو، المكتبة العصرية، بيروت (٩١/٣ - ٩٢).

## الفصل الثالث

### الرحلة في طلب العلم

ويتضمن ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: فضل طلب العلم.  
الرحلة.. تعريفها ومجالاتها في الإسلام
- المبحث الثاني: ويتضمن ثلاثة مطالب:  
١ - آداب الرحلة.
- المبحث الثالث: أهمية الرحلة في طلب العلم.  
٢ - نماذج ممن رحلوا في طلب العلم.  
٣ - نماذج ممن رحلوا في طلب العلم.

## المبحث الأول فضل طلب العلم

إنَّ من أجل النعم التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان، وخصَّه بها عن بقية المخلوقات هي طلب العلم الموصل له جل وعلا، ففيه الهداية والنور، والرفعة والسمو، وما ارتكزت أمة في نهوضها على ركيزة أقوى وأفضل من طلب العلم، لذلك كان أول ما أنزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:

(أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (١).

يقول دياب: «الإسلام دين العلم، ومنذ بدايته كان الإسلام يحث وبقوة على العلم وطلب العلم، فأول الأوامر الإلهية التي تلقاها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان الأمر بالقراءة (اقرأ)، ولهذا البداية مدلول كبير وعظيم على أن الدين الجديد هو دين علم جاء ليبيد ظلمة الجهل التي كان يعيش فيها الإنسان ولينير الطريق أمام البشرية لتتدبر وتتفكر وتنظر في ملكوت السموات والأرض وتمعن النظر في معرفة الكون والكائنات، وتبني على أساس من العلم حضارة فيها يتجلى إبداع الفكر الإنساني الذي وهبه الله للإنسان ليعلو إلى المرتبة التي أرادها الخالق له» (٢).

ومن شرف العلم وفضله أن الله تعالى امتن على أنبيائه ورسله عليهم السلام بما آتاهم من العلم، فأخبر جل وعلا عن يوسف عليه السلام بقوله: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (٣)، وحكى جل وعلا قصة داود وسليمان عليهما السلام بقوله: (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) (٤)، وقال جل وعلا في حق موسى عليه السلام: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (٥).

(١) سورة العلق، الآيات: ١ - ٥.

(٢) دياب، مفتاح محمد، مرجع سابق، (ص ١٧).

(٣) سورة يوسف، آية: ٢٢.

(٤) سورة الأنبياء، الآيتين: ٧٨ - ٧٩.

(٥) سورة القصص، آية: ١٤.

ونادى جل وعلا عيسى ابن مريم بقوله: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) (١)، وامتن جل وعلا على محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) (٢)، وأمره جل وعلا أن يسأله المزيد من العلم فقال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (٣).

يقول ابن قيم الجوزية: «وكفى بهذا شرفاً للعلم أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه» (٤). كما قال أبو بكر الجزائري: «ولو لم يكن العلم أشرف شيء في الحياة لما طلب الله جل جلاله من رسوله أن يسأل المزيد منه» (٥).

وقال ابن باز في بيان فضل العلم والعلماء: «والعلماء الذين أظهروا العلم هم خير الناس وأفضلهم على وجه الأرض وعلى رأسهم أئمتهم الرسل عليهم الصلاة والسلام والأنبياء، فهم القدوة والأساس في الدعوة والعلم والفضل يليهم أهل العلم على طبقات، فكل من كان أعلم بالله وبأسمائه وصفاته وأكمل في العمل والدعوة كان أقرب الناس من الرسول ومن درجاتهم ومنازلهم في الجنة، فأهل العلم هم أئمة هذه الأرض ونورها وسرجها وهم أولى بها من غيرهم؛ يرشدون الناس إلى طريق السعادة ويهدونهم إلى أسباب النجاة ويقودونهم إلى ما فيه رضا الله جل وعلا والوصول إلى كرامته والبعد عن أسباب غضبه وعذابه» (٦).

ولقد أخبرنا الله جل وعلا برفعة أهل العلم والإيمان فقال تعالى: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (٧)؛ لذلك أمر الله تعالى

- (١) سورة المائدة، آية: ١١٠.
- (٢) سورة النساء، آية: ١١٣.
- (٣) سورة طه، آية: ١١٤.
- (٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (١٤٢٥هـ)، مفتاح دار السعادة، (ط٢)، دار الكتاب العربي، بيروت، (ص٥٤).
- (٥) الجزائري، أبو بكر جابر، (١٤٠٦هـ)، العلم والعلماء، (ط٢)، دار الشروق، جدة، (ص١٧).
- (٦) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، (١٤٢٥هـ)، شرف العلم وآداب أهله، دار الضياء، طنطا، (ص٢٣ - ٢٤).
- (٧) سورة المجادلة، آية: ١١.

بالرجوع للعلماء وسؤالهم عند عدم العلم فقال تعالى: (فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (١).

ومن عظيم ما مدح الله به أهل العلم أن جعل كتابه العزيز آيات بينات في صدورهم، فقال تعالى: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْدُتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَحْجَدُّ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) (٢).

فصار هذا العلم الذي في صدورهم سبب لخشية الله جل وعلا، فقال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (٣).

لذلك يكون طلب العلم أفضل من نوافل العبادات البدنية، يعلل ذلك الإمام ابن جماعة رحمه الله بقوله: «إن الاشتغال بالعلم أفضل من نوافل العبادات البدنية من صلاة وصيام وتسبيح ودعاء ونحو ذلك؛ وذلك لأن نفع العلم يعم صاحبه وغيره، والنوافل البدنية مقصورة على صاحبها، ولأن العلم مصحح لغيره من العبادات فهي تفنقر إليه وتتوقف عليه ولا يتوقف هو عليها، ولأن العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والتسليم وليس ذلك للمتعبدين، ولأن طاعة العالم واجبة على غيره، ولأن العلم يبقى أثره بعد موت صاحبه، وغيره من النوافل تنقطع بموت صاحبها، ولأن في بقاء العلم إحياء الشريعة وحفظ معالم الملة» (٤).

ولقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم فضل طلب العلم ورغب فيه، فعن كثير بن قيس قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما جئت لحاجة، قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله عز وجل به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم فمن**

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٩.

(٣) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٤) ابن جماعة، محمد بن إبراهيم، (٤٢٣ هـ)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الضياء، طنطا، (ص ٧٢ - ٧٣).

## أخذه أخذ بحظ وافر»<sup>(١)</sup>.

يقول ابن قيم الجوزية معقبًا على هذا الحديث: «والطريق التي يسلكها إلى الجنة جزاء على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصلة إلى رضا ربه، ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعًا وتوقيرًا وإكرامًا لما يحمله من ميراث النبوة ويطلبه وهو يدل على المحبة والتعظيم»<sup>(٢)</sup>.

ولقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم العلماء بالبقاع، فمنها المنتفع بالغيث المنبثة للكأ، ومنها القيعان التي لم تنتفع ولم تنبت، فعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن قدامة معقبًا على هذا الحديث: «فانظر رحمك الله إلى هذا الحديث ما أوقعه على الخلق، فإن الفقهاء أولي الفهم كمثل البقاع التي قبلت الماء فأنبتت الكأ لأنهم علموا وفهموا وفرّعوا وعلّموا، وغاية الناقلين من المحدثين الذين لم يرزقوا الفقه والفهم أنهم كمثل الأجادب التي حفظت الماء فاننتفع بما عندهم، وأما الذين سمعوا ولم يتعلموا ولم يحفظوا فهم العوام الجهلة»<sup>(٤)</sup>.

ومن تفقه في الدين فليعلم يقينًا أن الله تعالى أراد به خيرًا، قال حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيبًا يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»<sup>(٥)</sup>.

يقول ابن حجر في فتح الباري: «ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين – أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل به من الفروع – فقد حُرِمَ الخير»<sup>(٦)</sup>.

(١) السجستاني، سليمان بن الأشعث، (١٤٢٧هـ)، سنن أبي داود، (ط٢)، مكتبة المعارف، الرياض، كتاب العلم، باب في فضل العلم، (ص٦٥٥) حديث رقم [٣٦٤١].

(٢) ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، (ص٦٧).

(٣) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب العلم، باب فضل من علّم وعلّم، (ص١٩)، حديث رقم [٧٩].

(٤) ابن قدامة، أحمد بن عبد الرحمن، (١٤٠٣هـ)، مختصر منهاج القاصدين، (ط٣)، مكتبة دار البيان، دمشق، (ص٩).

(٥) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين، (ص١٧)، حديث رقم [٧١].

(٦) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (١٤٢١هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار

ومن الثمرات التي ينالها طالب العلم الرباني هي القرب من الله تعالى والسعادة في الدنيا والآخرة، يقول الغزالي: «إذا نظرت إلى العلم رأيت له لذيةً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به، وأعظم الأنبياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها، ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، فهو أفضل الأعمال، وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرته، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين، والالتحاق بأفق الملائكة ومقارفة الملائكة الأعلى، هذا في الآخرة، وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع»<sup>(١)</sup>.

ولقد حظي طالب العلم بدعوة من النبي صلى الله عليه وسلم بالنضارة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **خُذِرَ اللهُ امرءاً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم**»<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن قيم الجوزية: «فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان وابتهاج الباطن به وفرح القلب وسروره والتذاذه به فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه ولهذا يجمع له سبحانه بين البهجة والسرور والنضرة»<sup>(٣)</sup>.

وأما حديث الثلاثة نفر الذين جاءوا لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فيعلق عليه ابن حجر بقوله: «ومعنى فأواه الله أي جازاه بنظير فعله بأن ضمه إلى رحمته ورضوانه، وفيه استحباب الأدب في مجالس العلم وفضل سد خلل الخلقة.... ومنه الثناء على من زاحم في طلب الخير»<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن قيم الجوزية معلقاً على هذا الحديث: «فلو لم يكن لطالب العلم إلا أن الله يؤويه إليه ولا يعرض عنه لكفى به فضلاً»<sup>(٥)</sup>.

السلام للنشر والتوزيع، الرياض، (١٧/١).

(١) الغزالي، محمد بن محمد، (١٤٢٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، لبنان (ص ٣٣).  
(٢) الترمذي، محمد بن عيسى، (١٤٢٠هـ)، جامع الترمذي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، أبواب العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع (ص ٦٠٣)، حديث رقم [٢٦٥٧].

(٣) ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، (ص ٧٥).

(٤) العسقلاني، مرجع سابق، (٢٠٧/١).

(٥) ابن قيم الجوزية، مرجع سابق (ص ١٢٣).

ومن فضل العلم وثمرته أن أجر العالم لا ينقطع حتى بعد موته إن ترك علمًا ينتفع به، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(١)</sup>.

يقول النووي: «وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه وبيان فضل العلم والحث على الاستكثار منه، والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع»<sup>(٢)</sup>.

يقول أنس كرزون: «فما أعظم الخيرات التي تنصب كالغيث من الثواب والحسنات وتستمر بلا انقطاع ما دام علم هذا العالم يتناقله تلاميذه جيلاً بعد جيل، وكتبه ومؤلفاته ينتفع بها العباد في شتى البلاد»<sup>(٣)</sup>.

فإذا أدرك طالب العلم فضيلة ما يتعلم كان لزاماً عليه أن يستزيد منه، ويقطع كل شاغل يشغله عنه، يقول أبو هلال العسكري: «فإذا كان العلم مؤنساً في الوحدة، ووطنياً في الغربية، وشرقاً للوضع، وقوة للضعيف، ويساراً للمقتر، ونباهة للمغمور، حتى يلحقه بالمشهور المذكور، كان من حقه أن يؤثر على أنفس الأعلام، ويقدم على أكرم العقد، ومن حق من يعرفه حق معرفته أن يجتهد في التماسه ليفوز بفضيلته، فإن من كانت هذه خصاله كان التقصير في طلبه قصوراً، والتفريط في تحصيله لا يكون إلا بعدم التوفيق، ومن أقصر عنه أو قصّر دونه فليأذن بخسران الصفقة»<sup>(٤)</sup>.

ويحذر طالب العلم من التعلم لغير وجه الله تعالى، أو يصيب به عرضاً من الدنيا، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعني ربحها<sup>(٥)</sup>.

يقول محمد رسلان: «فتعلم العلم لغير وجه الله تعالى ابتغاء لشهرة فارغة

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (١٤٢١هـ)، صحيح مسلم، (ط٢)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (ص٧١٦) حديث رقم [٤٢٢٣].

(٢) النووي، محيي الدين، (١٤٢٨هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (ط٤)، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان (١١/٨٨).

(٣) كرزون، أنس أحمد، (١٤٢٦هـ)، آداب طالب العلم، (ط٥)، دار نور المكتبات، جدة، (ص١٨).

(٤) العسكري، الحسن بن عبد الله، (١٤١٨هـ)، الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، (د. ط)، دار الفضيلة، القاهرة، (ص٥٤).

(٥) ابن ماجه، محمد بن يزيد، (د.ت)، سنن ابن ماجه، مكتبة الرشد، الرياض، باب: الوصية بطلب العلم، (ص٦١)، حديث رقم [٢٥٢].

وطلباً لشهوة عاجلة، وسعيًا وراء تقدير يصير إلى عدم، وعدوًا خلف فرح يؤول إلى ندم، كل ذلك مما يدخل في دائرة الوعيد، وينظم في سلك التحريم الشديد»<sup>(١)</sup>.



(١) رسلان، محمد بن سعيد، (١٤٢٦ هـ)، آفات العلم، دار ابن الهيثم، القاهرة، (ص ١٣ - ١٤).

## المبحث الثاني

### الرحلة.. تعريفها ومجالاتها في الإسلام

#### التعريف بالرحلة:

#### الرحلة لغة:

أجمعت قواميس اللغة التي اطلع عليها الباحث على أن المقصود بالرحلة هو: الارتحال والسير، أي الانتقال من بلد إلى بلد.

ورد في المعجم الوسيط: «حل عن المكان رحلاً ورحيلاً وترحالاً، ورحلة: سار ومضى»<sup>(١)</sup>.

وذكر الرحل في مفردات ألفاظ القرآن الكريم: «الرحل ما يوضع على البعير ثم يعبر به تارة عن البعير وتارة عما يجلس عليه في المنزل وجمعه رحال، قال

تعالى: (وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بَعْضُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ)<sup>(٢)</sup>، والرحلة: الارتحال، قال تعالى:

(رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

ويورد ابن فارس مفهوماً أدق لمادة رحل فيقول: «الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر، يقال رحل يرحل رحلاً، والرحلة: الارتحال»<sup>(٥)</sup>.

#### الرحلة اصطلاحاً:

عرّفه صالح الأنصاري بقوله: «أما السفر اصطلاحاً فهو قطع المسافة بنية الانتقال لبلد آخر»<sup>(٦)</sup>.

وعرّفها عبد الحكم الصعيدي بقوله: «الرحلة من الارتحال وهي تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين، مادياً كان ذلك الهدف أو معنوياً»<sup>(٧)</sup>.

(١) إبراهيم مصطفى، وآخرون، (١٣٩٢هـ)، المعجم الوسيط، (ط٢)، المكتبة الإسلامية، تركيا، (٣٣٤/١).

(٢) سورة يوسف، آية: ٦٢.

(٣) سورة قريش، آية: ٢.

(٤) الراغب الأصفهاني، الحسين، (١٤١٢هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق (ص٣٤٧).

(٥) ابن فارس، أحمد، (١٤٢٠هـ)، معجم مقاييس اللغة، (د. ط)، دار الجيل، بيروت (٢/٤٩٧).

(٦) الأنصاري، صالح بن سعد، (١٤١٧هـ)، السفر بين الرحلة والإغاثة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (ص١٥).

(٧) الصعيدي، عبد الحكم عبد اللطيف، (١٤١٦هـ)، الرحلة في الإسلام، مكتبة الدار العربية

وبتلك التعريفات يبلور الباحث تعريفًا اصطلاحيًا للرحلة هو: «حركة ينتج عنها الانتقال من مكان إلى مكان لهدف معين».

مجالات الرحلة في الإسلام:

تقسم مجالات الرحلة في الإسلام إلى أربعة أقسام رئيسية هي:

أ - الرحلات الدينية، وتشمل:

- ١ - الهجرة في سبيل الله.
- ٢ - الجهاد في سبيل الله.
- ٣ - التفكير في مخلوقات الله.
- ٤ - أداء الحج أو العمرة.
- ٥ - الدعوة إلى الله تعالى.
- ٦ - بر الوالدين وصلة الأرحام.
- ٧ - إصلاح ذات البين.

ب - الرحلات العلمية: وتشمل الرحلة في طلب العلم، وأيضًا الرحلات الجغرافية والتاريخية والاستكشافية.

ج - الرحلات الرسمية: وهي الرحلة للتمثيل الدبلوماسي وإقامة العلاقات بين الدول.

د - الرحلات الشخصية، وتشمل:

- ١ - الرحلة للاستشفاء وطلب الدواء.
- ٢ - الرحلة للتجارة.

أ - الرحلات الدينية:

١ - الهجرة في سبيل الله:

إن من حق كل إنسان أن يعيش في مجتمع آمن، ليتمكن من ممارسة حياته الطبيعية والعيش بسلام، فإذا لم يأمن المسلم على دينه ونفسه وأهله وماله حق له أن يرحل حيث يجد الأمن والسلام.

قال تعالى: (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ

مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (١).

للكتاب، القاهرة، (ص ١٥).

(١) سورة النساء، آية: ١٠٠.

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (مُرْغَمًا): «المنع الذي يتخلص به ويراعم به الأعداء» (١).

ويقول الطبري في تفسير هذه الآية: «إن الله تعالى أخبر أن من هاجر في سبيله يجد في الأرض مضطرباً ومتسعاً، وقد يدخل في السعة: السعة في الرزق والغنى من الفقر» (٢).

وقد يكون المراغم مشتمل على مصالح الدين، والسعة على مصالح الدنيا كما وضح ذلك السعدي في تفسيره للآية الكريمة؛ حيث يقول: «هذا بيان الحث على الهجرة والترغيب فيها وبيان ما فيها من المصالح، فوعد الصادق في وعده أن من هاجر في سبيل ابتغاء مرضاته أنه يجد مراغماً في الأرض وسعة، فالمراغم مشتمل على مصالح الدين والسعة على مصالح الدنيا» (٣).

ولهذا يتعرض من لم يهاجر من بلد الشرك إلى بلد الإسلام للتوبيخ من الملائكة عند موته، ولعذاب الله تعالى في الآخرة، فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَنَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (٤).

ولقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم الهجرة وجعلها إلى يوم القيامة، عن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» (٥).

أما ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا» (٦). يعني لا هجرة من مكة بعد فتحها، يقول ابن حجر: «لا هجرة بعد الفتح، أي: فتح مكة، قال الخطابي وغيره: كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم لقلّة المسلمين بالمدينة، وحاجتهم إلى الاجتماع، فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين

(١) ابن كثير، إسماعيل، (١٤١١هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الغد العربي، القاهرة (١/٥٤٣).

(٢) الطبري، محمد بن جرير، (١٤٢٣هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت (٢/٥٤٠).

(٣) السعدي، مرجع سابق، (ص ١٩٦).

(٤) سورة النساء، آية: ٩٧.

(٥) السجستاني، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب في الهجرة، هل انقطعت؟ (ص ٤٣٥)، حديث رقم [٢٤٧٩].

(٦) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل الجهاد والسير (ص ٤٦١)، حديث رقم [٢٧٨٣].

الله أفواجاً، فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو»<sup>(١)</sup>.

إذاً تكون الهجرة واجبة عند العجز عن إقامة شعائر الدين، وتعطل المصالح الدينية والدنيوية، يقول اللاحم: «ولا تزال الهجرة واجبة من كل بلد لا يستطيع المسلم فيه إقامة شعائر دينه إلى قيام الساعة لما فيها من المنافع للمهاجر، والمصالح الدينية والدنيوية من إظهار شعائر دينه والأمن على نفسه وسعة الصدر والرزق والقوة والمنعة وإغاظة عدوه»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فإن الهجرة لا تُعد صورة من صور الجبن، ولا لوناً من ألوان الضعف، وإنما نوعاً من الانتصار على العدو والنفس، يقول جزولي: «والمسلمون مأمورون بالفرار إلى الله، أي الهجرة إليه، قال تعالى: (فَرُّوا إِلَى اللَّهِ

إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)»<sup>(٣)</sup> إذاً الهجرة فرار إلى الله... فرار إلى التوحيد، فرار إلى الانتصار وليس هرباً ولا فراراً من الكفاح كما يزعم أعداء الإسلام من المبشرين والمستشرقين ومن تابعهم»<sup>(٤)</sup>.

## ٢ - الجهاد في سبيل الله:

إن الجهاد في سبيل الله من أفضل القربات، وأعظم الطاعات؛ لما يترتب عليه من إعلاء لكلمة الدين، ونصر للمؤمنين، وقطع للكافرين، ونشر محاسن الدين العظيم.

ولقد ورد في فضل الجهاد في سبيل الله من الآيات والأحاديث ما يحفز الهمم، ويرقى بالمؤمنين إلى القمم، فمنها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)<sup>(٥)</sup>.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يخبر الله أنه عاوض من عباده المؤمنين

(١) العسقلاني، مرجع سابق، (٦/ص ٤٨).

(٢) اللاحم، أ.د سليمان بن إبراهيم، (٤٢٤ هـ)، وجوب الهجرة في سبيل الله، دار العاصمة، الرياض، (ص ٥).

(٣) سورة الذاريات، آية: ٥٠.

(٤) جزولي، أحزمي سامعون، (١٤١٧ هـ)، الهجرة في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، (ص ٥٩).

(٥) سورة التوبة، آية: ١١١.

عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوا في سبيله بالجنة وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قَبِلَ العِروضَ عما يملكه بما تفضل به على عبده المطيعين له» (١).

ولقد دل الله تعالى المؤمنين على تجارة تنجيهم من عذاب أليم، فقال جل وعلا: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُرْ عَلَى تَحَرُّمٍ تُنجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَّابُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ) (٢).

وقال تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (٣).

فهذا أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين أن ينفروا إلى الجهاد خفافاً وثقالاً أي شبيهاً وشباباً، وأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

كما رغب النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد وبين فضله وجزاءه، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لغدوة في سبيل الله أو راحة خير من الدنيا وما فيها» (٤).

قال النووي في شرح هذا الحديث: «ومعنى هذا الحديث أن فضل الغدوة والروحة في سبيل الله وثوابها خير من نعيم الدنيا كلها لو ملكها إنسان وتصور تنعمه بها كلها، لأنه زائل ونعيم الآخرة باق» (٥).

فمن أراد الجنة ونعيمها فالجهاد.. الجهاد.

ولا تقل المرابطة في سبيل الله عن الجهاد في الأهمية والفضل؛ لأن المرابط يبقى في الأماكن التي يخاف على أهلها من الأعداء، ففيها طاعة الله تعالى وفلاح

في الدارين، قال تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (/).

(٢) سورة الصف، آية: ١٠ - ١١.

(٣) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٤) النيسابوري، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل الله (ص ٨٤٣) حديث رقم [٤٨٧٣].

(٥) النووي، مرجع سابق، (٣٠/١٣).

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ» (١).

يقول الصابوني: «أي: اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد، (وَصَابِرُوا) أي غالبوا أعداء الله بالصبر على أهوال القتال وشدائد الحروب، (وَرَابِطُوا) أي لازموا ثغوركم مستعدين للكفاح والغزو، (وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ) أي تخافوا الله فلا تخالفوا أمره لتفوزوا بسعادة الدارين» (٢).

كما رغب النبي صلى الله عليه وسلم في المرابطة في سبيل الله، وبين فضلها، فقد روى الترمذي بسنده عن سهل بن سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رَبَاطٌ يَوْمٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرُّوحَةُ يَرْوَحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعٌ سَوَّطٌ أَحَدَكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» (٣).

فإذا أدرك المؤمن هذا الفضل العظيم للجهاد والمرابطة في سبيل الله هان عليه كل صعب في رحيله، وذلت له كل مشقة في طريقه؛ لأنه يعلم أن الجزاء هو الجنة.

### ٣ - التفكير في مخلوقات الله:

لا يخلو المسلم من أن يكون في رحلة برية أو بحرية أو جوية، يجدها فرصة لأن يفتح عينه وقلبه للنظر والتفكير في مخلوقات الله تعالى، ولتزداد عظمة الخالق جل وعلا في قلبه، وليداوم على ذكره وشكره، وليتذكر قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْأَفْلاكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (٤).

يقول السعدي عند تفسير هذه الآية: «... والحاصل أنه كلما تدبر العاقل في

(١) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.  
 (٢) الصابوني، محمد علي، (١٤٠٢هـ)، صفوة التفاسير، (ط٤)، دار القرآن الكريم، بيروت (٢٥٤/١).  
 (٣) الترمذي، مرجع سابق، أبواب فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل المرابط (ص ٤٠٠) حديث رقم [١٦٦٤].  
 (٤) سورة البقرة، آية: ١٦٤.

هذه المخلوقات، وتغلغل فكّره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة علم بذلك أنها خُلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات وكتب دلالات على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مسخرات ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها»<sup>(١)</sup>.

ويقول الجزائري عند تفسير هذه الآية: «... إلا أن الذي يجد هذه الأدلة ويراهها ماثلة في الآيات المذكورة هو العاقل، أما من لا عقل له؛ لأنه عطل عقله فلم يستعمله في التفكير والفهم والإدراك، واستعمل بدل العقل الهوى فإنه أعمى لا يبصر شيئاً وأصم لا يسمع شيئاً، وأحمق لا يعقل شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

فإذا أقر المسلم بوحدانية الخالق العظيم جل وعلا وجب عليه أموراً اعتبرها عبد العزيز الجليل ثمرات للتفكير والتدبير وهي:

«الثمرة الأولى: محبة الله عز وجل، المحبة العظيمة على إنعامه وإحسانه وجلاله وعظمته، فالنفس مجبولة على حب من أحسن إليها ولو مرة واحدة، فكيف بمن نِعمه مدراره ومتواصلة تواصل الأنفاس ولا يقدر أحد أن يحصيها.

الثمرة الثانية: القيام بواجب الشكر لله عز وجل على نِعمه العظيمة، وهذا الواجب يقتضي أموراً ثلاثة:

الأول: الاعتراف بالقلب لله عز وجل بأنه المنعم الحقيقي.

الثاني: اللهج باللسان بشكر الله عز وجل وحمده والثناء عليه.

الثالث: الشكر لله بأعمال الجوارح.

الثمرة الثالثة: الإزدراء بالنفس، والشعور بالتقصير في حق الله تعالى وشكره...

الثمرة الرابعة: المحافظة على النعم والحذر من أسباب زوالها»<sup>(٣)</sup>.

وقد يجد المتدبر المتفكر في مخلوقات الله تعالى نوع تعظيم في قلبه لا يجده على أي حال، كما حدث لابن الجوزي حيث يقول: «عرض لي في طريق الحج خوف من العرب، فسرنا على طريق خيبر، فرأيت من الجبال الهائلة، والطرق العجيبة ما أذهلني، وزادت عظمة الخالق عز وجل في صدري، فصار يعرض

(١) السعدي، مرجع سابق، (ص ٧٩).

(٢) الجزائري، أبو بكر جابر، (١٤١٩هـ)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة أضواء المنار، جدة، (ص ٦٩).

(٣) الجليل، عبد العزيز بن ناصر، (١٤٢٦هـ)، أفلا تتفكرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، (ص ٢٠٨ - ٢١١ - ٢١٤ - ٢١٩).

لي عند ذكر تلك الطرق نوع تعظيم، لا أجده عند ذكر غيرها، فصرتُ بالنفس: ويحك! اعبري إلى البحر وانظري إليه وإلى عجائبه بعين الفكر تشاهدي أهوالاً هي أعظم من هذه، ثم اخرجي عن الكون والتفتي إليه، فإنك ترينه بالإضافة إلى السموات والأفلاك كذرة في فلاة.

ثم جولي في الأفلاك، وطوفي حول العرش، وتلمحي ما في الجنان والنييران ثم اخرجي عن الكل، والتفتي إليه فإنك تشاهدين العالم في قبضة القادر الذي لا تقف قدرته عند حد.

ثم التفتي إليك، فتلمحي بدايتك ونهايتك، وتفكري فيما قبل البداية وليس إلا العدم، وفيما بعد البلى، وليس إلا التراب.

فكيف يأنس بهذا الوجود من نظر بعين فكره المبدأ والمنتهى؟ وكيف يغفل أرباب العقول عن ذكر هذا الإله العظيم»<sup>(١)</sup>.

فأنعم برحلة يستدل فيها المؤمن على عظمة الخالق جل وعلا، فيزداد إيماناً ويقيناً.

يقول العضياني: «هكذا يرى المسلم الكون كتاباً ناطقاً بوحداية الله وربوبيته، تتغلب صفحاته بمشاهد الخلق والقدرة والملك والقوة، إنه كتاب ناطق، تتعاقب فصوله كالمثنائي يصدق بعضها بعضاً»<sup>(٢)</sup>.

#### ٤ - أداء الحج والعمرة:

يقول تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)<sup>(٣)</sup>.

يقول الطبري: «وفرض واجب لله - على من استطاع من أهل التكليف السبيل إلى حج بيته الحرام - الحج إليه»<sup>(٤)</sup>.

ويقول القرطبي: «(الله) لام الإيجاب والإلزام، ثم أكد بقوله تعالى: (على) التي هي من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب... فقد ذكر الله الحج بأبلغ ألفاظ

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن، (١٤٣٠هـ)، صيد الخاطر، دار الغد الجديد، القاهرة، (ص١٥٤).

(٢) العضياني، بدر بن مرزوق، (١٤٢٨هـ)، قراءة الكون بين الذكر والفكر، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (ص١٩٥).

(٣) سورة آل عمران، آية: ٩٧.

(٤) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، (٢/٢٩٤).

الوجوب تأكيداً لحقه، وتعظيمًا لحرمته، ولا خلاف في فرضيته، وهو أحد قواعد الإسلام، وليس يجب إلا مرة في العمر»<sup>(١)</sup>.

ولقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم فضل الحج المبرور، فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»<sup>(٢)</sup>.

ويقول عمر رضي الله عنه: «شدوا الرحال في الحج فإنه أحد الجهادين»<sup>(٣)</sup>. ومما جاء في فضل العمرة، ما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «ليس أحدٌ إلا وعليه حجة وعمرة». وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنها لقرينتها في كتاب الله عز وجل (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ)<sup>(٥)</sup>»<sup>(٦)</sup>.

فإذا استشعر المؤمن هذا الفضل العظيم هانت في طريقه الصعاب، فيشد رحله بقلب خاشع خاضع، راجياً ما عند ربه جل وعلا من جزيل الثواب.

يقول العفاني: «زعم الرحلة إلى الله،... والله ما أحلاه من صوت ضجيج، إبل وخيل الحجاج، لحظة بلحظة مع الرحلة إليه في دار الدنيا، إلى بيته العتيق وقفة وأي وقفة! وقفة تصحح القصد، وتشدّ الهمم، وتطيب السير.

أيها الحجاج! أندرون من تقصدون، وإلى من تعمدون؟

أتظنون الحج مفارقة الأوطان؟، وترك مقارفة النسوان؟... وقطع المراحل على الرواحل؟ كلا والله.

بل خلوص النية للبر قبل البرية، وإصلاح الطوية قبل امتطاء المطية، والترهيب ليوم الميقات قبل التأهب في الميقات، ونزع لباس الإلباس قبل خلع هذا

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، (١٤٢٥هـ)، الجامع لأحكام القرآن، مكتبة الصفا، القاهرة، (١٠٩/٤).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الحج، باب: فضل الحج المبرور، (ص ٢٧٤)، حديث رقم [١٥٢١].

(٣) المرجع السابق، (ص ٢٤٦).

(٤) النيسابوري، مرجع سابق، كتاب الحج، باب: فضل الحج والعمرة، (ص ٥٦٩)، حديث رقم [٣٢٨٩].

(٥) سورة البقرة، آية: ١٩٦.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الحج، باب: وجوب العمرة وفضلها، (ص ٢٨٥).

اللباس، وهجر التخليط والتفريط قبل ترك المخيط»<sup>(١)</sup>.

٥ - الدعوة إلى الله:

تُعد الدعوة إلى الله تعالى من أعظم العبادات وأجلها، قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ

قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) <sup>(٢)</sup>.

يقول السعدي عند تفسير هذه الآية: «هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر، أي: لا أحد أحسن قولاً، أي: كلاماً وطريقة وحالة، (مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ) بتعليم الجاهلين ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصاً من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن والنهي عما يضاده من الكفر والشرك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»<sup>(٣)</sup>.

إن المتبع لسنة النبي صلى الله عليه وسلم يجعل الدعوة إلى الله شعاراً له امتثالاً لقوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) <sup>(٤)</sup>.

يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين الجن والإنس، أمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو إلى الله على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعوا إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي...»<sup>(٥)</sup>.

### من صفات الداعية المسلم:

١ - **التزود بالعلم الشرعي**، يقول القرضاوي: «إن أول ما يلزم الداعية المسلم من عدة فكرية، أن يتسلح بثقافة إسلامية ثابتة الأصول، بأسقة الفروع، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

(١) العفاني، السيد بن حسين، (١٤١٨هـ)، الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة، (ط٢)،

مكتبة معاذ بن جبل، بني سويف، (٥٧/١).

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٣) السعدي، مرجع سابق، (ص٧٤٩).

(٤) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (٥٠٩/٢).

ونعني بالثقافة الإسلامية: الثقافة التي محورها الإسلام، مصادره وأصوله وعلومه المتعلقة به، المنبثقة عنه، وهذا أمر منطقي، فإن الداعية الذي يدعو إلى الإسلام لابد أن يعرف ما الإسلام الذي يدعو الناس إليه؟

ولابد أن تكون هذه المعرفة يقينية عميقة، لا سطحية مضطربة، ولهذا كان لابد أن يستمد هذه المعرفة عن الإسلام من مصادره الأصلية ومن ينابيعه المصفاة، بعيداً عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»<sup>(١)</sup>.

٢ - الرفق، على الداعية إلى الله أن يدرك أن الرفق أنجح سبيل في الدعوة إلى الله تعالى، روى مسلم بسنده عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»<sup>(٢)</sup>.

٣ - التواضع، يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: (فِمَارْحَمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)<sup>(٣)</sup>، وللداعية في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فلولا تواضعه صلى الله عليه وسلم لما اجتمع عليه الناس.

يقول العمار: «والتواضع يمكن الدعاة من جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس، فيستمعون إليهم ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم»<sup>(٤)</sup>.

٤ - الصبر: على الداعية إلى الله أن يتحلى بالصبر، مقتدياً بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي امتثل أمر ربه جل وعلا حيث قال تعالى: (فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ)<sup>(٥)</sup>، ولا ينسى الداعية قول الله تعالى: (وَأَصْبِرْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)<sup>(٦)</sup>.

إذا اتصف الداعية بمثل هذه الصفات، بدأ دعوته في الأقربين، ثم ينطلق في أفق رحب، لا تعيقه عوائق زمانه، ولا حدود مكانه، ينشد صخرة إسلامية عالمية.

(١) القرضاوي، يوسف، (١٤٠٥هـ)، ثقافة الداعية، (ط٧)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ص٩).

(٢) النيسابوري، مرجع سابق، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: فضل الرفق، (ص١١٣٣)، حديث رقم [٦٦٠١].

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) العماد، حمد بن ناصر، (١٤٢٤هـ)، صفات الداعية، (ط٣)، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض، (ص٥٧).

(٥) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

يقول الراوي: «فالصحوة في مضمونها على المستوى العالمي تنشد صلاحًا وإصلاحًا، وتطلب وقاية ونجاة لا في ديار المسلمين وحدهم بل في العالم كله. ولسان حالها ينشد دين الحق علاجًا لواقع، وإصلاحًا لفساد، ووقاية ونجاة من خطر محقق ودمار محقق...»

إن هذا التنادي العالمي ينشد في فطرته الدين العالمي لكي يقوم بدوره في الإصلاح والإنقاذ في جد وإخلاص وصدق وتعاون»<sup>(١)</sup>.

فلا تبلغ الصحوة الآفاق إلا إذا انبرى لها دعاة مخلصين، صادقين، صابرين.

٦ - بر الوالدين وصلة الأرحام:

لقد أمر الله تعالى بالإحسان للوالدين، وجعل برهما من ألزم الأمور وأوجبها فقال تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا مِّمَّا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا) <sup>(٢)</sup>.

يقول ابن كثير عند تفسير هاتين الآيتين: «يقول تعالى أمرًا بعبادته وحده لا شريك له، فإن القضاء هنا بمعنى الأمر..»

(إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا مِّمَّا أُفٍّ) أي لا تسمعهما قولًا سيئًا حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ، (وَلَا نَهْرُهُمَا) أي ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) أي لينًا طيبًا حسنًا بتأدب وتوقير وتعظيم، (وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) أي تواضع لهما بفعلك، (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا) أي في كبرهما وعند وفاتهما»<sup>(٣)</sup>.

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك أدناك»<sup>(٤)</sup>.

(١) الراوي، محمد، (١٤١٥هـ)، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، مكتبة العبيكان، الرياض، (ص ١١).

(٢) سورة الإسراء، الآيتين: ٢٣ - ٢٤.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (٣٥/٣).

أدناك» (١).

كما نهى الله تعالى عن قطيعة الأرحام، فهي تزيل الألفة والمودة وتؤذن باللعنة وتعجيل العقوبة، فهي تمنع من نزول الرحمة ودخول الجنة، قال تعالى: ( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ) (٢).

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتْ الرَّحْمَ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ، وَأَقْطَعُ مِنْ قَطْعِكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، فَهُوَ لَكَ» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ) (٣)» (٤).

فحري بالمؤمن الذي يخاف عقاب ربه، الراجي ثوابه وإحسانه، أن يبزر والديه بصلتها والإحسان إليهما، وأن يصل ذوي رحمه وإن قطعوه، فيقوم بزيارتهم وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، والتصدق على فقيرهم والتلطف مع غنيهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم.

٧ - إصلاح ذات البين:

إذا تلذت طائفتان من المؤمنين بنار الفرقة والتنازع وقيدوا أنفسهم بأغلال الحقد والتباغض، وأصبح كل شيء عندهم أغلى من الأخوة الإيمانية، وجب على المسلمين أن يصلحوا بينهم فيبعثوا إليهم المصلحين الصالحين، لرأب الصدع وجمع الكلمة وإخماد نار الفتنة، امتثالاً لأمر الله جل وعلا؛ حيث قال: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغَى حَتَّى تَفِئَءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا

(١) النيسابوري، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والأدب، باب: بر الوالدين وأيهما أحق به، (ص ١١٧)، حديث رقم [٦٥٠١].

(٢) سورة محمد، الآيتين: ٢٢ - ٢٣.

(٣) سورة محمد، آية: ٢٢.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب: من وصل وصله الله، (ص ١٠٤٨)، حديث رقم [٥٩٨٧].

الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١).

يقول الجزائري عند تفسير الآيتين الكريمتين: «يرشد الله تعالى المسلمين إلى كيفية علاج مشكلة النزاع المسلح بين المسلمين الذي قد يحدث في المجتمع الإسلامي بحكم الضعف الإنساني من وقت إلى وقت، وهو مما يكاد يكون من ضروريات الحياة البشرية وعوامل كثيرة..»

(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ آلِ إِسْرَائِيلَ إِتَّفَقَتَا عَلَى أَنْ يَأْتِيَنَّكَ مِنَ بَيْنِ يَدَيْهِمَا نَجْوَىٰ مِنَ الْكُفْرَانِ فَقَدْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمَا وَأَلَمْنَا بِكَ الْكُفْرَانَ وَلَقَدْ لَمَّمْنَا كَثِيرًا مِمَّنْ ظَهَرَ مِنَ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ آلِ إِسْرَائِيلَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَتَّخَذْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ نَسَبًا مِمَّا خَلَقْنَا لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢).

الطرفين بما هو حق وخير، وليس هذا بصعب مع وجود قلوب مؤمنة وهداية ربانية» (٢).

ولا بأس في أن يتخذ المصلحون شتى وسائل الإصلاح، حتى ولو قالوا غير الحقيقة، فقد روى الترمذي بسنده عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نما خيراً» (٣).

## ❖ ب: الرحلات العلمية:

وتشمل ما يلي:

### ١ - الرحلة في طلب العلم:

كالرحلات التي يقوم بها طلاب العلم للقراءة على الشيوخ، أو السماع منهم، كذلك حضور المؤتمرات والاجتماعات والندوات العلمية، وتشمل أيضاً ابتعاث الطلاب للدراسة داخلياً أو خارجياً.

### ٢ - الرحلات الجغرافية:

إن الإرتباط بين الرحلات الجغرافية والتجارية جد وثيق، فالعرب قديماً كانوا يرحلون للتجارة ويسجلون كل ما يمرون عليه من طرق برية أو بحرية، كما يصفون البلاد التي دخلت في حوزتهم جراء الفتوحات الإسلامية، وربما احتاجت الدولة لمعرفة ذلك لأغراض شتى.

يقول شوقي ضيف: «وكانت الدولة تحتاج من جهة الخراج والإدارة إلى معرفة المسالك في البر لتنظيم البريد والاتصال بالبلاد المختلفة، فعني الجغرافيون

(١) سورة الحجرات، الآيتين: ٩ - ١٠.

(٢) الجزائري، مرجع سابق، (ص ١٢٦٢).

(٣) الترمذي، مرجع سابق، أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في إصلاح ذات البين، (ص ٤٥١)،

حديث رقم [١٩٣٨].

بهذا الجانب، وزاد في عنايتهم به حاجة الحجاج إلى معرفة محطات القوافل في طريقهم إلى مكة، ومن هنا سموا كثيراً من كتبهم باسم (المسالك والممالك)»<sup>(١)</sup>.

ومن أشهر الرحالة الجغرافيين:

«- ابن خرداذبة (توفي ٢٧٢هـ/٨٨٥م)، له كتاب (المسالك والممالك) حققه المستشرق دي خويه عام ١٨٨٩م.

- ابن حوقل (توفي بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، له كتاب (صورة الأرض)، وقد ترجمه إلى الفرنسية المستشرقان كرامر وفيين، وصدر في باريس عام ١٩٦٤م.

- المقدسي (توفي ٣٩٠هـ/١٠٠٠م)، له كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، نشره المستشرق دي خويه عام ١٩٠٦ في ليدين.

- المسعودي (توفي ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، له كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، وقد حققه المستشرق دي باربييه، وكتاب (التنبيه والإشراف).

- ياقوت الحموي (توفي ٦٢٧هـ/١٢٢٩م)، له كتاب (معجم البلدان)»<sup>(٢)</sup>.

٣ - الرحلات الاستكشافية:

وتشمل الرحلات إلى الفضاء، والرحلات إلى القطبين، والرحلات إلى أعماق البحار والمحيطات.

✽ ج - الرحلات الرسمية<sup>(٣)</sup>:

لقد أرسل الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام، دين السلام الذي دعا المسلمين إلى إقامة العلاقات الحسنة مع جميع الدول، إظهاراً للسماحة الدين الإسلامي، وتيسيراً للحياة، وتبادلاً للمصالح، رغم اختلاف الأديان والمعتقدات.

يقول د. شلبي: «وكان من رحمة الله بالبشرية أن جعل الإسلام وهو خاتم الأديان يشمل الوسائل التي تكفل حسن العلاقة بين الأمم بعضها البعض، وإن اختلفت تلك الأمم في العقائد والاتجاهات، فقدم النظم للتعاون في مجال السياسة، والاقتصاد، والحياة الاجتماعية، والثقافية، بل قدم النظم للتخفيف من ويلات الحرب، إن قامت الحرب بين جماعة وأخرى»<sup>(٤)</sup>.

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم برسله إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، فمن هؤلاء الرسل الصحابي الجليل دحية الكلبي الذي أرسله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم، روى البخاري أن أبا سفيان بن حرب أخبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماداً فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهو بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم

(١) ضيف، شوقي (د.ت)، الرحلات، (ط٣)، دار المعارف، القاهرة، (ص١٢).

(٢) دياب، مفتاح محمد، مرجع سابق، (ص٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠).

(٣) انظر: الملاحق (ص٢٦٠).

(٤) شلبي، أحمد، (١٩٨٧م)، العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي، (ط٥)، مكتبة النهضة

المصرية، القاهرة (ص١٩).

ودعا ترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: قلت: أنا أقربهم نسباً. قال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: لهم: إني سائل عن هذا الرجل فإن كذبتني فكذبوه. قال: فوالله لولا الحياء من أن يأتوا عليّ كذباً لكذبت عليه. ثم بدأ هرقل يسأل أبا سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان يجيبه بالحق.

ويضيف أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحيه إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك أثم الأريسيين، و(يَا هَلْ الْكِنْبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (١)» (٢).

واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في إرسال السفراء بقصد الدعوة إلى الله، والدخول في الإسلام، يقول أبو شهبة: «وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي بكتاب إلى كسرى ملك الفرس... وأوفد عليه الصلاة والسلام حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم مصر وأميرها من قبل الروم... وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة مع عمرو بن أمية الضمري... ووجه عليه الصلاة والسلام العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين... ووجه عليه الصلاة والسلام شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن شمر الغساني أمير دمشق من قبل هرقل... ووجه النبي صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو العامري بكتاب إلى هوذة بن علي ملك اليمامة» (٣).

ثم استمرت الرحلات الرسمية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبر العصور متنوعة المقاصد ومتعددة الأغراض لاسيما وقد كثرت الفتوحات

(١) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله جل ذكره: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ

مِنْ بَعْدِهِ) (ص ٣)، حديث رقم [٧].

(٣) أبو شهبة، محمد بن محمد، (١٤١٧هـ)، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، (ط ٣)، دار القلم، دمشق، (٢/٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤).

واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، يقول الحسين: «فالدبلوماسية العربية الإسلامية على وجه الخصوص، كانت تقوم بما تحاوله بعض الدول الحديثة في الوقت الحاضر لمعرفة قوة جيرانهم ومدى بأسهم وتماسكهم الداخلي، فكان هؤلاء الرسل والمبعوثين العرب يزودون بتعليمات تفصي مثلاً التأكد من صحة طلب الفريق الآخر للصالح أو المهادنة أو لتبادل الأسرى خشية أن يكون الأعداء يعملون في أوقات السلم لتدعيم قوتهم العسكرية وتعبئة قواهم الداخلية، بالإضافة إلى ذلك، فهناك مئات الأغراض الأخرى التي كانوا يبيغون معرفتها»<sup>(١)</sup>.

#### ❖ د - الرحلات الشخصية:

##### ١ - الاستشفاء وطلب الدواء:

إن من سنن الله تعالى في خلقه أن ابتلاهم بالأمراض، فلا مرض يدوم ولا عافية تستمر، فالمرء بين المرض والعافية. فمن كان صحيحاً فليحمد الله تعالى، ومن فقد هذه النعمة العظيمة فليصبر وليحتسب، وليعلم يقيناً أن ذلك من قضاء الله وقدره على العبد، فيغفر سبحانه وتعالى الذنب، ويمحو الزلة، ويرفع الدرجة، ومع ذلك يمن بالشفاء، ويستجيب الدعاء، قال تعالى: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)<sup>(٢)</sup>.

وليلتمس المريض الدواء، حتى وإن رحل من أجله، فإن النبي صلى الله عليه وسلم حث على التداوي، فعن أسامة بن شريك قال: قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا نتداوى؟! قال: «نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، أو دواء، إلا داءً واحداً» فقالوا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: «الهرم»<sup>(٣)</sup>.

وليتوكل على ربه، وليحسن الظن به جل وعلا فهو مفتاح لكل خير، يقول أبو العباس: «حسن ظنك بالله يفتح لك أبواب الشفاء، وهو لا يتم إلا إذا وجه المريض المسلم وجهه للذي فطر السموات والأرض مخلصاً له الدين مؤمناً بقضائه وقدره، معتقداً أن الله وحده بيده إزالة الآلام، وتصحيح النفوس والأجسام، إن حسن الظن به سبحانه يدعو إلى إطمئنان النفس، وهدوء البال، وتسليم الأمر له جل في علاه»<sup>(٤)</sup>.

##### ٢ - الرحلة للتجارة:

- (١) الحسين، قصي، (٢٠٠٥م)، موسوعة الحضارة العربية، العصر العباسي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (ص ٥٥٥).
- (٢) سورة الشعراء، آية: ٨٠.
- (٣) الترمذي، مرجع سابق، أبواب الطب، باب: ما جاء في الدواء والحث عليه، (ص ٤٦٩ - ٤٧٠)، حديث رقم [٢٠٣٨].
- (٤) أبو العباس، عادل عبد المنعم، (٢٠٠٦م)، خير ما يهدى للمريض، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة، (ص ٩٢، ٩٣، ٩٤).

لقد حث الدين الإسلامي على العمل والكسب الحلال؛ لأن فيه قوام الحياة، وهو السبيل إلى العيش الكريم، الذي يغني صاحبه عن المسألة، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (١).

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: «أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات» (٢).

فإذا عزم التاجر السلم على الرحيل للتجارة، كان لزاماً عليه أن يلتزم بالآداب الشرعية التي حث عليها الدين الحنيف؛ لأنه «سفير من سفراء الإسلام» (٣).

يقول شوقي ضيف: «كان التجار يضربون في أراضي جديدة عن طريق القوافل وعن طريق البحر وسفنه، وقد وصلوا في مغامراتهم إلى الصين والهند وشواطئ إفريقية الشرقية والغربية جنوبي خط الإستواء، واستطاعوا أن ينشروا الإسلام في أندونيسيا وغيرها من الجزائر الهندية النائية» (٤).

وكيف نشره إلا بالتزامهم بالآداب الشرعية الفاضلة التي منها:

#### ١ - تقوى الله سبحانه وتعالى، والصدق في البيع والشراء:

روى الترمذي بسنده عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده أنه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المصلى، فرأى الناس يتبايعون فقال: «يا معشر التجار» فاستجابوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: «إن التجار يبعثون يوم القيامة فجراً، إلا من اتقى الله وبر وصدق» (٥).

#### ٢ - السهولة والسماحة في البيع والشراء:

روى البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى» (٦).

(١) سورة الملك، آية: ١٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، (٣٩٧/٤).

(٣) سقا، مرهف عبد الجبار، (١٤٢٦هـ)، أخلاق التاجر وآداب التجارة، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ص ١٢).

(٤) ضيف، شوقي، مرجع سابق، (ص ٩).

(٥) الترمذي، مرجع سابق، أبواب البيوع، باب: ما جاء في التجارة وتسمية النبي صلى الله عليه وسلم إياهم، (ص ٢٩٥)، حديث رقم [١٢١٠].

(٦) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف، (ص ٣٣٣)، حديث رقم [٢٠٧٦].

### ٣ - كثرة الصدقة:

روى الترمذي بسنده عن قيس بن أبي غرزة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسبي السماسرة، فقال: «يا معشر التجارة إن الشيطان والإثم يحضران البيع، فشوبوا بيعكم بالصدقة»<sup>(١)</sup>.

### ٤ - التجاوز عن المعسر:

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسراً قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه»<sup>(٢)</sup>.



(١) الترمذي، مرجع سابق، أبواب البيوع، باب: ما جاء في التجارة وتسمية النبي صلى الله عليه وسلم إياهم، (ص ٢٩٥)، حديث رقم [١٢٠٨].

(٢) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب البيوت، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف، (ص ٣٣٣)، حديث رقم [٢٠٧٨].

المبحث الثالث  
الرحلة في طلب العلم

ويتضمن ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: آداب الرحلة في طلب العلم.
- المطلب الثاني: أهمية الرحلة في طلب العلم.
- المطلب الثالث: نماذج ممن رحلوا في طلب العلم.

## المطلب الأول

### آداب الرحلة في طلب العلم

ينبغي على طالب العلم الذي عزم على الرحيل لطلب العلم أن يتأدب بآداب هي خير له بعد عون الله تعالى وتوفيقه. وفيما يلي عرض لهذه الآداب التي يمكن تقسيمها إلى آداب قبل الرحيل، وأخرى بعد الرحيل.

✽ أ - آداب قبل الرحيل:

١ - إخلاص النية لله تعالى:

على طالب العلم أن يخلص نيته لله تعالى في طلبه للعلم، وفي الرحيل من أجله، «فهو سر التوفيق»<sup>(١)</sup>؛ لأن النية أساس قبول الأعمال.

ولقد صدر البخاري صحيحه بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دينا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن رجب الحنبلي عند قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»: «فإن الجملة الأولى دلت على أن صلاح العمل وفساده بحسب النية المقتضية لإيجاده، والجملة الثانية دلت على أن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة وأن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة وقد تكون نيته مباحة فيكون العمل مباحاً، فلا يحصل له ثواب ولا عقاب، فالعمل في نفسه - صلاحه وفساده وإباحته - بحسب النية الحاملة عليه المقتضية لوجوده، وثواب العامل وعقابه وسلامته بحسب النية التي صار بها العمل صالحاً أو فاسداً أو مباحاً»<sup>(٣)</sup>.

٢ - صلاة الاستخارة:

ينبغي لكل مسلم أن يكون تعلقه بربه شديداً، وأن يلجأ إليه في جميع أحواله،

(١) السلوم، عبد الله بن فهد، (١٤٢٥هـ)، في ظلال التربية، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، (ص ٧٨).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الله جل ذكره: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ

مِنْ بَعْدِهِ)، (ص ١)، حديث رقم [١].

(٣) الحنبلي، الحافظ ابن رجب، (١٤٢٤هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من

جوامع الكلم، (د. ط)، دار الحديث، القاهرة، (ص ١٤٠).

مبدئياً فقره وحاجته لِعون ربه وتوفيقه.  
ولقد سنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لأُمَّته صلاة الاستخارة في الأمور كلها، وعلمها أصحابه رضوان الله عليهم كما كان يعلمهم السورة من القرآن، فقد روى ابن ماجه في سننه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم هذا الأمر - فيسميه ما كان من شيء - خيراً لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو: خيراً لي في عاجل أمري وأجله - فاقدره لي ويسره لي وبارك لي فيه، وإن كنت تعلم - يقول ما قال في المرة الأولى - وإن كان شراً لي فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيثما كان ثم رضني به»<sup>(١)</sup>.

### ٣ - التخطيط للرحلة:

يُعد التخطيط من أهم الأمور التي يجب على طالب العلم الاعتناء بها.  
يقول غنيم: «يوفر التخطيط قدرة كبيرة على التنبؤ بأحداث المستقبل وبالتالي يزيد ذلك من قدرة المشروع أو التنظيم على التأقلم أو التكيف مع هذه الأحداث من خلال تجديد أفضل أساليب وطرائق العمل في ضوء ما يحتمل حدوثه»<sup>(٢)</sup>.

ومما يتضمنه التخطيط للرحلة، الاستشارة، فيبدأ طالب العلم باستشارة والديه؛ لما لهما عليه من حق كبير وفضل عظيم، ثم يستشير أصحاب المعرفة والخبرة، ممن سبق لهم الرحيل، وليتعرف على البلاد التي يرغب الرحيل إليها من خلال سؤاله عنها، ولا ينسى أن يتزود بالمال الذي يكفيه ويغنيه عن المسألة، وليتفقد مركوبه حتى لا يكون سبباً في تأخره.

### ❖ ب - آداب أثناء الرحيل:

#### ١ - اختيار الرفقة الصالحة:

رغَّب النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار الجليس الصالح، وحذر من جليس السوء، فقد روى مسلم بسنده عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكبير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً

(١) ابن ماجه، مرجع سابق، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الاستخارة، (ص ٢٤٥)، حديث رقم [١٣٨٣].

(٢) غنيم، عثمان محمد، (١٤٢١هـ)، التخطيط أسس ومبادئ عامة، (ط ٢)، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، (ص ٤٣).

طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة» (١).

يقول النووي عن هذا الحديث: «فيه تمثيله صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر مخبره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة» (٢).

فعلى طالب العلم أن يحرص على اختيار الرفقة الصالحة التي تدله على الخير وتعينه عليه.

٢ - اجتناب مجالس أهل الملل المختلفة والأهواء والبدع:

وذلك حتى لا يفسدوا عليه دينه ودنياه إلا أن يكون داعياً فينبغي عليه أن يكون متمكناً مجيداً لأساليب الدعوة.

٣ - التحلي بالأخلاق الفاضلة:

ينبغي على طالب العلم أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة، والصفات النبيلة التي حث عليها ديننا الحنيف، فيكون تقياً أميناً، مخلصاً، حكيماً، وفيّاً، عادلاً، صادقاً، كريماً، حليماً، عفيفاً.

ثم يتوج نفسه بالصبر، فيكون الله تعالى معه، ينصره ويهديه، ويستجيب له،

قال تعالى: (وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (٣).

يقول ابن قيم الجوزية: «إن الله سبحانه وتعالى جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وجنداً غالباً لا يُهزم، وحصناً حصيداً لا يهدم ولا يتلم، فهو والنصر أخوان شقيقان، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، والعسر مع اليسر، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد، ومحل من الظفر كمحل الرأس من الجسد» (٤).

(١) النيسابوري، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والأدب، باب: استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، (ص ١١٤٥)، حديث رقم [٦٦٩٢].

(٢) النووي، مرجع سابق، (٣٩٤/١٦).

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

(٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (١٤٠٧هـ)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (ط ٢)، دار ابن كثير، بيروت، (ص ٨).

## المطلب الثاني

### أهمية الرحلة في طلب العلم

تُعد الرحلة في طلب العلم أمراً ملحاً لطالب العلم إذا لم يجد في بلده ما يروي ظمأه، ويشبع نهمته، لينتهج بذلك نهج السلف الصالح الذين كانوا يعتبرون الرحلة في طلب العلم إحدى طرق التحصيل العلمي لتتكون لديهم الشخصية العلمية، وتصل لديهم المواهب، ويكتسبون المهارات.

فقد كانوا يرحلون من بلد إلى بلد، كالنحل ينتقل من زهرة لأخرى لينتج بذلك العسل، الذي جعل الله فيه شفاء للناس.

ولقد تفاخر أصحاب الرحلة في طلب العلم بذكرهم في القرآن الكريم، فقد روى الخطيب البغدادي بسنده «عن محمد بن وزير الواسطي قال: سمعت يزيد بن هارون يقول لمحمد بن زيد: يا أبا إسماعيل، هل ذكر الله تعالى أصحاب الحديث في القرآن؟ فقال: نعم، ألم تسمع إلى قوله تعالى: (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) (١) فهذا في كل من رحل في طلب العلم والفقهاء، ورجع به إلى من وراءه فعلمه إياه» (٢).

ولقد فسّر التابعي الجليل عكرمة البربري رحمه الله قوله تعالى: (الْمَسْكِينُ) (٣). قال: «هم طلبة الحديث» (٤).

ولقد اعتبر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الرحلة في طلب العلم، والتطلع إلى ما عند الناس أمراً حسناً، يشافه الناس ويأخذ عنهم، فقد روى الخطيب البغدادي بسنده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «سألت أبي رحمه الله عن طلب العلم ترى له أن يلزم رجلاً عنده علم فيكتب عنه، أو ترى أن يرحل إلى المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم؟

قال: يرحل يكتب عن الكوفيين والبصريين وأهل المدينة ومكة، يشام الناس، يسمع منهم» (٥).

- (١) سورة التوبة، آية: ١٢٢.
- (٢) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، (١٤٢٥هـ)، الرحلة في طلب الحديث، (ط٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، (ص٨٧).
- (٣) سورة التوبة، آية: ١١٢.
- (٤) الخطيب البغدادي، مرجع سابق، (ص٨٧ - ٨٨).
- (٥) المرجع السابق، (ص٨٨).

كما اعتبر رحمه الله أن طلب علو الإسناد من الدين<sup>(١)</sup>.

ومما يؤيد ذلك قول الخطيب البغدادي عن الرحلة: «فإن المقصود من الرحلة أمران: أحدهما: تحصيل علو الإسناد، والثاني: لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم، والاستفادة منهم»<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن قنفذ: «وقيل: إن الرحلة في طلب العلم شرف وفائدة»<sup>(٣)</sup>.

ولقد عدّ ابن معين<sup>(٤)</sup> من لا يرحل في طلب العلم ممن لا يؤنس منهم رشدًا، فقد روى الخطيب البغدادي بسنده «عن جعفر الطيالسي قال: سمعت يحيى بن معين يقول: أربعة لا تؤنس منهم رشدًا: حارس الدرب، ومناذي القاضي، وابن المحدث، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث»<sup>(٥)</sup>.

أما إبراهيم بن أدهم<sup>(٦)</sup> فقد اعتبر الرحلة في طلب العلم سبب لرفع البلاء عن هذه الأمة، فقد روى الخطيب البغدادي بسنده «عن عبد الرحمن بن محمد بن حاتم قال: بلغني أن إبراهيم بن أدهم قال: إن الله تعالى يرفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث»<sup>(٧)</sup>.

ولا شك أن الرحلة في طلب العلم تكسب الفوائد، يقول ابن خلدون: «فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد، والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال»<sup>(٨)</sup>.

ويقول ابن الصلاح: «وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى غيره»<sup>(٩)</sup>.

- (١) المرجع السابق، (ص ٨٩).
- (٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٤٢٥هـ)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، (د.ط)، دار البيان العربي، القاهرة، (ص ٢٨٥).
- (٣) ابن قنفذ القسطنطيني، أحمد بن حسن، (١٤٢٤هـ)، شرف الطالب في أسنى المطالب، مكتبة الصحابة، الشارقة، (ص ١٠٣).
- (٤) هو الإمام الحافظ الجهيد شيخ المحدثين، أبو زكريا، يحيى بن معين... الغطفاني ثم المري مولاهم، البغدادي، أحد الأعلام، روى عنه أحمد بن حنبل... والبخاري ومسلم وأبو داود. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٤٢٠٢).
- (٥) الخطيب البغدادي، مرجع سابق، (ص ٨٩).
- (٦) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة الإمام العارف، سيد الزهاد، حدث عن أبيه، حدث عنه رفيقه سفيان الثوري. الذهبي، مرجع سابق، (١/٦٤٣ - ٦٤٤).
- (٧) الخطيب البغدادي، مرجع سابق، (ص ٨٩).
- (٨) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي، (د.ت)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (د. ط)، بيت الأفكار الدولية، لبنان، (ص ٢٩٤).
- (٩) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، (١٤٢٩هـ)، علوم الحديث، دار ابن عفان، القاهرة،

وليست الرحلة في طلب العلم مقصورة على أهل الحديث أو محصورة في أهل الفقه، بل هي إحدى طرق تحصيل الطالب لجميع العلوم والمعارف، بل تزيده ثقافة على علمه ومعرفته، فالجغرافي يرحل، والمؤرخ يرحل، وصاحب العلوم العقلية يرحل.

يقول المقدسي عن كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم): «وما تم لي جمعه إلا بعد جولاتي في البلدان، ودخولي أقاليم الإسلام، ولقائي العلماء، وخدمتي الملوك، ومجالستي القضاة، ودرسي على الفقهاء، واختلافي إلى الأدباء، والقراء، وكتابة الحديث، ومخالطة الزهاد، والمتصوفين، وحضور مجالس القصاص، والمذكرين، مع لزوم التجارة في كل بلد، والمعاشرة مع كل أحد»<sup>(١)</sup>.

إن الرحلة في طلب العلم «ظاهرة فكرية»<sup>(٢)</sup> تظل مؤدية لدورها التربوي عبر العصور، وتعاقب الأجيال.



(٣٠٩/٤).

(١) المقدسي، محمد بن أحمد، (دب)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ط٢)، دار صادر، بيروت، (ص٣).

(٢) الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ، المنعقدة في رحاب جامعة أم القرى، خلال الفترة من ١٣ - ١٥/٨/١٤٢٦هـ، الرحلات وأثرها في العالم الإسلام، (ط١).

## المطلب الثالث

### نماذج ممن رحلوا في طلب العلم

#### ١ - رحلة موسى إلى الخضر عليهما السلام:

روى البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما: أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، فقال ابن عباس: هو خضرو فمر بهما أ بي بن كعب، فدعاه ابن عباس، فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى، الذي سأل موسى السبيل إلى لقيه، هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه؟ قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بينما موسى في ملاء من بني إسرائيل، جاءه رجل، فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله إلى موسى: بلي عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه فجعل الله له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه، وكان يتبع أثر الحوت في البحر، فقال لموسى فتاه: رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، قال: ذلك ما كنا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصاً، فوجدا خضراً فكان من شأنهما الذي قص الله عز وجل في كتابه»<sup>(١)</sup>.

تحمل موسى عليه السلام رحلة شاقة في طلب العلم، ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز في سورة الكهف، يقول ابن حجر رحمه الله عند شرح هذا الحديث: «هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم؛ لأن ما يغتبط به تحتل المشقة فيه، ولأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البر والبحر لأجله»<sup>(٢)</sup>.

ومع المشقة التي تحملها عليه السلام فقد كان ملتزماً بالتواضع، مدركاً قدر العلم وعلو منزلة أهله يقول الخطيب البغدادي معلقاً على هذا الحديث: «قال بعض أهل العلم: إن فيما عاناه موسى من الدأب والسفر وصبر عليه من التواضع والخضوع للخضر، بعد معاناة قصده، مع محل موسى من الله وموضعه من كرامته وشرف نبوته دلالة على ارتفاع قدر العلم وعلو منزلة أهله، وحسن التواضع لمن يلمس منه ويؤخذ عنه، ولو ارتفع عن التواضع لمخلوق أحد بارتفاع درجة وسمو منزلة لسبق إلى ذلك موسى، فلما أظهر الجد والاجتهاد

(١) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى عليه

السلام في البحر إلى الخضر عليهما السلام، وقوله تعالى: (هَلْ أَتَعَبَكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ)، (ص ١٧)،

حديث رقم [٧٤].

(٢) العسقلاني، مرجع سابق، (٢٢١/١).

والانزعاج عن الوطن والحرص والاستفادة مع الاعتراف بالحاجة إلى أن يصل على العلم إلى ما هو غائب عنه دل على أنه ليس في الخلق من يعلو على هذه الحال ولا يكبر عنها»<sup>(١)</sup>.

## ❖ ٢ - رحلة الإسراء والمعراج (٢):

أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلاً، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فقال جل وعلا: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (٣).

ثم عرج به صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس إلى السماء.

روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لأتيت بالبراق - وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عن منتهى طرفه - فركبته حتى أتيت بيت المقدس - قال: - فربطه بالحلقة التي يربط بها الأنبياء - قال - ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل - عليه السلام - بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء...»<sup>(٤)</sup>.

ثم ذكر صلى الله عليه وسلم صعوده كل سماء ولقائه بالأنبياء حتى وصل إلى سدة المنتهى ثم فرضت عليه الصلوات الخمس.

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بهذه الرحلة الإيمانية التي رفع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بها، وفتح له أبواب السماء بعد أن أغلقت في وجهه أبواب الأرض.

يقول الشعراوي: «فقد كانت ليلة عظيمة الشأن، وكان حدث الإسراء وحدث المعراج بعد جفوة أهل الأرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد فقد النصير والحامي، فالله سبحانه وتعالى شاء أن يجعل لرسوله صلى الله عليه وسلم هذه الرحلة العلوية حتى يثبت له تكريمه، وحتى يثبت له أن في عناية الله سبحانه وتعالى عوضاً عن كل مفقود، وأن الملكوت يحتفي به حفاوة تذهب عنه عناء كل هذه المتاعب، وسيعطيه دفعة قوية لكون أدواته في منطلقه الجديد بإذن الله ربه

(١) الخطيب البغدادي، مرجع سابق، (ص ١٠٦، ١٠٧).

(٢) انظر: الملاحق (ص ٢٦١).

(٣) سورة الإسراء، آية: ١.

(٤) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات، (ص ٨٢)، حديث رقم [٤١١].

سبحانه وتعالى»(١).

ويضيف دودين: «وعاين من أمارات العناية الإلهية به وبدعوته ما زاده يقينًا إلى يقين بنجاح دعوته، وتبليغ رسالة ربه والنصر على أعداءه، وأطلعه الله من ملكوته العظيم على ما أطلعه عليه مما ملأ النفس رضى، والقلب نورًا، والصدر تلجًا وطمانينة»(٢).

❖ ٣ - رحلات الوفود إلى النبي صلى الله عليه وسلم لطلب العلم:

ومنها:

أ - وفد عبد قيس:

روى البخاري بسنده عن أبي جمرة قال: كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس، فقال: إن وفد عبد قيس أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «من الوفد؟» أو «من القوم؟» قالوا: ربيعة، فقال: «مرحبًا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامي»، قالوا: إنا نأتيك من شقة بعيدة، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم بالإيمان بالله عز وجل وحده، قال: «هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإتياء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمس من المغنم»، ونهاهم عن الدباء والحنتم والمزفت - قال شعبة: - ربما قال: النكير، وربما قال: المقير، قال: «احفظوه وأخبروه من وراءكم»(٣).

ب - وفد بني تميم، وأهل اليمن:

روى البخاري بسنده عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال: (جاء نفر من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا بني تميم، أبشروا»، فقالوا: بشرتنا فأعطينا، فتغير وجهه، فجاءه أهل اليمن، فقال: «يا أهل اليمن اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم»، قالوا: قبلنا، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يحدث بدء الخلق والعرش، فجاء رجل فقال: يا عمران راحلتك تقاتت، ليتني لم أقم(٤).

ومما يدل على هذا الحديث ما ذكره ابن مفلح المقدسي قال: «قال ابن هبيرة

(١) الشعراوي، محمد متولي (١٤٢٩هـ)، الإسراء والمعراج، المكتبة العصرية، بيروت، (ص١٧).

(٢) دودين، ماجه، (٢٠٠٥م)، الإسراء والمعراج، (ط٢)، دار الإسراء للنشر والتوزيع، الأردن، (ص١٧).

(٣) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب العلم، باب: تحريض النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا به من وراءهم، (ص٢٠)، حديث رقم [٢٥].

(٤) المرجع السابق، (ص٥٣٢).

فيه: الرحلة في طلب العلم»(١).

#### ٤ - رحلات بعض الصحابة رضوان الله عليهم:

ومنهم:

##### أ - جابر بن عبد الله يرحل إلى عبد الله بن أنيس بالشام ليسأله عن حديث:

روى البخاري بسنده عن ابن عقيل، أن جابر بن عبد الله حدثه أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: «فابتعت بعيراً فشددت إليه رحلي شهراً حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أنيس فبعثت إليه أن جابراً بالباب، فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج فاعتنقني، قلت: حديث بلغني لم أسمع خشيته أن أموت أو تموت، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **يحشر الله العباد أو الناس عراة غرلاً بهمماً**»، قلنا: ما بهمماً؟ قال: **«ليس معهم شيء»**، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد - أحسبه قال: كما يسمعه من قرب -: **أنا الملك، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة**»، قلت: وكيف وإنما نأتي الله عراة بهمماً؟! فقال: **«بالحسنات والسيئات»**(٢).

##### ب - عقبة بن الحارث يرحل من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة النبوية ليسأله عن مسألة:

روى الإمام البخاري بسنده (عن عقبة بن الحارث أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز، فأتته امرأة فقالت: إني قد أرضعت عقبة، والتي تزوج بها، فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني، ولا أخبرتني، فركب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فسأله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«كيف وقد قيل؟»** ففارقها عقبة، ونكحت زوجاً غيره(٣).

##### ٥ - رحلات بعض التابعين رحمهم الله لطلب العلم:

ومنهم:

##### أ - أبو العالية رفيع بن مهران(٤):

(١) ابن مفلح، محمد، (١٤٢٨هـ)، الأداب الشرعية والمنح المرعية دار البيان، دمشق، (١)، ص(٤٦٩).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٦هـ)، الأدب المفرد، (د.ب.ط)، دار الحديث، القاهرة، باب المعانقة، (ص٢٣٧)، حديث رقم [٩٧٠].

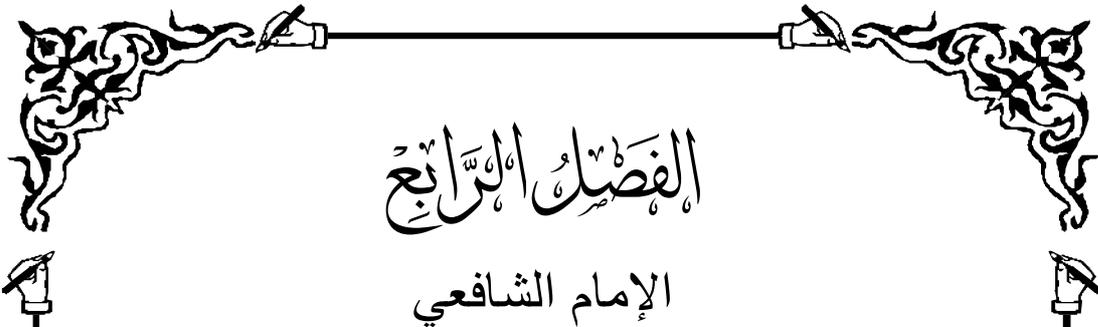
(٣) المرجع السابق، كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله، (ص٢٠)، حديث رقم [٨٨].

(٤) أبو العالية رفيع بن مهران، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي، البصري، أحد الأعلام، كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، وسمع من

يقول عنه الذهبي: «قال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: كنت أرتحل إلى الرجل مسيرة أيام لأسمع منه، فأفقد صلاته، فإن وجدته يحسنها أقمت عليه، وإن وجدته يضيعها رحلت ولم أسمع منه، وقلت: هو لما سواها أضيع»<sup>(١)</sup>.

ب - مكحول الدمشقي<sup>(٢)</sup>:

يروى الذهبي بسنده قول مكحول عن نفسه: «هتقت بمصر فلم أدع بها علمًا إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت العراق فلم أدع بها علمًا إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت المدينة فلم أدع بها علمًا إلا احتويت عليه، ثم أتيت الشام فغربلتها كل ذلك أسأل عن النقل...»<sup>(٣)</sup>.



## الفصل الرابع

الإمام الشافعي

ويتضمن ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف بالإمام الشافعي. رحلاته في طلب العلم.
- المبحث الثاني: نتائج رحلاته.
- المبحث الثالث:

## المبحث الأول التعريف بالإمام الشافعي

اسمه ونسبه:

قال عنه الذهبي: «الإمام الشافعي محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبدالله القرشي ثم المطّ لبي الشافعي المكي، الغزي<sup>(١)</sup> المولد، نسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب»<sup>(٢)</sup>.

وهاشم الذي في نسب الإمام الشافعي ليس هو جد النبي صلى الله عليه وسلم بل هو ابن أخيه، كما حكى ذلك ياقوت الحموي: «... وهاشم هذا الذي في نسب الشافعي ليس هو هاشم بن عبد مناف، فهاشم هذا هو ابن أخي ذاك»<sup>(٣)</sup>.

يلتقي نسبه رحمه الله مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف.

يقول عنه النووي: «هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي الشافعي الحجازي المكي، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقي معه في عبد مناف»<sup>(٤)</sup>، فكما حاز رحمه الله على عظيم العلم ووافر الأدب حاز قبل ذلك على عظيم الشرف والنسب.

يقول عنه ابن كثير: «والسائب بن عبيد أسلم يوم بدر، وابنه شافع بن السائب من صغار الصحابة، وأمه أزدية وقد رأت حين حملت به كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر ثم وقع في كل بلدة منه شطية»<sup>(٥)</sup>.

يقول ابن حزم عن السائب بن عبيد جد الإمام الشافعي – وذلك حين عدّ بني المطلب بن عبد مناف -: «... والسائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم أسر يوم

(١) الغزي: نسبة إلى غزة بفلسطين مسقط رأسه رحمه الله.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٢٧٨).

(٣) الحموي، معجم الأدياء، مرجع سابق، (٦/٤٥٢).

(٤) النووي، محيي الدين بن شرف، (١٤٢٦هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار النفائس للطباعة والنشر، لبنان، (١/).

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (١٠/٢٧٤).

بدر وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته، ومن ولده الفقيه أبو عبد الله الشافعي محمد بن إدريس»<sup>(١)</sup>.

يقول عنه الزركلي: «أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة»<sup>(٢)</sup>.

✽ مولده ونشأته:

يقول ياقوت الحموي: «ولد فيما حكاه الشافعي عن نفسه أنه قال: ولدت بغزة سنة خمسين ومائة، وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين، قال: وكانت أمي من الأزدي، وغزة من بيت المقدس على ثلاث مراحل. وفي رواية أخرى عن الشافعي أنه قال: ولدت بعسقلان، وعسقلان من غزة على ثلاث فراسخ وكلاهما من فلسطين...»

وفي رواية أن الشافعي قال ولدت باليمن فخافت أمي عليّ الضيعة فحملتني إلى مكة وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيه بذلك.

وتأول بعضهم قوله باليمن بأرض أهلها وسكانها قبائل اليمن، وبلاد غزة وعسقلان كلها من قبائل اليمن وبطونها.

قلت: وهذا عندي تأويل حسن إن صحت الرواية، وإلا فلا شك أنه ولد بغزة وانتقل إلى عسقلان إلى أن ترعرع»<sup>(٣)</sup>.

ومما يؤيد هذا القول قول الذهبي في تعريفه للإمام الشافعي: «اتفق مولد الإمام بغزة، ومات أبوه إدريس شاباً، فنشأ محمد يتيماً في حجر أمه، فخافت عليه الضيعة فحولت به إلى محتده، وهو ابن عامين فنشأ بمكة، وأقبل على الرمي حتى فاق فيه الأقران، وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة، ثم أقبل على العربية والشعر، فبرع في ذلك وتقدم»<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن خلكان عن الإمام الشافعي: «ومولده سنة خمسين ومائة، وقد قيل: إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة، وكانت ولادته بمدينة غزة، وقيل: بعسقلان، وقيل باليمن، والأول أصح، وحمل من غزة وهو ابن سنتين فنشأ بها وقرأ القرآن الكريم»<sup>(٥)</sup>.

وبهذا يكون مولد الإمام الشافعي بغزة ثم انتقل من غزة إلى عسقلان ثم إلى

(١) ابن حزم الأندلسي، أحمد بن سعيد، (١٤٢٨ هـ)، جمهرة أنساب العرب، (ط٤)، دار الكتب العلمية، (ص٧٣).

(٢) الزركلي، خير الدين، (٢٠٠٢م)، الأعلام، (ط١٥)، دار العلم للملايين، بيروت، (٢٦/٦).

(٣) الحموي، معجم الأدباء، مرجع سابق، (٤٥٢/٦ - ٤٥٣).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣٢٧٩/٣).

(٥) ابن خلكان، أحمد بن محمد، (١٤١٧ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار إحياء التراث العربي، لبنان، (٣١٢/٢).

مكة المكرمة.

### ◆ طلبه للعلم:

بدأ الشافعي طلبه للعلم في الكتاب، فقد هياه الله تعالى لطلب العلم، فقد رزقه الله ذاكرة قوية، وعقلاً متفتحاً، ورغبة جامحة.

يقول الحموي فيما رواه الربيع بن سليمان (١) يقول: «سمعت الشافعي يقول: كنت أنا في الكتاب أسمع المعلم يلقين الصبي الآية فأحفظها أنا، ولقد كنت - ويكتبون أئمتهم فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم - قد حفظت جميع ما أُملي، فقال لي ذات يوم: ما يحل لي أن آخذ منك شيئاً..» (٢).

والذي يظهر أن قراءة الإمام الشافعي كانت برواية ابن كثير، يقول الذهبي: «قال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: قرأت القرآن على اسماعيل بن قسطنطين، وقال: قرأت على شبل، وأخبر شبل أنه قرأ على عبد الله بن كثير، وقرأ على مجاهد، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس» (٣).

بعد أن أتم رحمه الله حفظ القرآن الكريم تهيأ بذلك لمجالسة العلماء والأخذ عنهم، يذكر الرازي حديث الإمام الشافعي عن نفسه: «كنت يتيمًا في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكننت أجالس العلماء وأحفظ الحديث والمسألة وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف، وكننت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث أو المسألة وكانت لنا جرة قديمة فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة» (٤).

وليتأمل طالب العلم اليوم حال هذا الصغير اليتيم الفقير، صاحب الهمة العالية الذي لم يكن لديه أجره للمعلم، ولا أوراقًا يكتب فيها، بل كان يكتب على العظام ويضعها في جرة قديمة، تنقله رغبته الجامحة بين مشايخ بلده، يأخذ عنهم ويدون مسائلهم».

وليس بمستغرب عليه رحمه الله هذا الحرص، وهذه الهمة العالية، وهو الذي يقول:

«العلم مغرس كل فخر فاقتخر واحذر يفوتك فخر ذاك المغرس

(١) أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي بالولاء، المؤذن المصري، صاحب الإمام الشافعي، وهو الذي روى أكثر كتبه.

ابن خلكان، مرجع سابق، (١/٣٣٠).

(٢) الحموي، معجم الأدياء، مرجع سابق، (٦/٤٥٤).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٢٨٠).

(٤) الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم، (١٤٢١هـ)، آداب الشافعي ومناقبه، (ط٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ص٢٤).

اعلم بأن العلم ليس يناله  
إلا أخو العلم الذي يعنى به  
فاجعل لنفسك منه حظاً وافراً  
فلعل يوماً إن حضرت بمجلس  
من همه في مطعم أو ملبس  
في حالته: عارياً أو مكتسي  
واهجر له طيب الرقاد وعبس  
كنت الرئيس وفخر ذلك  
المجاــس»<sup>(١)</sup>

### ✦ مؤلفاته:

لخص ابن حجر العسقلاني كتب الشافعي التي سردها البيهقي، وهي كما يلي:

- ١ - الرسالة القديمة.
- ٢ - ثم الجديدة.
- ٣ - اختلاف الحديث.
- ٤ - جماع العلم.
- ٥ - إبطال الاستحسان.
- ٦ - أحكام القرآن.
- ٧ - بيان الفرض.
- ٨ - صفة الأمر والنهي.
- ٩ - اختلاف مالك والشافعي.
- ١٠ - اختلاف العراقيين.
- ١١ - اختلافه مع محمد بن الحسن.
- ١٢ - كتاب علي وعبد الله.
- ١٣ - فضائل قريش.
- ١٤ - كتاب الأم... و عدة كتب الأم مائة ونيف وأربعون كتاباً.  
ويضيف رحمه الله:

وحمل عنه حرملة كتاباً كبيراً يسمى (كتاب السنن).  
وحمل عنه المزني كتابه (المبسوط) وهو المختصر الكبير.

(١) المصطاوي، عبد الرحمن، (١٤٢٦هـ)، ديوان الإمام الشافعي، (ط٣)، دار المعرفة، بيروت، (ص٦٧).

والمنثورات وكذا المختصر المشهور.

وكتاب (الحجة) الذي صنفه ببغداد حمله عنه الزعفراني.

وله كتب أخرى حملها عنه الحسين بن علي الكرابيسي، وأبو عبد الرحمن بن يحيى الشافعي، وقد وقع لي منها كتاب (السير رواية أبي عبد الرحمن) وفيه زيادات كثيرة، ولأبي ثور عنه أيضاً زيادات ليست عند غيره، وكذا عند أحمد بن حنبل عنه روايات في مسائل منثورة، ولأبي الوليد موسى أبي الجارود مختصر يرويه عن الشافعي فيه زيادات ولسائر أصحابه عنه مسائل من أهل الحجاز والعراق»<sup>(١)</sup>.

❖ وفاته:

يقول ابن كثير عن وفاة الإمام الشافعي رحمه الله رحمة واسعة: «وقد كانت وفاته بمصر يوم الخميس وقيل: يوم الجمعة، في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين، وعن أربع وخمسين سنة»<sup>(٢)</sup>.



(١) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٢٧٧/١٠).

## المبحث الثاني رحلاته في طلب العلم

رحل الشافعي في صباه إلى بادية هذيل، ليستقي العربية الفصحى من منابعها الصافية، وينهل من مواردها العذبة.

يقول الشافعي فيما رواه الربيع بن سليمان: «ثم إنني خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وأخذ طبعها وكانت أفصح العرب.

قال: فبقيت فيهم سبع عشرة سنة، أرحل برحيلهم، وأنزل بنزولهم فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب»<sup>(١)</sup>.

يقول الشكعة: «ولكي تكتمل للشافعي أسباب البلاغة والفصاحة كان عليه أن يخرج إلى البادية، وأن يختار قبيلة معروفة بالفصاحة واللسن يعيش بين ظهرانيها زمناً أو أزماناً، فوق اختياره على قبيلة هذيل، ولقد عرفت هذيل بالبيان والشعر، بل هي من أفصح قبائل العرب وأشعرها ولها ديوان شعر كبير مطبوع معروف هو (ديوان الهذليين) من يقرأه يملأ جوانحه طرباً، ويلمس من رقتهم عجباً»<sup>(٢)</sup>.

وقد ظهرت آثار هذه الرحلة على شخصية الإمام الشافعي: راحة في العقل، ومقدرة على الحوار، يقول الدقر: «وفي هذه الفترة المبكرة استهواه أن يلقف العربية ويسمعها من أفواه العرب، ففي العربية وبيانها زينة الفتى ونمو عقله ورهافة حسه، وقدرته على الحوار، وأعظم من ذلك كله اكتساب الملكة التي يستطيع بها أن يفقه كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم»<sup>(٣)</sup>.

من روائع شعره رحمه الله:

طرب نفساً بما حكم القضاء  
فما لحوادث الدنيا بقاء  
وشيمتك السماحة والوفاء  
وسرك أن يكون لها غطاء  
يغطيته كما قيل السخاء  
ولا بأس عايك ولا رخاء  
فإن شماتة الأعدا بلاء  
فما في النار للظمان ماء

«دع الأيام تفعل ما تشاء  
ولا تجزع لحادثة الليالي  
وكن رجلاً على الأهوال جلدًا  
وإن كثرت عيوبك في البرايا  
تستر بالسخاء فكل عيب  
ولا حزن يدوم ولا سرور  
ولا تر للأعادي قط ذلاً  
ولا ترج السماحة من بخيل

(١) الحموي، معجم الأدباء، مرجع سابق، (٤٥٤/٦).

(٢) الشكعة، مصطفى، (١٤١١هـ)، الإمام محمد بن إدريس الشافعي، (ط٣)، دار الكتاب المصري، القاهرة، (ص١٢).

(٣) الدقر، عبد الغني، (١٤١٧هـ)، الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر، (ط٦)، دار القلم، دمشق، (ص٥٤، ٥٥).

ورزقك ليس ينقصه التاني  
إذا ما كنت ذا قلب قنوع  
ومن نزلت بساحته المنايا  
وأرض الله واسعة ولكن  
دع الأيام تغدر كل حين  
وليس يزيد في الرزق العناء  
فأنت ومالك الدنيا سواء  
فلا أرض تقيه ولا سماء  
إذا نزل القضاء ضاق الفضاء  
ولا يغني عن الموت دواء»<sup>(١)</sup>

ومن ثمرات رحلته هذه أنه أتقن الرمي فكان يصيب في رميه دائماً، يقول الرازي: «أخبرنا أبو الحسن، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، حدثنا أبي، قال: سمعت عمرو بن سواد قال: قال لي الشافعي: ولدت بعسقلان فلما أتى عليّ سنتان حملتني أمي إلى مكة وكانت نهمتي في شيئين: في الرمي وطلب العلم، فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرة عشرة. وسكت عن العلم، فقلت له: أنت والله في العلم أكبر منك في الرمي»<sup>(٢)</sup>. وهذا من تواضعه وحسن أدبه رحمه الله.

لما عاد رحمه الله من البادية لقيه سلم بن خالد الزنجي، فرغبه في دراسة الفقه، ففتح الله عليه لما أخلص النية، وأظهر الهمة.

يقول النووي: «عن الحميدي<sup>(٣)</sup> قال: قال الشافعي: خرجت أطلب النحو والأدب، فلقيني مسلم بن خالد الزنجي، فقال: يا فتى من أين أنت؟

قلت: من أهل مكة.

قال: أين منزلك؟

قلت: بشعب الخيف.

قال: من أي قبيلة أنت؟

قال: من عبد مناف.

قال يخ بخ، لقد شرفك الله في الدنيا والآخرة، ألا جعلت فهمك في الفقه فكان أحسن بك»<sup>(٤)</sup>.

بدأ رحمه الله يتنقل بين مشايخ بلده، يأخذ من علمهم، وينهل من معارفهم، يقول الذهبي عنه: «وأخذ العلم ببلده عن مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة، وداود بن عبد الرحمن العطار، وعمه محمد بن علي بن شافع فهو ابن عم العباس

(١) المصطاوي، مرجع سابق، (ص ١٧).

(٢) الرازي، مرجع سابق، (ص ٢٣).

(٣) عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشي الأسدي، الإمام أبو بكر الحميدي المكي، صاحب الشافعي ورفيقه في الرحلة إلى الديار المصرية، روى عنه البخاري في صحيحه، وله مسند مشهور، مات في مكة سنة تسع عشرة ومئتين، وقيل: سنة عشرين. ابن قاضي شهبة، أحمد بن محمد، (١٤٠٧ هـ)، طبقات الشافعية، (د.ط)، دار الندوة الجديدة، بيروت، (٦٦/١).

(٤) النووي، مرجع سابق، (١/ ص ١١٢ - ١١٣).

جد الشافعي، وسفيان بن عيينة، وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، وسعيد بن سالم، وفضيل بن عياض، وعدة»<sup>(١)</sup>.

حتى حاز رحمه الله على إجازة شيخه مسلم بن خالد الزنجي بالفتيا، يقول الرازي رحمه الله: «أخبرنا أبو الحسن، أخبرنا عبد الرحمن، حدثنا الربيع بن سليمان المرادي، قال: سمعت الحميدي يقول: سمعت الزنجي بن خالد - يعني مسلم بن خالد الزنجي - يقول للشافعي: أفت يا أبا عبد الله، فقد والله أن لك أن تفتي»<sup>(٢)</sup>.

بعد ذلك بدأ يتهيأ رحمه الله لرحلته الثانية إلى المدينة النبوية ليقراً الموطأ<sup>(٣)</sup> على الإمام مالك بن أنس رحمه الله بعد أن حفظه.

ذكر الحموي ما رواه الربيع بن سليمان أنه سمع الشافعي يقول: «... فمر بي رجل من الزبيريين من بني عمي فقال لي: يا أبا عبد الله عز عليّ ألا يكون مع هذه اللغة والفصاحة والذكاء فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك.

فقلت: فمن بقي نقصد؟

فقال لي: مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ.

قال: فوقع في قلبي، فعمدت إلى الموطأ فاستعرتة من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً»<sup>(٤)</sup>.

بهذا يكون الإمام الشافعي رحمه الله قد تربي بأمثل تربية إسلامية عربية، حفظاً للقرآن الكريم، ثم اتقان للعربية الفصحى وقولاً للشعر ومعرفة بأيام العرب ثم دراسة للفقه.

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/ص ٣٢٧٩).

(٢) الرازي، مرجع سابق، (ص ٣٩).

(٣) يقول السيوطي: «قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الكناني الأصبهاني، قلت لأبي حاتم الرازي: موطأ مالك بن أنس لم سمي موطأ؟ فقال: شيء قد صنفه ووطأه للناس، حتى قيل موطأ مالك، كما قيل جامع سفيان.

وقال أبو الحسن بن فهر: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن فراس، سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أحمد الخليجي يقول: سمعت بعض المشايخ يقول: قال مالك عرضت كتابي هذا على سبعين فقهياً من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه، فسميته الموطأ.

قال ابن فهر: لم يسبق لكأ أحد إلى هذه التسمية فإن مما أُلف في زمانه بعضهم سمي بالجامع، وبعضهم بالمصنف، وبعضهم بالمؤلف، ولقظة الموطأ بمعنى الممهد المنقح.

ويضيف السيوطي: قال أبو بكر الأبهري: جملة ما في الموطأ من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين ألف وسبعمائة وعشرون حديثاً.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (دب)، تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، (د.ط)، دار الفكر، (٦/١ - ٧ - ٩).

(٤) الحموي، معجم الأدباء، مرجع سابق، (٦/٤٥٥).

## ✦ رحلته إلى المدينة:

يذكر ياقوت الحموي رواية عن الربيع بن سليمان الذي سمع الإمام الشافعي رحمه الله يقول بعد أن حفظ الموطأ: «... ثم دخلت إلى والي مكة وأخذت كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس... - يريد بذلك تسهيل المهمة التي هو ذاهب من أجلها -، يقول الإمام: «فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى الوالي، فلما أن قرأ قال يا فتى إن مشي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون عليّ من المشي إلى باب مالك بن أنس، فلست أرى الذل حتى أقف على بابه - وذلك لما قد علمه الوالي من أن الإمام مالك لا يقبل الوسائل في العلم -.

يقول الإمام: فقلت: أصلح الله الأمير، إن رأى الأمير يوجه إليه ليحضر، فقال: هيهات، ليت لي إذا ركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا بعض حاجتنا.

قال: فواعدته العصر وركبنا جميعاً، فوالله لكان كما قال: لقد أصابنا من تراب العقيق.

قال: فتقدم رجل فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء، فقال لها الأمير: قولي لمولاي إني بالباب. قال: فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقرئك السلام ويقول: إن كانت مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف، فقال لها: قولي له: إني معي كتاب والي مكة إليه في حاجة مهمة، قال: فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعت، ثم إذا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، وهو شيخ طويل مسنون اللحية فجلس وهو متطلس فرفع إليه الوالي الكتاب فبلغ إلى هذا: إن هذا رجل من أمره وحاله فتحدثه وتفعل وتصنع، رمى بالكتاب من يده ثم قال: سبحان الله أو صار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل؟

قال: فرأيت الوالي وقد تهيبه أن يكلمه فتقدمت إليه وقلت: أصلحك الله إني رجل مطابي ومن حالي وقصتي، فلما أن سمع كلامي نظر إلي ساعة وكانت لمالك فراسة

فقال لي: ما اسمك؟ قلت: محمد.

فقال لي: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشأن.

قال: نعم وكرامة.

إذا كان غداً تجيئ ويجيئ من يقرأ لك.

قال: فقلت: أنا أقوم بالقراءة.

قال: فغوت عليه وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي فكلما تهيبت مالگًا وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي وإعرابي فيقول: يا فتى زد، حتى قرأته في

أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة حتى توفي مالك بن أنس»<sup>(١)</sup>.  
تحقق للإمام رحمه الله ما كان يريد، فقرأ الموطأ على شيخه مالك رحمه الله، ولم يكتفي بذلك بل أخذ معظم ما عنده من علم.  
وانتقل بعد ذلك لشيوخ المدينة يتوارد عليهم ويأخذ من علمهم وهذا دأب طالب العلم المجتهد، إذا رحل في طلب العلم ألا يدع فرصة في طلب العلم إلا اغتنمها.  
يذكر الحموي رواية أخرى لطلب الإمام الشافعي رحمه الله العلم فيقول:  
«فحدث الزبير بن بكار عن عمه عن مصعب بن عبد الله بن الزبير أنه خرج إلى اليمن فلقى محمد بن إدريس وهو مستحسن في طلب الشعر والنحو والغريب.  
قال: فقلت له: إلى كم هذا؟ لو طلبت الحديث والفقاه كان أمثل بك وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك وأوصيته به.  
قال: فما ترك عند مالك بن أنس إلا الأقل ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه»<sup>(٢)</sup>.

وعلى الاختلاف بين الروايتين فما يظهر فيها هو رغبة الإمام الشافعي الشديدة في طلب العلم واستغلال ذاكرته القوية في طلب العلم على ما به من فقر شديد مما دفعه إلى العودة إلى مكة ليطلب بني عمومته شيئاً من المال فلم يعطوه إلا القليل بسبب غضبهم عليه لأنه ترك علماء مكة ورحل يطلب العلم في المدينة النبوية عند الإمام مالك بن أنس، روى ذلك حسين بن علي الكرابيسي حيث يقول:  
«سمعت الشافعي يقول: كنت امرأة أكتب الشعر فأتى البوادي فأسمع منهم.  
قال: فقدمت مكة وأنا أتمثل بشعر للبيد وأضرب وحشيء قدمي بالسوط، فضر بني رجل من ورائي الحجة، فقال: رجل من قریش، ثم ابن المطلب رضي من دينه وديناه أن يكون معلماً؟ وهل الشعر إذا استحكمت فيه إلا أن تقعد معلماً، تفقه يعلمك الله!

قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجي، ورجعت فكتبت عن ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب، ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجي، ثم قدمت على مالك بن أنس فكتبت موطأه.

فقلت: يا أبا عبد الله اقرأ عليك؟

فقال: تأتي برجل يقرأه على فتسمع.

فقلت: تسمع قراءتي.

(١) الحموي، معجم الأدياء، مرجع سابق، (٤٥٥/٦ - ٤٥٦).

(٢) الحموي، معجم الأدياء، مرجع السابق، (٤٥٣/٦).

فقال لي: اقرأ، فلما سمع قراءتي أذن فقرأت عليه حتى بلغتُ .

فقال لي: يا ابن أخي تفقه تعلُّ .

قال: فجئتُ إلى مصعب الزبيري فكلّمته أن يكلم بعض أهلنا – يعني من الطالبين – فيعطيني شيئاً من الدنيا فإنه كان بي من الفقر ما الله به عليم.

فكلّمه، فقال: تكلمني في رجل كان منا فخالفنا إلى غيرنا! – ينقم عليه أخذه عن مالك – قال: فأعطاني مائة دينار»<sup>(١)</sup>.

رأى الشافعي أربع عجائب في المدينة النبوية، ذكرها الحموي عن المزني، قال: «سمعت الشافعي يقول: رأيت بالمدينة أربع عجائب: رأيت جدة لها إحدى وعشرون سنة، ورأيت رجلاً فلاسه القاضي في مُدَّين نوى، ورأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة يدور نهاره حافياً راجلاً على القيان يعلمهن الغناء فإذا جاءت الصلاة صلى قاعداً، وكان بالمدينة والـ وكان رجلاً صالحاً فقال: ما لي لا أرى الناس يجتمعون على بابي كما يجتمعون على أبواب الولاية؟ فقالوا: إنك لا تضرب أحداً، ولا تؤذي الناس، فقال: أهكذا؟ علي بالإمام فنصب بين العقابين، وجعل يضرب، والإمام يقول: أعز الله الأمير (إيش) جرمي، وهو يقول: حملنا بنفسك، حتى اجتمع الناس على بابي»<sup>(٢)</sup>.

قرر الإمام الشافعي رحمه الله الدخول في مجال العمل، وذلك لفقره وقلة ما في يده، فعزم على الرحيل إلى اليمن مع واليها الذي قدم إلى مكة المكرمة، وقصة رحيله يذكرها ابن حجر عن الحميدي قال: «قال الشافعي: قدم وال على اليمن – يعني مكة – فكلّمه بعض القرشيين في أن أصحابه، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أتجمل به فرهنت داراً فتحملت معه فلما قدمنا عملت على عمل فحمدت عليه فزادني. ووفد الناس في شهر رجب – يعني إلى مكة – فأثنوا عليّ، فطار لي بذلك ذكر

ثم قدمت فلقبت إبراهيم بن أبي يحيى<sup>(٣)</sup> فلامني على دخولي في العمل، ثم

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (١٤٠٦ هـ)، توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، دار الكتب العلمية، لبنان، (ص ٥٨).

(٢) الحموي، معجم الأدياء، مرجع سابق، (٤٧٨/٦).

(٣) إبراهيم بن أبي يحيى هو الشيخ العالم المحدث، أحد الأعلام المشاهير، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي مولا هم المدني، الفقيه، صنف (الموطأ) وهو كبير أضعاف موطأ الإمام مالك، حدث عنه جماعة قليلة منهم: الشافعي، وإبراهيم بن موسى الفراء، والحسن بن عرفة، وقد كان الشافعي مع حسن رأيه فيه إذا روى عنه ربما دلّسه، ويقول: أخبرني من لا أتهم، فتجد الشافعي لا يوثقه، وإنما هو عنده ليس بمتهم بالكذب، وقد اعترف الشافعي بأنه كان قدرياً، ونهى ابن عيينة عن الكتابة عنه.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٧٠٤/١).

لقيت ابن عيينة<sup>(١)</sup> فرحب بي وقال لي: قد بلغني حسن ما أن نشر عنك وما أديت كل الذي لله عليك فلا تعد.

قال: فكانت موعظة ابن عيينة أنفع لي<sup>(٢)</sup>.

فلماذا كانت موعظة ابن عيينة أنفع للإمام الشافعي؟

لا بد أنها كانت في رفق وحكمة، وإلا فالإمام رحمه الله يدرك أن كل من نصحه أراد به خيراً.

يقول الدقر معلقاً على قول الإمام الشافعي: «ذلك لأنها قيلت في رفق وحكمة ومحبة وبالرغم من أن مس الحاجة دعا الشافعي إلى العمل فإن شياخي الشافعي يكبرانه أن يتولى عملاً قد ينقص من دينه وورعه ويثلم من مروءته ونبله، وأيضاً فإن ما يلاحظانه من عقله وعلمه وذكائه وما يتوسمانه فيه أن يكون إماماً من فحول أئمة المسلمين هو الذي دعاهما إلى حضه على ترك العمل، ملاحظين أن ما ينتظره الناس من نفع لهم في دينهم وشرعة نبيهم أولى من سعيه لسد حاجة نفسه»<sup>(٣)</sup>.

على ما كان يكنه الإمام الشافعي من احترام وتقدير لنصيحة شياخيه إلا أنه لم يجد سبيلاً لكسب الرزق إلا العمل، فتولى قضاء نجران<sup>(٤)</sup>. التي كان بين أهلها مظالم كثيرة، فردها إلى أهلها بطريقة تدل على فقهه وعدله وورعه، إلا أن هذا الأمر لم يعجب أهل نجران، لأنهم كانوا يصانعون كل والٍ يقدم عليهم، فيحنما لم يجدوا ذلك عند الإمام خرجوا إلى مكة، فلم يزالوا يحرصون واليها على الإمام حتى رفع أمره إلى الخليفة الرشيد بالعراق.

فأخذ الإمام إلى العراق بتهمة التشيع، يقول أبو زهرة: «كان العباسيون يعدون خصومهم الأقوياء العلويين، لأنهم يدلون بمثل نسبهم، ولهم من رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس لهم، فإذا كانت دولة العباسيين قامت على

(١) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك بن مزاحم، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي، مولده بالكوفة في سنة سبع ومئة، وطلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار وحمل عنهم علماً جملاً، وأتقن وجود وجمع وصنف، وعمّر دهرًا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. الذهبي، المرجع السابق، (١٨٥٢/٢).

(٢) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص ١٢٧).

(٣) الدقر، مرجع سابق، (ص ٩١).

(٤) نجران بفتح أوله وإسكان ثانيه: مدينة بالحجاز من شق اليمن معروفة، سميت بنجران بن زيد بن يعرب، وهو أول من نزلها.

أبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، (١٤١٧ هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (ط٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٢٩٨/٤).

النسب فأولئك يمتون بمثله، وبرحم أقرب، ولذا كانوا إذا رأوا دعوة علوية قضاوا عليها وهي في مهدها، ويقتلون في ذلك على الشبهة... إذا يرون أن قتل برئ يستقيم به الأمر لهم أولى من ترك متهم يجوز أن يفسد الأمن عليهم»(١).

تعرض الإمام رحمه الله في رحلته هذه لمحنة عظيمة كادت أن تودي بحياته إلا أن الله تعالى نجاه بفضلته وكرمه، قال تعالى: (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (٢).

روى ابن حجر عن وراق الحميدي أن الإمام الشافعي يقول: «وليت نجران وبها بنو الحارث بن عبد المدان، وموالي ثقيف، وكان الوالي إذا أتاهم صانعوه فأرادوني على نحو ذلك فلم يجدوا ذلك عندي وتظلم عندي ناس كثير فجمعتهم وقلت بجمعوا لي سبعة يكون من عدلوه عدلاً ومن جرحوه مجروحاً، ففعلوا، وجلست وأمرت بتقديم الخصوم وأجلست السبعة حولي فإذا شهد الشاهد التفت إليهم فعملت بتعديلهم أو تجريحهم، ولم أزل حتى أتيت على جميع الظلمات فلما انتهيت جعلت أحكم وأسجل، فلما رأوا ذلك قالوا: هذه الضياع ليست لنا وإنما لمنصور بن المهدي.

فقلت للكاتب: اكتب! وأقر المذكورون أن الضيعة التي حكمت عليه فيها ليست له وإنما لمنصور، ومنصور باقٍ على حجته فيها إن كانت.

قال: فاجتمعوا وخرجوا إلى مكة وعملوا في أمري حتى حملت إلى العراق، وكان محمد بن الحسن (٣) جيد المنزلة عند الخليفة، فاختلفت إليه وقلت هو أولى بي من جهة الفقه، وكتب عنه وعرفت أقاويلهم، وكان إذا قام ناظرت أصحابه، فقال لي: بلغني أنك تناظر، فناظرني في الشاهد واليمين، فامتنعت - وذلك تقديرًا لشيخه، ورفعة لقدره -

يقول رحمه الله: **فبألح عليّ فتكلمت معه، فرفع ذلك إلى الرشيد فأعجبه ووصلني»** (٤).

(١) أبو زهرة، محمد، (١٣٦٧هـ)، الشافعي (حياته وعصره - آراؤه وفقهه)، (ط٢)، دار الفكر العربي، القاهرة، (ص٢٢).

(٢) سورة يوسف، آية: ٩٠.

(٣) محمد بن الحسن بن فرقد، العلامة، فقيه العراق، أبو عبد الله الشيباني، الكوفي، صاحب أبي حنيفة، ولد بواسط، ونشأ بالكوفة، وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، وتمم الفقه على القاضي أبي يوسف، وروى عن أبي حنيفة، ومسعر، ومالك بن مغول، والأوزاعي، ومالك بن أنس، أخذ عنه الشافعي فأكثر جدًا، توفي سنة ١٨٩هـ بالري.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٩٠).

(٤) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص١٢٧، ١٢٨).

وفي رواية للأبري الذي يروي الحوار الذي دار بين الخليفة هارون الرشيد وبين الإمام الشافعي الذي أنقذه الله بجميل العبارة وحسن الرد يقول: «سمعت أبا بكر أحمد بن الحسين الفقيه الشافعي يحكي عن أبي القاسم الطالبي عن الشافعي أنه أدخل على الرشيد، فقال - أي الرشيد - يا أخا شافع شققت العصا وخرجت مع العلوية علينا؟!»

فقلت: يا أمير المؤمنين أَدع من يقول أني ابن عمه وأصير إلى من يقول أني عبده؟

قال: فأطلق عنه ووصله»<sup>(١)</sup>.

ولقد رأى رحمه الله رؤيا عندما حبس مع الشيعة فعبرها له معبر بشهرته وانتشار أمره.

يقول ابن حجر: «حدثنا أحمد بن عثمان الفسوي النحوي سمعت أبا محمد قريب الشافعي يقول: سمعت إبراهيم بن محمد الشافعي يقول: حبس الشافعي مع قوم من الشيعة فوجه إليّ يوماً فقال لي: ادع فلاناً المعبر، فدعوته له فقال له: رأيت البارحة أني مصلوب على قناة مع علي بن أبي طالب.

فقال: إن صدقت رؤياك شهرت وذكرت وانتشر أمرك.

قال: فحمل إلى الرشيد معهم فكلمه ببعض ما خلبه به فخلى عنه»<sup>(٢)</sup>.

لازم الإمام الشافعي رحمه الله شيخه محمد بن الحسن وأخذ عنه الكثير فتعلم منه فقه العراقيين، وهذا من توفيق الله تعالى للإمام أن قاده لطلب العلم ونجاه من المحنة.

كما كان رحمه الله يناظر أصحاب شيخه حتى علم شيخه بذلك فدعاه للمناظرة فأبى الإمام إلا أن شيخه ألح علي فعلم، ويكون الحق في المناظرة مع الإمام رحمه الله.

يذكر الرازي عن الحميدي قال: قال الشافعي: كُتبت كُتبتَ محمد بن الحسن، وعرفت قولهم، وكان إذا قام ناظرت أصحابه فقال لي ذات يوم في الغصب: بلغني أنك تخالفنا؟

قلت: إنما ذلك شيء أقوله على المناظرة.

فقال: قد بلغني غير هذا فناظرني.

فقلت: إني أجلك وأرفعك عن المناظرة.

(١) المرجع السابق، (ص ١٢٩).

(٢) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص ١٣٠، ١٣١).

فقال: لا بد من ذلك.

فلما أبى قلت: هات...» (١).

فما زال الإمام يناظر شيخه مناظرة طويلة ظهر فيها براعته وفهمه.

ومما يدل على احترام الإمام لشيخه وتوقيره لهم أنه دخل في مناظرة مع شيخه محمد بن الحسن عن أيهما أعلم، الإمام مالك رحمه الله أم الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله.

ذكر ذلك الرازي بقوله: «حدثنا أبو الحسن، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: سمعت الشافعي يقول: قال لي محمد بن الحسن: أيهما أعلم، صاحبنا أو صاحبكم؟ - يعني مالكًا وأبي حنيفة -.

قلت: على الإنصاف؟

قال: نعم.

قلت: فأنتدك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أو صاحبكم؟

قال: صاحبكم - يعني مالكًا -.

قلت: فمن أعلم بالسنة صاحبنا أو صاحبكم؟

قال: اللهم صاحبكم.

قلت: فأنتدك الله من أعلم بأقوال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتقدمين صاحبنا أو صاحبكم؟

قال: صاحبكم.

قال الشافعي: فلم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء فمن لم يعرف الأصول على أي شيء يقيس؟!» (٢).

برع الإمام رحمه الله في المناظرات والرد على أصحاب الكلام فعُرف فضله وعلا شأنه، يقول الرازي: «أخبرنا أبو الحسن، أخبرنا عبد الرحمن، أخبرنا أبو بكر بن إدريس وراق الحميدي، قال: قال الحميدي: كنا نريد أن نرد على أصحاب الرأي فلم نحسن كيف نرد عليهم حتى جاءنا الشافعي ففتح لنا» (٣).

التزم رحمه الله بأداب المناظرة وأصول المحاوراة، فكان رحمه الله لا يرفع صوته في المناظرة، يقول ابن حجر: «أخرج الآجري من طريق أبي عثمان بن

(١) الرازي، مرجع سابق، (ص ١٦٠).

(٢) الرازي، مرجع سابق، (ص ١٥٩ - ١٦٠).

(٣) المرجع السابق، (ص ٤١).

الشافعي قال: ما سمعت أبي يناظر أحداً قط فيرفع صوته»<sup>(١)</sup>، كما كان رحمه الله يزدرى مَنْ يظهر له الحق ولا يأخذ به.

يقول ابن حجر: «أخرج البيهقي من طريق الربيع قال: قال الشافعي: ما عرضت الحجة على أحد فقبلها إلا عظم في عيني، ولا عرضتها على أحد فردها إلا سقط من عيني»<sup>(٢)</sup>.

وكان رحمه الله لا يناظر من أجل الغلبة، وعنه قال: «ها ناظرت أحداً قط على الغلبة»<sup>(٣)</sup>.

يقول رحمه الله:

«إذا ما كنت ذا فضل وعلم  
فناظر من تناظر في سكونٍ  
يفيدك ما استفاد بلا امتنانٍ  
وإياك اللجوج ومن يرائي  
فإن الشرف في جنبات هذا  
بما اختلف الأوائل والأواخر  
حليمًا لا تلج ولا تكابر  
من النكت اللطيفة والنوادر  
بأنى قد غلبت ومن يفاخر  
يمني بالتقاطع والتدابير»<sup>(٤)</sup>

على ما كان يحدث بين الإمام رحمه الله وبين شيخه من مناظرات إلا أن حبل الود بينهما لم ينقطع.

يقول ابن حجر: «روينا في كتاب الألقاب لأبي بكر الشيرازي بسنده إلى محمد بن أبي بكر المقدسي قال: قال الشافعي: «لم يزل محمد بن الحسن عندي عظيمًا جليلاً، وأنفقت على كتبه ستين ديناراً حتى جمعني وإياه مجلس عند هارون أمير المؤمنين فابتدأ محمد بن الحسن فقال: يا أمير المؤمنين إن أهل المدينة خالفوا كتاب الله نصداً وأحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحكام المسلمين وقضوا بشاهد ويمين».

قال الشافعي: فأخذني ما قرب وما بعد ففقت فقلت: إنني أراك قد قصدت لببيت النبوة ومن نزل القرآن فيهم وأحكم الله أمره بهم وقبر النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم عمدت تهجوهم!

أريتك أنت بأي شيء قضيت بشهادة القابلة وحدها حتى ورثت خليفة ملكاً كبيراً ومالاً عظيماً.

قال: بعلي بن أبي طالب.

قلت: إنما روى هذا عن رجل مجهول يقال له عبد الله بن نجى.

(١) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص ١١٢).

(٢) المرجع السابق، (ص ١١٢).

(٣) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص ١٩٢).

(٤) المصطاوي، مرجع سابق، (ص ٦٥).

ورواه عن عبد الله بن نجي صابر الجعفي وكان يؤمن بالرجعة... وذكر القصة ويضيف ابن حجر: فهذا الذي كان بينه وبين محمد بن الحسن ومع ذلك فكان محمد بن الحسن يبالي في إكرامه والتأدب معه والاعتباط به حتى إن الأبري أخرج بسنده عن أبي حسان بن عثمان الزياتي قال: كنت في دهليز محمد بن الحسن فخرج محمد راكبًا فنظر فرأى الشافعي قد جاء فثنى رجله ونزل وقال لغلامه: اذهب فاعتذر.

فقال له الشافعي: لنا وقت غير هذا.

قال: لا، وأخذ بيده فدخلا الدار.

قال أبو حيان: فاختار مجالسة الشافعي على مرتبته في الدار - يعني دار الخلافة -.

قال أبو حسان: وما رأيت محمدًا يعظم أحدًا إعظام محمد الشافعي»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل أيضًا على عظيم قدر الإمام الشافعي رحمه الله وعلو مكانته طلب عبد الرحمن بن مهدي<sup>(٢)</sup> منه وضع كتاب في معاني القرآن، والإجماع، والناسخ والمنسوخ في القرآن والسنة، ففعل الإمام وسمى كتابه بالرسالة وأرسله إليه.

يذكر ابن حجر فيما رواه أبو ثور: «كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابًا في معاني القرآن يجمع فيه قبول الأخبار وحجة الإجماع وبيان الناسخ في القرآن والسنة، فوضع له كتاب (الرسالة)»<sup>(٣)</sup>.

وهذا من الاعتراف بالفضل، وحفظًا للجميل من عبد الرحمن بن مهدي إلى الإمام الشافعي رحمهما الله.

عاد الإمام رحمه الله إلى مكة بعد أن أخذ عن شيخه محمد بن الحسن تلميذ الإمام أبي حنيفة النعمان رحمهم الله، هذا على ما معه من فقه شيخه الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وفقه شيوخه في مكة رحمهم الله.

يذكر ابن حجر ما رواه أبو الوليد بن أبي الجارود قال: «كنا نتحدث نحن وأصحابنا من أهل مكة أن الشافعي أخذ كتب ابن جريج عن أربعة أنفس: عن مسلم بن خالد، وسعيد بن سالم وهذان فقيهان، وعن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد وكان أعلمهم ابن جريج، وعن عبد الله بن الحارث المخزومي وكان من الأثبات.

(١) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص ١٧٢).

(٢) عبد الرحمن بن مهدي البصري، أحد أئمة الحديث الكبار، الحفاظ المرجع السابق، (ص ١٦٩).

(٣) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص ٧٨).

وانتهت رياسة الفقه بالعراق إلى أبي حنيفة فأخذ عن صاحبه محمد بن الحسن حمل جمل ليس فيها شيء إلا وقد سمعه عليه فاجتمع له علم أهل الرأي وعلم أهل الحديث فتصرف في ذلك حتى أصل الأصول وقعد القواعد وأذعن له الموافق والمخالف، واشتهر أمره، وعلا ذكره، وارتفع قدره حتى صار منه ما صار»<sup>(١)</sup>.

ما أن وصل رحمه الله إلى مكة حتى اتخذ له حلقة في المسجد الحرام واجتمع حوله طلاب العلم، بل كانوا يقصدونه كلما قدموا للحج أو العمرة ومنهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الذي ترك حلقة الإمام ابن عيينة واتجه لحلقة الإمام الشافعي رحمهما الله وذلك لشدة إعجابه به.

يقول ابن حجر: «قال ابن عدي حدثنا زكريا الساجي، حدثني داود الأصفهاني، سمعت إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - يقول: لقيني أحمد بن حنبل بمكة فقال: تعال أريك رجلاً لم تر عيناك مثله قال: فجاء فأقامني على الشافعي.

ويضيف ابن حجر: «قال ابن أبي حاتم: سمعت محمد بن الفضل الفراء يقول: سمعت أبي يقول: حججت مع أحمد بن حنبل فنزلت في مكان واحد معه فخرج باكراً وخرجت بعده، فدرت في المسجد فلم أجده في مجلس ابن عيينة ولا غيره حتى وجدته جالساً مع أعرابي فقلت: يا أبا عبد الله تركت ابن عيينة وجئت إلى هذا؟ فقال لي: اسكت، إنك إن فاتك حديث بعلو وجدته بنزول، وإن فاتك عقل هذا أخاف أن لا تجده، ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله من هذا الفتى. قلت: من هذا؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي.

ويضيف ابن حجر: «وروى زكريا الساجي عن محمد بن خالد عن الفضل بن زياد قال: قال أحمد: «هذا الذي ترون كله أو عامته من الشافعي، ومات منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو الله للشافعي وأستغفر له»<sup>(٢)</sup>.

وهذه منقبة عظيمة للإمام أحمد رحمه الله أن حفظ الجميل واعترف بالفضل لمعلمه.

(١) ابن حجر العسقلاني، مرجع السابق، (ص ٧٣).

(٢) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص ٨٤).

## ✦ رحلته الثانية إلى العراق:

عزم الإمام الشافعي على الرحيل ثانية إلى العراق، وهذه المرة بطوعه واختياره، فقد عرف العراق وعرف أهله، وقد أخذ عنهم حمل بعير، فتأقت نفسه هذه المرة للقاء طلاب العلم ومناظرة أهل الرأي، وكان ذلك سنة ١٩٥ هـ.

إن الفائدة التي تحصل لطلاب العلم لا تقل شأنًا عن الفائدة التي تحصل للعالم نفسه، فالمناظر المتمكن من نصوص الكتاب والسنة يستطيع أن يظهر الصواب ويردع أهل البدع والأهواء وذلك باسترجاع النصوص وربطها وتحليلها.

لقد كان بعض طلاب العلم في العراق يتشوقون للقاء شيخهم الذي عرفوه في مكة وأخذوا عنه مثل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

يذكر ياقوت الحموي: «حدث الحسن بن محمد الزعفراني قال: كنا نحضر مجلس بشر المريسي، فكنا لا نقدر على مناظرته، فمشينا إلى أحمد بن حنبل فقلنا له: ائذن لنا في أن نحفظ الجامع الصغير الذي لأبي حنيفة لنخوض معهم إذا خاضوا.

فقال: اصبروا فالآن يقدم عليكم المطلبي الذي رأيت به بمكة.

فقال: فقدم علينا الشافعي فمشوا إليه وسألناه شيئًا من كتبه، فأعطانا كتاب اليمين مع الشاهد فدرسته في ليلتين، ثم غدوت على بشر المريسي، وتخطيت إليه فلما رأني قال: ما جاء بك يا صاحب حديث، فقال: فقلت ذرني من هذا، إيش الدليل على إبطال اليمين مع الشاهد؟ فناظرته فقطعته، قال هذا ليس من كيسكم هذا من كلام رجل رأيت به بمكة معه نصف عقل أهل الدنيا»<sup>(١)</sup>.

قصد الإمام رحمه الله الجامع الغربي ببغداد واتخذ فيه حلقة ينشر فيها العلم، ويرد فيها على أهل الرأي، فقصده طلاب العلم، وكان بالمسجد عشرون حلقة لأهل الرأي تلاشت كلها إلا ثلاث أو أربع حلقات.

ذكر ذلك النووي فيما رواه إبراهيم الحربي قال: «قدم الشافعي ببغداد وفي الجامع الغربي عشرون حلقة لأصحاب الرأي، فلما كان في الجمعة لم يثبت فيها إلا ثلاث حلق أو أربع»<sup>(٢)</sup>.

ظل الإمام رحمه الله ينشر العلم في حلقاته وبيته، ويتصدى لأهل الرأي حتى إن بعضهم كان يجيئ لطلب العلم وإنما للسخرية والاستهزاء فلما سمع مقالة الإمام رحمه الله ورده اتبعه وعدل عن مذهبه.

يقول ابن حجر: «قال ابن أبي حاتم، حدثنا أبو عبد الله الفسوي عن أبي ثور

(١) الحموي، معجم الأدياء، مرجع سابق، (٤٦٩/٦).

(٢) النووي، مرجع سابق، (١٣٣/١).

قال: «لما ورد الشافعي العراق وجاءني الحسين بن علي الكرابيسي وكان يختلف معي إلى أهل الرأي، فقال لي: ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه، فقم بنا نسخر منه، فذهبنا إليه فسأله الحسين عن مسألة فلم يزل يقول: قال الله، قال رسول الله حتى أظلم علينا البيت فتركنا ما كنا فيه واتبعناه»<sup>(١)</sup>.

لقد أنعم الله تعالى على طلاب العلم بشيخهم الجليل الذي علمهم أصول الاستنباط من أدلة الكتاب والسنة، فاعترفوا له بالفضل، ذكر النووي مجموعة من أقوال طلاب العلم واعترافهم بفضل الإمام الشافعي رحمه الله، يقول:

قال أحمد بن حنبل: «إذا جاءت المسألة ليس فيها أثر فأفت فيها بقول الشافعي. وقال أحمد أيضاً: «لا تكلم في العلم أقل خطأً ولا أشد أخذاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم من الشافعي.

وقال أحمد بن حنبل وقد سئل عن الشافعي: «لقد منَّ الله به علينا، لقد كنا تعلمنا كلام القوم، وكتبنا كتبهم، حتى قدم علينا الشافعي فلما سمعنا كلامه علمنا أنه أعلم من غيره، وقد جالسناه الأيام والليالي، فما رأينا منه إلا كل خير، رحمة الله عليه.

وقال: «كانت أفضيتنا لأصحاب أبي حنيفة حتى رأينا الشافعي فكان أفقه الناس في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: «ما رأيت أحداً أعقل ولا أروع ولا أفصح ولا أنبل رأياً من الشافعي»<sup>(٣)</sup>.

ويضيف النووي: «وقال الكرابيسي: «ما فهمنا استنباط أكثر السنن إلا بتعليم الشافعي إيانا.

وقال الكرابيسي أيضاً: «ما كنا ندري ما الكتاب والسنة والإجماع حتى سمعناه من الشافعي، وما رأيت مثل الشافعي، ولا رأى الشافعي مثل نفسه وما رأيت أفصح منه ولا أعرف.

وقال الكرابيسي أيضاً: «ما رأيت مجلساً قط أنبل من مجلس الشافعي كان يحضره أهل الحديث، وأهل الفقه، وأهل الشعر، وكان يأتيه كبار أهل اللغة والشعر فكلُّ متعلمٍ منه»<sup>(٤)</sup>.

اشتهر الإمام الشافعي رحمه الله، وعلا ذكره، وشهد بذلك خلق كثير وذلك لما

(١) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص ٨٩).

(٢) النووي، مرجع سابق، (ص ١٣٠).

(٣) المرجع السابق، (ص ١٣١).

(٤) المرجع السابق، (ص ١٢٩ - ١٣٠).

رأوا فيه من سداد الرأي، ورجاحة العقل، وهي ثمرة طيبة لرحلاته في طلب العلم.

يقول النووي: «فلما اشتهرت جلاله الشافعي رحمه الله في العراق، وسار ذكره في الآفاق، وأذعن بفضل الموافقون والمخالفون واعترف به العلماء أجمعون، وعظمت عند الخلائق وولاية الأمور مرتبته واستقرت عندهم جلالته وإمامته، وظهر من فضله في مناظراته أهل العراق وغيرهم ما لم يظهر لسواه، وأظهر من بيان القواعد ومهمات الأصول ما لم يعرف لمن عداه، وامتنح في مواطن كثيرة مما لا يحصى من المسائل فكان جوابه فيها من الصواب والسداد بالمحل الأعلى والمقام الأسنى عكف عليه للاستزادة منه الصغار والكبار والأئمة الأخيار من أهل الحديث والفقهاء وغيرهم، ورجع كثير منهم عن مذاهب كانوا عليها إلى مذهبه، وتمسكوا بطريقته، كأبي ثور وخلائق من الأئمة، وترك كثير منهم الأخذ عن شيوخهم وكبار الأئمة لانقطاعهم إلى الشافعي حين رأوا عنده ما لا يجدون عند غيره، وبارك الله الكريم له ولهم في تلك العلوم الباهرة، والمحاسن المتظاهرة والخيرات المتكاثرة والله الحمد على ذلك وعلى سائر نعمه التي لا تحصى.

ويذكر النووي رحمه الله ثمرة أخرى من ثمرات رحلة الإمام الشافعي للعراق ألا وهي تصنيفه لكتاب (الحجة).

يقول رحمه الله: «وصنف في العراق كتابه القديم المسمى كتاب (الحجة) ويرويه عنه أربعة من كبار أصحابه العراقيين وهم: أحمد بن حنبل، وأبو ثور، والزعفراني، والكرابيبي، وأتقنهم له رواية: الزعفراني»<sup>(١)</sup>.

عزم الإمام الشافعي على الرحيل من العراق والعودة إلى مكة بعد أن رأى غلبة العنصر الفارسي على أمور الدولة، وكذلك انتشار الفلاسفة والمتكلمين اللذين أدناهم المأمون منه.

### ✦ رحلته إلى مصر:

لم يلبث الإمام الجليل طويلاً في مكة حتى تآقت نفسه إلى مصر فعزم على الرحيل إليها.

يقول الحموي: «عن أبي بكر بن بنت الشافعي قال: قال الشافعي بمكة حين أراد الخروج إلى مصر:

لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر      ومن دونها قطع المهامة والقفور  
فوالله ما أدري أالفوز والغنى      أساق إليها أم أساق إلى القبر

(١) النووي، مرجع سابق، (ص ١١٤ - ١١٥).

قال: فخرج فقطع عليه الطريق، فدخل بعض المساجد وليس عليه إلا خرقة، فدخل الناس وخرجوا فلم يلتفت إليه أحد فقال:

عليّ ثياب لو يباع جميعها  
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها  
وما ضر نصل السيف إخلاق  
غم ضر نصل السيف إخلاق  
بفلس لكان الفلس منهن أكثرا  
نفوس الورى كانت أجل وأكبرا  
إذا كان غضباً أين وجهته  
فـرى»<sup>(١)</sup>

دخل الإمام الشافعي مصر سنة تسع وتسعين ومائة، وقيل: سنة مائتين، وقد جمع النووي بين الروايتين بقوله: «خرج الشافعي رحمه الله إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة، وقال أبو عبد الله حرمله بن يحيى: قدم الشافعي مصر سنة تسع وتسعين ومائة، وقال الربيع: سنة مائتين، يقول النووي: ولعله قدم في آخر سنة تسع جمعاً بين الروايتين»<sup>(٢)</sup>.

وكان سبب قدومه رحمه الله إلى مصر هو تلبية لدعوة الخليفة على مصر وهو العباس بن عبد الله بن العباس بن موسى بن عبد الله بن العباس، يقول الحموي: «يقال: إن الشافعي قدم إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة في أول خلافة المأمون وكان سبب قدومه إلى مصر أن العباس بن عبد الله بن العباس بن موسى بن عبد الله بن العباس استصحبه فصحبه، وكان العباس هذا خليفة لأبيه عبدالله على مصر، ولم يزل الشافعي بمصر إلى أن ولى السري بن الحكم البلخي - من قوم يقال لهم الزط - مصر واستقامت له وكان يكرم الشافعي ويقدمه ولا يؤثر أحداً عليه، وكان الشافعي محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه وحسن كلامه وأدبه وحلمه»<sup>(٣)</sup>.

نزل رحمه الله على أخواله الأزدي، يقول ابن حجر: «قال زكريا الساجي: حدثنا ياسين بن عبد الأحد، قال: لما قدم الشافعي مصر أتاه جدي فسأله أن ينزل عليه فأبى وقال: إني أريد أن أنزل على أخوالي الأزدي»<sup>(٤)</sup>.

وكان رحمه الله قد سأل عن أهل مصر قبل رحيله، يقول ابن حجر: «أخرج الحاكم من طريق الربيع قال: لزممت الشافعي قبل أن يدخل مصر وكان له جارية سوداء، فكان يعمل الباب من العلم ثم يقول: يا جارية قومي فاسرجي، فتسرج له فيكتب ما يحتاج إليه ثم يطفى السراج، فدام على ذلك سنة فقلت: يا أبا عبد الله إن هذه الجارية منك في جهد!

(١) الحموي، معجم الأدياء، مرجع سابق، (٦/٤٨٠).

(٢) النووي، مرجع سابق، (١/١١٥).

(٣) الحموي، معجم الأدياء، مرجع سابق، (٦/٤٨١).

(٤) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص١٥٢).



لا يتركونني»<sup>(١)</sup>.

وقد كان رحمه الله يتلهف على ما ضيعه المسلمون من الطب، يقول ابن حجر: «قال الحسن بن سفيان حدثنا حرملة، قال: كان الشافعي... يتلهف ما ضيع المسلمون من الطب ويقول: ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى»<sup>(٢)</sup>.  
نشر رحمه الله علمه وبيّن أصوله واستنباطه للأحكام المؤيدة بالأدلة حتى أقبل الناس عليه وأعجبوا به.

يقول النووي: «قال عبد الله بن عبد الحكم<sup>(٣)</sup>: ما رأيت مثل الشافعي، وما رأيت رجلاً أحسن استنباطاً منه»<sup>(٤)</sup>.

ولم يكن إعجاباً فقط، بل وصل الأمر إلى أن فتنوا به، يقول ابن حجر: «قال زكريا الساجي، سمعت هارون بن سعيد الأيلي يقول: ما رأيت مثل الشافعي، قدم علينا مصر فقال: قدم رجل من قریش فجئناه وهو يصلي فما رأينا أحسن صلاة منه ولا أحسن وجهاً، فلما تكلم ما رأينا أحسن كلاماً منه فافتننا به»<sup>(٥)</sup>.

ومما ورد في صفة حلقة رحمه الله في مصر ما ذكره ابن حجر: «أخرج الأبري من طريق الربيع قال: لما قدم الشافعي مصر، وقعد في مجلسه كان يجالسه رؤساء أصحاب الحلق، عبد الله بن عبد الحكم ونظراؤه، وكان الشافعي حسن الوجه والخلق فحبب إلى أهل مصر من الفقهاء والنبلاء والأعيان قال: وكان يجلس في حلقة إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن فيسألونه، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألوه عن معانيه وتفسيره، فإذا ارتفعت الشمس قاموا واستوت الحلقة للمناظرة والمذاكرة، فإذا ارتفع النهار تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى يقرب انتصاف النهار ثم ينصرف إلى منزله»<sup>(٦)</sup>.

ظل رحمه الله ينشر علمه، ويملي على أصحابه، ويؤلف الكتب فأخرج للناس كتابه المسمى (الأم).

ومع ذلك كان رحمه الله يعاني من الباسور معاناة شديدة فلم يضعف ولم

(١) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص ١١٨).

(٢) المرجع السابق.

(٣) عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث، الإمام الفقيه، مفتي الديار المصرية، أبو محمد المصري المالكي، صاحب مالك، ويقال: إنه من موالى عثمان رضي الله عنه، ولد سنة خمس وخمسين ومئة، ومات في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائتين، وله نحو من ستين سنة.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٢/٢٤١٦).

(٤) النووي، مرجع سابق، (١/١٣٠).

(٥) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص ٩٣).

(٦) المرجع السابق، (ص ١٠٥).

ينقطع عطاءه.

يقول ابن حجر: «قال أبو الحسن الأبري حدثنا الزبير بن عبد الواحد حدثني محمد بن سعيد حدثنا الفريابي - هو أبو سعيد - قال: قال الربيع: أقام الشافعي هاهنا أربع سنين فأملى ألفاً وخمسمائة ورقة، وخرج كتاب الأم ألفي ورقة، وكتاب السنن وأشياء كثيرة كلها في مدة أربع سنين وكان عليلاً شديد العلة، وربما خرج الدم وهو راكب حتى تمتلئ سراويله وخُفه - يعني من البواسير»<sup>(١)</sup>.

ومما يذكر في رحلته هذه أنه رحمه الله خالف شيخه مالك بن أنس وذلك لما سمع عن أهل الأندلس أنهم يستسقون بقلنسوة لمالك، فأراد أن يبين لهم أن مالكاً بشرٌ يخطئ ويصيب، ولكي يصرفهم عن بدعتهم التي كانوا عليها.

يقول ابن حجر: «قال البيهقي: قرأت في كتاب زكريا بن يحيى الساجي فيما حدثه البصريون أن الشافعي إنما وضع الكتب على مالك أنه بلغه أن بالأندلس قلنسوة لمالك يستسقى بها، وكان يقال لهم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقولون: قال مالك.

فقال الشافعي: إن مالكاً بشر يخطئ، فدعاه ذلك إلى تصنيف الكتاب في اختلافه معه، وكان يقول: استخرت الله تعالى في ذلك سنة.

ومن طريق الحسن بن رشيق، حدثنا محمد بن يحيى بن آدم حدثنا الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول: «قدمت مصر ولا أعرف أن مالكاً يخالف في أحاديثه إلا ستة عشر حديثاً فنظرت فإذا هو يقول بالأصل ويدع الفرع ويقول بالفرع ويدع الأصل»<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (ص ١٧٧).

(٢) المرجع السابق، (ص ١٤٨).

## المبحث الثالث نتائج رحلاته

### أولاً : نتائج رحلته إلى البادية:

- أ- أتقن رحمه الله من رحلته إلى البادية العربية الفصحى، حتى أصبح حجة في اللغة، وبها أدرك معنى كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.  
يقول النووي: «وهو الإمام الحجة في لغة العرب... فقد اشتغل في العربية عشرين سنة مع بلاغته وفصاحته، ومع أنه عربي اللسان والدار والعصر وبها يعرف الكتاب والسنة.  
قال عبد الملك بن هشام صاحب (المغازي) إمام أهل مصر في عصره في اللغة والنحو: «الشافعي حجة في اللغة».  
ويضيف النووي قوله: «وكان إذا شك في شيء من اللغة بعث إلى الشافعي فسأله عنه.  
وقال أبو عبيد: «كان الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة».  
وقال أبو أيوب بن سويد: «خذوا عن الشافعي اللغة».  
وقال أبو عثمان المازني: «الشافعي عندنا حجة في النحو».

وقال الأصمعي: «صححت أشعار الهذليين على شاب من قريش بمكة يقال له: محمد بن إدريس»<sup>(١)</sup>.  
وللإمام الشافعي رحمه الله ديوان شعر مطبوع ومنشور معروف باسمه.

- ب- كما كان من نتائج رحلته إلى البادية اتقانه للرمي فكان يصيب ولا يخطئ.  
ج- اكتسب رحمه الله من رحلته للبادية المقدرة على الحوار التي تعتمد على الشجاعة والثقة بالذات.

### ثانياً: نتائج رحلته إلى المدينة النبوية:

- أ- قرأ الموطأ على الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى.  
ب- استغل الإمام الشافعي رحمه الله وجوده في المدينة النبوية ليتنقل بين مشايخها ويتعلم على أيديهم.  
ج- تعرف الإمام الشافعي رحمه الله على بعض ثقافات وعادات أهل المدينة، كالعجائب التي رآها هناك.

### ثالثاً: نتائج رحلته إلى اليمن:

- ١- تعلم الإمام الشافعي الفراسة من الكتب التي جمعها.  
٢- تعرف على ثقافات وطباع أهل اليمن، ومن ذلك ما ذكره الرازي عن محمد بن عبد الحكم: «سمعت الشافعي يقول: تحمل المرأة باليمن لبنت تسع أو عشر، شك ابن عبد الحكم»<sup>(٢)</sup>.  
٣- تعرف الإمام على أنماط الناس من خلال المحنة التي وقع فيها، مما أكسبه خبرة في ذلك.

### رابعاً: نتائج رحلته إلى العراق:

- أ- تعرف الإمام الشافعي رحمه الله على مذهب أصحاب الرأي.  
ب- أتقن رحمه الله أصول المناظرة والحوار.  
ج- طار ذكر الإمام رحمه الله بين أهل العراق، فاكسب الثناء الجميل والذكر الحسن، فكثر محبيه من طلاب العلم، حتى كانوا يدعون له في غيابه.

(١) النووي، مرجع سابق، (١١٦/١).

(٢) الرازي، مرجع سابق، (ص ٤٩).

د- صنف رحمه الله كتاب (الحجة).

### ✽ خامساً: نتائج رحلته إلى مصر:

- أ- أسس رحمه الله مذهباً جديداً جمع ما كان عليه أهل مصر، حيث كانوا على قسمين: الأول على مذهب الإمام مالك بن أنس، والثاني على مذهب أبي حنيفة النعمان رحمهما الله تعالى.
- ب- صحح بعض ما جاء في مذهب الإمام مالك رحمه الله.
- ج- أخرج كتابيه (الأم) و(السنن) وأملى ألف وخمسمائة ورقة.

### ✽ بعض المبادئ التي كان يتحلى بها الإمام الشافعي رحمه الله:

- ١- الحرص على طلب العلم.
- عُرف الإمام الشافعي رحمه الله بحبه لطلب العلم وحرصه عليه، فقد بدأ بحفظ القرآن الكريم، ثم انتقله لبداية هذيل يتعلم الشعر والرمي وأيام العرب، ثم حفظ الموطأ وقرأه على شيخه الإمام مالك بن أنس رحمه الله، ثم طلبه كتب الفراسة في اليمن، ثم أخذه عن محمد بن الحسن في العراق، حتى في رحلته الأخيرة إلى مصر ظل يتعلم من كتب ابن عيينة التي اصطحبها معه، يقول المقدسي: «عن أبي ثور قال: من زعم أنه رأى مثل محمد بن إدريس في علمه وفصاحته ومعرفته وثباته وتمكنه فقد كذب، كان محمد بن إدريس منقطع القرين في حياته فلما مضى لسبيله لم يعتض منه»<sup>(١)</sup>.

### ٢- الصبر في جميع الأحوال.

الصبر من أسمى الصفات التي يجب على طالب العلم التحلي بها، فقد كان الإمام الشافعي رحمه الله صبوراً منذ بداية تعليمه في الكتاب، ثم ظلت هذه الصفة ملازمة له في طلبه للعلم ورحلاته من أجله، كما كان رحمه الله صبوراً في المحنة التي واجهته، وكذلك في مرضه أيضاً حتى وهو يلقي دروسه.

### ٣- كثرة قراءته للقرآن الكريم.

وذلك عن الربيع بن سليمان: «كان الشافعي يختم في كل ليلة ختمة، فإذا كان شهر رمضان ختم في كل ليلة منها ختمة، وفي كل يوم ختمة، فكان يختم في شهر رمضان ستين ختمة»<sup>(٢)</sup>.

### ٤- الكرم والسخاء.

يقول ابن الأثير: «قال الحميدي: قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار في منديل، فضرب خبءة في موضع خارجاً من مكة وكان الناس يأتونه فما برحت حتى ذهبت كلها ثم دخل مكة»<sup>(٣)</sup>.

(١) المقدسي، أحمد بن عبد الهادي، (١٤١٦هـ)، مناقب الأئمة الأربعة، دار المؤيد، (ص ١٠٩).

(٢) المقدسي، مرجع سابق، (ص ١٠٥).

(٣) ابن الأثير الجزري، مجد الدين المبارك بن محمد، (١٤١٠هـ)، مناقب الإمام الشافعي، دار

٥- تقوى الله تعالى في جميع الأحوال والورع.

كان رحمه الله من أتقى عباد الله وأورعهم وأزهدهم فيما عند الناس، فقد أبى أن يدخل بيتًا مفروشًا بالديباج، وكذلك عدم مصانعة أهل نجران وقضاءه بينهم بالحق.

٦- توقير الشيوخ والمعلمين.

كان رحمه الله يوقر شيوخه، ويقدرهم، وينزلهم منازلهم، حتى في مناظرته لهم، وذلك مثل ما فعل ما شيخه محمد بن الحسن في العراق.

٧- الإنكار على أهل البدع بالحكمة واللين.

أنكر رحمه الله على أهل الأندلس عندما كانوا يستسقون بقلنسوة الإمام مالك بن أنس رحمه الله.



## الفصل الخامس

الإمام أحمد بن حنبل

ويتضمن ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف بالإمام أحمد.
- المبحث الثاني: رحلاته في طلب العلم.
- المبحث الثالث: نتائج رحلاته.

## المبحث الأول

### التعريف بالإمام أحمد بن حنبل

اسمه ونسبه:

اسمه ونسبه كما ذكره ابنه صالح: «أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن النبت بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليه وسلم»<sup>(١)</sup>.

أحد الأئمة الأعلام وشيخ من شيوخ الإسلام «لزم الاقتداء، وظفر بالاهتداء، علم الزهاد، وقلم النقاد، امتحن فكان في المحنة صبوراً، واحتبى فكان للنعمة شكوراً، كان للعلم والحلم واعياً، وللهم والفكر راعياً»<sup>(٢)</sup>.

مولده ونشأته:

يقول صالح بن أحمد بن حنبل: «سمعت أبي يقول: ولدت في سنة أربع وستين ومائة في أولها في ربيع الأول، وجيء بي حَمْل من مرو<sup>(٣)</sup>، وتوفي أبوه محمد بن حنبل وله ثلاثون سنة فوليته أمه»<sup>(٤)</sup>.

يقول الذهبي: «وكان محمدٌ والد أبي عبد الله من أجناد مرو، مات شاباً له نحو من ثلاثين سنة، ورُبِّي أحمد يتيماً، وقيل: إن أمه تحولت من مرو وهي حامل به»<sup>(٥)</sup>.

طلبه للعلم:

بدأ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله طلبه للعلم في الكُتَّاب - كعادة أطفال المسلمين - ليحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى الديوان ليتعلم الكتابة.

(١) ابن حنبل، صالح بن أحمد، (٤١٥ هـ)، سيرة الإمام أحمد بن حنبل، (ط٣)، دار السلف للنشر والتوزيع، الرياض، (ص ٣٠).

(٢) الأصفهاني، أبو نعيم، (١٤١٩ هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تهذيب صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، (٣/١٣٥).

(٣) مرو: أشهر مدن خراسان.  
الحموي، ياقوت بن عبد الله، (د.ت)، معجم البلدان، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (٢٣٥/٨).

(٤) ابن حنبل، مرجع سابق (ص ٢٩، ٣٠).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١/٩٢١).

يقول الذهبي: «قال المروزي: قال لي أبو عبد الله: اختلفت إلى الكُتّاب ثم اختلفت إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة»<sup>(١)</sup>.

يقول أبو زهرة: «لقد وجهته أسرته إلى القرآن الكريم منذ نشأته الأولى، فاستحفظه، وظهرت عليه الألمعية مع الأمانة والتقوى، فكان الغلام التقى بين الغلمان، كما صار من بعد الشاب التقى، ثم الكهل الذي أبلى البلاء الأكبر في الإسلام، واحتمل المكاره في سبيل ما يعتقد، أو ما يراه تهجماً فيما ليس به علم، حتى إذا أتم حفظ القرآن، وعلم اللغة، اتجه إلى الديوان ليمرن على التحرير والكتابة»<sup>(٢)</sup>.

والذي يظهر أن الإمام رحمه الله حفظ القرآن حفظ طالب العلم المبتدئ، ثم انشغل عنه بطلب الحديث، فسأل الله تعالى أن يمن عليه بحفظه، فاستجاب الله دعائه، فحفظه الإمام ولكن في السجن والقيود.

يذكر ذلك ابن الجوزي عن أبي بكر بن الخلال قال: «سمعت أحمد بن حنبل يقول: كنت أحفظ القرآن، فلما طلبت الحديث اشتغلت، فقلت: متى؟

فسألت الله أن يمن عليّ بحفظه ولم أقل في عافية، فما حفظته إلا في السجن والقيود، فإذا سألت الله حاجة فتقول: في عافية»<sup>(٣)</sup>.

ولقد عُرف رحمه الله بالتقوى منذ صباه، فقد ذكر ابن الجوزي عن المروزي قال: «قال لي أبو عفيف - وذكر أبا عبد الله أحمد بن حنبل - فقال: كان في الكُتّاب معنا وهو غليم نعرف فضله، وكان الخليفة بالرقعة، فيكتب الناس إلى منازلهم الكتب، فيبعث نساؤهم إلى المعلم: ابعث إلينا بأحمد بن حنبل، ليكتب لهم جواب كتبهم، فيبعثه فكان يجيء إليهن مطأطئ الرأس، فيكتب جواب كتبهم، فربما أملى عليه الشيء من المنكر، فلا يكتبه لهن»<sup>(٤)</sup>.

اتجه رحمه الله لدراسة الفقه، ثم عدل عن ذلك وأقبل على الحديث، يقول عنه ابن كثير: «وقد كان في حدائته يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف<sup>(٥)</sup> ثم ترك

(١) المرجع السابق (١/٩٢٣).

(٢) أبو زهرة، محمد، (١٤١٨هـ)، ابن حنبل حياته وعصره - آراؤه وفقهه، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، (ص ١٩).

(٣) ابن الجوزي، مرجع سابق (ص ٢٨).

(٤) المرجع السابق، (ص ٢٠).

(٥) القاضي أبو يوسف هو الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة، أبو يوسف يعقوب بن يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي، ولد في سنة ثلاث عشرة ومئة، حدث عن أبي حنيفة ولزمه وتفقه به، وهو أنبل تلامذته، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٤٢٣٧ - ٤٢٣٨).

ذلك وأقبل على سماع الحديث»<sup>(١)</sup>.

كان رحمه الله شغوفًا بطلب العلم، فكان يحب البكور، يذكر ذلك ابن الجوزي «عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي يقول: كنت ربنا أردت البكور في الحديث فتأخذ أُمِّي بثيابي وتقول: حتى يؤذن الناس، أو حتى يصبحوا»<sup>(٢)</sup>.

وممن أخذ عنهم الحديث شيخه هشيم<sup>(٣)</sup>، فقد لازمه نحو أربع سنين يقول رحمه الله فيما رواه ابنه صالح: «طلبت العلم وأنا ابن ست عشرة سنة، وأول سماعي من هشيم سنة تسع وسبعين... ولزمناه سنة ثمانين واحدى وثمانين واثنين وثلاث ومات في سنة ثلاث وثمانين، كتبنا عنه كتاب الحج نحوًا من ألف حديث، وبعض التفسير، وكتاب (القضاء) وكتبًا صغارًا.

قلت: تكون ثلاثة آلاف؟ قال: أكثر»<sup>(٤)</sup>.

كان رحمه الله يجل شيخه هشيم ويقدره، يقول رحمه الله: «لزمته هشيمًا أربع سنين أو خمسًا ما سألته عن شيء إلا مرتين هيبة له، وكان كثير التسبيح بين الحديث، يقول: لا إله إلا الله يمد بها صوته»<sup>(٥)</sup>.

#### ✦ مؤلفاته:

كان الإمام أحمد رحمه الله لا يحب أن يكتب عنه شيئًا، وكان يرد طلابه دائمًا إلى الأصل، خوفًا منه رحمه الله في أن يبتعد طلاب العلم عن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يعتمدون على آراء العلماء. ولقد ذكر ابن الجوزي مؤلفات الإمام.

يقول ابن الجوزي: «كان الإمام أحمد لا يرى وضع الكتب، وينهى أن يكتب عنه كلامه ومسائله، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة، ولنقلت عنه كتب، فكانت تصانيفه المنقولات، فصنف (المسند) وهو ثلاثون ألف حديث، وكان يقول لابن عبد الله: «احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إمامًا».

ثم ذكر ابن الجوزي (التفسير) وهو مئة ألف وعشرون ألفًا، و(الناسخ والمنسوخ)، و(التاريخ) و(حديث شعبة) و(المقدم والمؤخر في القرآن) و(جوابات

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٣٥٣/١٠).

(٢) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ٢٤).

(٣) هشيم بن بشير شيخ الإسلام محدث بغداد وحافظها أو معاوية السلمي، مولا هم، الواسطي، ولد سنة أربع ومئة، سكن بغداد ونشر بها العلم وصنف التصانيف، توفي سنة ١٨٣ هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٠٩٩/٣).

(٤) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ٢٣).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٠٩٩/٣).

القرآن) و(المناسك الكبير) و(الصغير) وأشياء أخر.

وكان ينهي الناس عن كتابة كلامه، فنظر الله تعالى إلى حسن قصده فنقلت ألفاظه وحفظت، فقل أن تقع مسألة إلا وله فيها نص من الفروع والأصول، وربما عدت في تلك المسألة نصوص الفقهاء الذين صنعوا وجمعوا»<sup>(١)</sup>.

ويضيف الذهبي تصانيف لم يذكرها ابن الجوزي فيقول: «وكتاب (الإيمان) وكتاب (الأشربة)، ورأيت له ورقة من كتاب (الفرائض)».

وللذهبي رأي في كتاب (التفسير) الذي ذكره ابن الجوزي، فيقول: «فتفسيره المذكور شيء لا وجود له، ولو وجد لاجتهد الفضلاء في تحصيله ولاشتهر، ثم لو ألف قسيراً لما كان يكون أزيد من عشرة آلاف أثر، ولاقتضى أن يكون في خمس مجلدات، فهذا تفسير ابن جرير الذي جمع فيه فأوعى لا يبلغ عشرين ألفاً»<sup>(٢)</sup>.

ويعلل أبو الحسن والأحمد نهي الإمام أحمد رحمه الله عن أن يكتب عنه شيئاً بقولهما: «١ - أن نهي الإمام أحمد عن كتابة فتاويه إنما هو رغبة في قصر جهود تلاميذه عن الاشتغال بنقل النصوص والآثار الثابتة وألا تكون العناية بأقوال الرجال وآرائهم على حساب ذلك».

٢- أن نهييه كان مقصوراً على ما يتعلق بالآراء الفقهية والاجتهاد فيها والتي استخرجها هو أو غيره من أهل العلم..

٣ - أن نهي الإمام أحمد عن كتابة أقواله يدعمه التواضع لله عز وجل وكرامة الظهور»<sup>(٣)</sup>.

✽ مرضه ووفاته:

يقول صالح بن أحمد بن حنبل: «لما كان في أول يوم من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومئتين حم أبي ليلة الأربعاء، فدخلت عليه يوم الأربعاء، وهو محموم يتنفس تنفساً شديداً، وكنت قد عرفت علته، وكنت أمرضه إذا اعتل فقلت له: يا أبة، على ما أفطرت البارحة؟

قال: على ماء باقلاء.

ثم أراد القيام، فقال: خذ بيدي، فأخذت بيده، فلما صار إلى الخلاء ضعفت رجلاه حتى توكأ علي.

وكان يختلف إليه غير متطبب، كلهم مسلمون، فوصف له متطبب يقال له:

(١) ابن الجوزي، مرجع سابق (ص ١١٣).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١/٩٦٢).

(٣) أبو الحسن، علي بن محمد، الأحمد، عمر بن أحمد، (١٤٢٥هـ)، الملتقط في دفع ما ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله من الكذب والغلط، دار أطلس الخضراء، الرياض، (ص ٦٤).

عبد الرحمن قرعة تشوى، ويسقى ماءها، وهذا يوم الثلاثاء وتوفي يوم الجمعة»<sup>(١)</sup>.

على ما لقيه الإمام رحمه الله من ألم في مرض وفاته إلا أنه لم يئن ولم يشتكي، يقول ابنه صالح: «اجتمعت عليه أوجاع الحصر، وغير ذلك ولم يزل عقله ثابتاً، وهو في خلال ذلك يقول: كم اليوم في الشهر؟ فأخبره.

وكنت أنام بالليل إلى جنبه، فإذا أراد حاجة حركني فأناوله، وقال لي: جنني بالكتاب الذي فيه حديث ابن إدريس عن ليث عن طاووس أنه كان يكره الأنين، فقرأته عليه فلم يئن إلا في الليلة التي توفي فيها»<sup>(٢)</sup>.



(١) ابن حنبل، مرجع سابق، (ص ١٢١).

(٢) المرجع السابق، (ص ١٢٣).

## المبحث الثاني رحلاته في طلب العلم<sup>(١)</sup>

### ✦ رحلاته داخل العراق:

#### ١ - رحلته إلى الكوفة<sup>(٢)</sup>:

يقول رحمه الله: «خرجت إلى الكوفة سنة مات فيها هشيم - سنة ثلاث وثمانين ومئة - وهي أول سنة سافرت فيها»<sup>(٣)</sup>.

ولعله يريد أول سنة سافر فيها إلى الكوفة؛ لأنه قد سافر في سنة اثنتين وثمانين ومئة إلى علي بن مجاهد الكابلي بالري.

رحل رحمه الله برفقة صاحبه الأعرابي مشياً على الأقدام قاصدين أبا معاوية الضرير<sup>(٤)</sup>، يقول الذهبي: «حدثنا المرزوي: سمعت أبا عبد الله يقول: مات هشيم ولي عشرون سنة فخرجت أنا والأعرابي - رفيق كان لأبي عبد الله - قال: فخرجنا مشاة، فوصلنا الكوفة - يعني: في سنة ثلاث وثمانين، فأتينا أبا معاوية، وعنده الخلق، فأعطى الأعرابي حجة بستين درهماً فخرج وتركني في بيت وحدي، فاستوحشت وليس معي إلا جراب فيه كتبي، كنت أضعه فوق لبنة، وأضع رأسي عليه»<sup>(٥)</sup>.

فما الذي دفع بالإمام رحمه الله أن يرحل ماشياً من بغداد إلى الكوفة إلا رغبته الجامحة وعزيمته القوية على طلب العلم، ثم الصبر عليه. وقد أحسن رحمه الله في اتخذه رفيقاً له في رحلته.

عاد رحمه الله إلى بغداد بعد مرضه في ذلك البيت الذي كان يسكنه، لاسيما وقد رحل رفيقه عنه، ولم يكن قد استأذن والدته في الرحيل، وهذا من براه بوالدته وحسن أدبه معها، يروي ذلك ابنه صالح قال: «وخرجت إلى الكوفة فكنت في

(١) انظر: الملاحق (ص ٢٦٢).

(٢) الكوفة بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسمى قوم: خد العذراء، قال أبو بكر محمد بن القاسم سميت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب رأيت كوفاناً وكوفانا بضم الكاف وفتحها للرميلة المستديرة، وقيل: لاجتماع الناس بها من قولهم قد تكوف الرمل. الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق (١٦٠/٧).

(٣) ابن حنبل، مرجع سابق، (ص ٣١).

(٤) محمد بن خازم أبو معاوية الضرير الكوفي، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان حافظاً ولكنه كان مرجئاً خبيثاً. وقال ابن حجر: ثقة، أحفظ الناس لحديث الأعمش وقد يتهم في حديث غيره وقد رمي بالإرجاء، مات سنة ١٩٥ هـ.

صبري، عامر حسن، (١٤١٣ هـ)، معجم شيوخ الإمام أحمد في المسند، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (ص ٣١٠).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٩٢٥/٣).

بيت تحت رأسي لبنة، فحمت فرجعت إلى أمي رحمها الله ولم أكن استأذنتها»<sup>(١)</sup>.

ولعل الإمام أحمد رحمه الله قد خرج إلى الكوفة أكثر من مرة يتردد على علمائها، يقول الشكعة: «فإذا ما كان الحديث عن الكوفة التي خرج إليها أحمد أكثر من مرة، نجد رحلته إليها تتسم بسمتين متضادتين، سمة خشنة تتمثل فيما لاقى فيها من متاعب في الإقامة، فقد ذكر أنه ينام في بيت ويجعل تحت رأسه لبنة، وأما السمة الأخرى فكانت لبنة ناعمة، فقد أخذ فيها عن ثلاثة من كبار الأئمة والعلماء هم: يحيى بن آدم<sup>(٢)</sup>، آدم<sup>(٣)</sup>، وعبد الرحمن بن محمد<sup>(٣)</sup>، ووكيع بن الجراح<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

كان رحمه الله ملازمًا لشيخه وكيع بن الجراح كثيرًا يأخذ عنه، بل ويذاكره فيما يحفظ، يقول الذهبي: «قال المروزي: سمعت أبا عبد الله يقول: كنت أذاكر وكيعًا بحديث الثوري، وكان إذا صلى العشاء الآخرة خرج من المسجد إلى منزله، فكنت أذاكره، فربما ذكر تسعة عشرة أحاديث فأحفظها، فإذا دخل قال لي أصحاب الحديث: إمل علينا فأملها عليهم...»

وفي رواية أخرى للخلال قال: «حدثنا إسماعيل الترمذي: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: كان وكيع إذا كانت العتمة ينصرف مع أحمد بن حنبل فيقف على الباب فيذاكره، فأخذ وكيع ليلة بعضادتي الباب ثم قال: يا أبا عبد الله، أريد أن ألقى عليك حديث سفيان.

قال: هات...»

يقول الراوي: فلم يزل قائمًا حتى جاءت الجارية فقالت: قد طلع الكوكب، أو قالت: الزهرة.

(١) ابن حنبل، مرجع سابق، (ص ٣٣).

(٢) يحيى بن آدم بن سليمان، العلامة، الحافظ، الموجود، أبو زكريا الأموي، مولا هم، الكوفي، صاحب التصانيف، من موالى خالد بن عقبة بن أبي معيط، ولد بعد الثلاثين ومئة... واتفق موته غريبًا ببلد قم الصلح في سنة ثلاث ومنتين.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٤١٤٦ - ٤١٤٧).

(٣) المحاربي الحافظ الثقة، أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد بن زياد الكوفي، ولد في دولة هشام بن عبد الملك، مات سنة خمس وتسعين ومئة.

الذهبي، مرجع سابق، (٢/٢٢٢٥).

(٤) وكيع بن الجراح بن مليح... الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي الكوفي، أحد الأعلام، ولد سنة تسع وعشرين ومئة، قاله أحمد بن حنبل، قال أبو هشام الرفاعي: مات وكيع سنة سبع وتسعين ومئة يوم عاشوراء، فدفن بفيد، يعني راجعًا من الحج.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٤١٢١، ٤١٢٧).

(٥) الشكعة، مصطفى، (٤٠٤هـ)، الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (ص ٢٧).

وقال عبد الله: قال لي أبي: خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك عن الكلام»<sup>(١)</sup>.

كان رحمه الله شديد التواضع والأدب عند شيوخه، ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي عن عمر الناقد قال: «كنا عند وكيع، وجاء أحمد بن حنبل فقعد – وجعل يصف من تواضعه بين يديه – قال عمرو: فقلت: يا أبا عبد الله إن الشيخ يكرمك فما لك لا تتكلم؟

قال: وإن كان يكرمني! فينبغي لي أن أجله»<sup>(٢)</sup>.

٢ – رحلته إلى البصرة<sup>(٣)</sup>:

يذكر ابن الجوزي قول عبد الله بن أحمد بن حنبل: «سمعت أبي يقول: دخلت البصرة خمس دخلات، دخلتها في أول رجب سنة ست وثمانين ومئة سمعت من المعتمر بن سليمان<sup>(٤)</sup>، ودخلت الثانية في سنة تسعين، ودخلت الثالثة في سنة أربع وتسعين، وقد مات غندر<sup>(٥)</sup>، وخرجت في سنة خمس وتسعين فأقامت على يحيى بن سعيد<sup>(٦)</sup> ستة أشهر، ودخلت سنة مئتين»<sup>(٧)</sup>.

(١) الذهبي، محمد بن أحمد، (١٤١٤هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (ط٢)، دار الكتاب العربي، حوادث ووفيات ٢٤١ – ٢٥٠هـ (ص٦٨).

(٢) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص٣١).

(٣) يقول الحموي: «قال ابن الأنباري: البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة، وقال قطرب: البصرة الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب... وقال غيره: البصرة حجارة رخوة فيها بياض.

الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق (٣٤٠/٢).

(٤) معتمر بن سليمان بن طرفان، الإمام الحافظ القدوة، وهو من موالى بن مرة ونسب إلى تيم لنزوله فيهم هو وأبوه، كان من كبار العلماء، قال ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: ثقة صدوق، توفي ١٨٧هـ.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣٨٩٧/٣).

(٥) غندر: محمد بن جعفر، الحافظ، المجدد، الثبت، أبو عبد الله الهذلي، مولاها، البصري، الكرابيسي، التاج، أحمد المتقنين، ولد سنة بضع عشرة ومئة، وكانت وفاته في ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين ومئة.

المرجع السابق، (٣٣٧٧/٣).

(٦) يحيى القطان، يحيى بن سعيد بن فروخ، الإمام الكبير، أمير المؤمنين في الحديث، أبو سعيد التميمي مولاها البصري، الأحول، القطان، الحافظ، ولد في أول سنة عشرين ومئة، وتوفي في صفر سنة ثمان وتسعين ومئة.

المرجع السابق، (٤١٦٩/٣).

(٧) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص٢٥).

سمع رحمه الله في سنة أربع وتسعين ومئة من عدة شيوخ ذكرهم ابن الجوزي: «عن حنبل بن إسحاق قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: سمعت من سليمان بن حرب<sup>(١)</sup> بالبصرة سنة أربع وتسعين، ومن أبي النعمان عارم<sup>(٢)</sup> في تلك السنة، ومن أبي عمر الحوضي<sup>(٣)</sup> أيضاً»<sup>(٤)</sup>.

ظل رحمه الله يتردد على البصرة حتى أحبه شيخه يحيى بن سعيد بل وتعلق به، يقول الذهبي: «قال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: شقت على يحيى بن سعيد يوم خرجت من البصرة»<sup>(٥)</sup>.

وهذه ثمرة طيبة جناها الإمام أحمد رحمه الله من ترده على البصرة ولقاءها بشيوخها.

كان رحمه الله شديد الأدب مع شيخه القطان، ذكر ذلك أن الجوزي عن إسحاق الشهيد قال: «كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر، ثم يستند إلى أصل منارة مسجده، فيقف بين يديه علي المديني، والشاذكوني وعمر بن علي وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم يسألونه عن الحديث وهم قيام على أرجلهم، إلى أن تحين صلاة المغرب، لا يقول لأحد منهم اجلس ولا يجلسون هيبة وإعظاماً»<sup>(٦)</sup>.

(١) سليمان بن حرب بن بجيل، الإمام الثقة الحافظ، شيخ الإسلام، أبو أيوب الواشحي، الأزدي، البصري، قاضي مكة، حدث عن شعبة، وحوشب، وعنه: البخاري وأبو داود، والحميدي..

ومن القدماء: يحيى بن سعيد القطان، وأحمد بن حنبل. قال البخاري: قال سليمان بن حرب: ولدت في صفر سنة أربعين ومئة. وقال ابن سعد وغيره: رجع من مكة، وصرف من قضائها ومات بالبصرة في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومئتين.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١٩٠١/٢ - ١٩٠٢).

(٢) عارم: محمد بن الفضل، الحافظ الثبت الإمام، أبو النعمان السدوسي البصري، ولد سنة نيف وأربعين ومئة، سمع: حماد بن سلمة، وجريز بن حازم...، وعنه: البخاري، وأحمد بن حنبل...، قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: إذا حدثك عارم فاختم عليه، ثم قال: اختلط عارم في آخر عمره وزال عقله، مات عارم سنة أربع وعشرين في صفر. المرجع السابق، (٣٦٣٦/٣ - ٣٦٣٧).

(٣) حفص بن عمر بن الحارث الحوضي، الإمام المجود الحافظ، أبو عمر الأزدي، النمري من النمري بن غيمان البصري المشهور بالحوضي، حدث عنه: هشام الدستوائي وواصل بن عبد الرحمن وشعبة، وحدث عنه: البخاري وأبو داود...، قال عبيد الله بن جرير: توفي في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين. المرجع السابق، (١٥٢٢/١).

(٤) ابن الجوزي، مرجع سابق (ص ٢٢).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (ص ٩٢٥).

(٦) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ٣١).

### ٣ - رحلته إلى واسط<sup>(١)</sup>:

انتقل رحمه الله من البصرة إلى واسط قاصداً شيخه يزيد بن هارون<sup>(٢)</sup>، فافتقده شيخه القطان، ذكر ذلك ابن الجوزي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «سمعت أبي يقول: كنت مقيماً على يحيى بن سعيد القطان، ثم خرجت إلى واسط، فسأل يحيى بن سعيد عني، فقالوا: خرج إلى واسط، فقال: أي شيء يصنع بواسط؟ قالوا: مقيم على يزيد بن هارون.

قال: وأي شيء يصنع عند يزيد بن هارون؟!!

قال أبو عبد الرحمن: أي: هو أعلم منه»<sup>(٣)</sup>.

وهذا من حرص يحيى بن سعيد على طلابه، ومحبته لهم، ودليل واضح على محبته لتلميذه ابن حنبل رحمه الله.

وبقدر التقدير والمحبة التي وجدها بالبصرة وجدها أيضاً بواسط، يذكر ذلك ابن الجوزي عن أحمد بن سنان، قال: «ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيماً منه لأحمد بن حنبل، ولا رأيت أكرم أحد إكرامه لأحمد بن حنبل وكان يقعه إلى جنبه إذا حدثنا، وكان يوقر أحمد بن حنبل ولا يمازحه. ومرض أحمد بن حنبل فركب إليه يزيد بن هارون وعاده.

ويقول أبو بكر المرذوي: قلت لأبي عبد الله: أي شيء كان سبب يزيد بن هارون حين عادك؟

قال: كنت بواسط، وكنت أجلس بالقرب منه إذا حدث فكان يعرفني، فقال يوماً: حدثني يحيى بن سعيد، قال: سمعت سالم بن عبد الله يقول، فقلت له: ليس في هذا (سمعت) وإنما هو (ن سالمًا) فدخل فأخرج الكتاب، فإذا هو (ن سالمًا)، فقال من رد عليّ؟ فقالوا: أحمد بن حنبل. فقال: صيروه كما قال. فكان إذا جلس يقول: يا ابن حنبل ادن هاهنا. قال: وجاءني فعادني»<sup>(٤)</sup>.

(١) سميت واسط؛ لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة، لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخاً.

الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق (٤٣٥/٨).

(٢) يزيد بن هارون بن زاذان السلمي، مولاهم، أبو خالد الواسطي، قال أحمد: كان حافظاً للحديث... وقال: من سمع منه بواسط هو أصح ممن سمع منه ببغداد لأنه كان بواسط يلقي فيرجع إلى ما في الكتب. مات سنة ٢٠٦ هـ.

صبري، مرجع سابق (ص ٣٩٤).

(٣) ابن الجوزي، مرجع سابق (ص ٢٤).

(٤) ابن الجوزي، مرجع سابق (ص ٣٩ - ٤٠).

#### ٤ - رحلته إلى الرقة<sup>(١)</sup>:

رحل رحمه الله إلى الرقة ليلتقي بشيخه فياض بن محمد بن سنان<sup>(٢)</sup> يذكر ذلك ابن الجوزي «عن عبد الله بن الوليد الحراني، يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما رأيت بالرقة أفضل من فياض بن محمد بن سنان مولى قریش، ومنزله ملاصق مسجد الجامع، مات بالرقة بعد المتئين»<sup>(٣)</sup>.

وهذا يدل على أن الإمام أحمد رحمه الله التقى بعدة شيوخ في الرقة إلا أنه أُعجب كثيراً بفياض.

#### ✽ رحلته الخارجية:

##### ١ - رحلته إلى مكة المكرمة:

تعددت رحلات الإمام أحمد رحمه الله إلى مكة المكرمة، فكانت أول رحلة له سنة ١٨٧ هـ لأداء فريضة الحج ثم ملاقاته شيخه سفيان بن عيينة<sup>(٤)</sup>، فقد سأل صالح ابن الإمام أحمد أباه عن سنة خروجه لسفيان بن عيينة بمكة فقال: «في سنة سبع وثمانين قدمناها، وقد مات الفضيل بن عياض<sup>(٥)</sup>، وهي أول سنة حججت، وسنة إحدى وتسعين سنة حج الوليد بن مسلم<sup>(٦)</sup>، وفي سنة ست وتسعين، وأقامت سنة سبع وتسعين»<sup>(٧)</sup>.

ظل رحمه الله يطلب العلم من ابن عيينة رغم كثرة طلاب العلم وازدحامهم عليه، فصبر على ذلك حتى أغمي عليه، وظن الناس أنه قد مات، يذكر ذلك

(١) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حرّان ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي، يقال لها الرقة البيضاء.

الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق (٤/٤١٣ - ٤١٤).

(٢) فياض بن محمد بن سنان أبو محمد الرقي، ذكره ابن حبان في الثقات، مات سنة متئين. صبري، مرجع سابق، (ص ٢٨٩).

(٣) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ٢٧).

(٤) سفيان بن عيينة، سبق التعريف به (ص ١٥٤).

(٥) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، الإمام، القدوة، الثبت، شيخ الإسلام، أبو علي التيمي اليربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله، قال محمد بن سعد: ولد بخراسان... وقدم الكوفة وهو كبير.. ثم تعبد وانتقل إلى مكة ونزلها إلى أن مات بها أول سنة سبع وثمانين ومئة في خلافة هارون الرشيد، وكان ثقة، نبيلاً، فاضلاً، عابداً، ورعاً، كثير الحديث.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٢/٣٠٤٢).

(٦) الوليد بن مسلم، الإمام، عالم أهل الشام، أبو العباس الدمشقي، الحافظ، مولى بني أمية، كان من أوعية العلم، ثقة حافظاً، لكن روي التندليس، قال محمد بن مصفى الحمصي وغيره: مات الوليد في شهر المحرم سنة خمس وتسعين ومئة.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٤١٣٣، ٤١٣٦).

(٧) ابن حنبل، مرجع سابق (ص ٣٢).

الذهبي عن الخلال قال: «وحدثنا المرزوي: قلت لأحمد: أكان أغمي عليك، أو غشي عليك عند ابن عيينة؟»

قال: نعم، في دهليزه زحمني الناس، فأغمي عليّ .

وروى أن سفيان قال يومئذ: كيف أحد وقد مات خير الناس»<sup>(١)</sup>.

وهذه شهادة عظيمة من هذا الشيخ الجليل لتلميذه.

التقى الإمام أحمد بالإمام الشافعي رحمهما الله أول مرة في مكة ثم تكررت اللقاءات بالعراق.

يقول الذبيسي: «رحل أحمد إلى الحجاز، والتقى بالشافعي وأخذ منه فقهه وأصوله، وبيانه لناسخ القرآن ومنسوخه»<sup>(٢)</sup>.

أُعجب الإمام أحمد بشيخه الشافعي رحمهما الله فقام ينصح أصحابه بمجالسته، فقد روى الرازي عن أبي إسماعيل الترمذي أنه قال: «سمعت إسحاق ابن راهوية يقول: كنا بمكة والشافعي بها، وأحمد بن حنبل بها، فقال لي أحمد بن حنبل: يا أبا يعقوب، جالس هذا الرجل (يعني الشافعي).

قلت: ما أصنع به وسنه قريب من سننا؟ أترك ابن عيينة والمقبري؟!

فقال: ويحك، إن ذاك يفوت، وذا لا يفوت، فجالسته»<sup>(٣)</sup>.

كما نصح الإمام أحمد رحمه الله الحميدي بمجالسة الإمام الشافعي رحمهما الله فقد روى الرازي بسنده عن أبي بكر بن إدريس قال: «سمعت الحميدي يقول: كان أحمد بن حنبل قد أقام عندنا بمكة على سفيان بن عيينة، فقال لي ذات يوم - أو ذات ليلة - ههنا رجل من قریش له بيان ومعرفة.

فقلت له: فمن هو؟

قال: محمد بن إدريس الشافعي، وكان أحمد بن حنبل قد جالسه بالعراق، فلم يزل بي حتى اجترني إليه»<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن حجر العسقلاني: «أخرج البيهقي من طريق ابن السماك أن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثهم قال: قال لي أبي: كنت أجالس الشافعي فأذاكره بأسماء الرجال، وكان أبي يصف الشافعي فيطنب في وصفه، وقد كتب عنه أبي

(١) الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١/٩٢٥).

(٢) الذبيسي، جمعان أحمد، (١٥٤١هـ-)، الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة (ص ٦٠).

(٣) الرازي، مرجع سابق، (ص ٤٣).

(٤) المرجع السابق (ص ٤٤).

حديثاً كثيراً وكتبت من كتبه بعد موته أحاديث كثيرة مما كان سمعه منه.

ويضيف ابن حجر:

ومن طريق أبي قاسم البغوي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كان الفقه قفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي.

ويضيف ابن حجر:

أخرج الحاكم من طريق الفضل بن زياد سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما أحد مس محبرة ولا قلمًا إلا وللشافعي في عنقه منة»<sup>(١)</sup>.

كان رحمه الله يطلب العلم في مكة على قلة ذات يده، ومع ذلك كان عفيفاً، وورعاً.

يقول الذهبي: «عن شيخ أنه كان عنده كتاب بخط أحمد بن حنبل فقال: كنا عند ابن عيينة سنة، ففقدت أحمد بن حنبل أياماً فدلت على موضعه، فجئت فإذا هو في شبيهه بكهف في جباد، فقلت: سلام عليكم، أدخل؟ قال: لا. ثم قال: ادخل، فدخلت، وإذا عليه قطعة لبدٍ خلق، فقلت: لم حجبتي؟ فقال: حتى أستتر. قلت: ما شأنك؟

قال: سرقت ثيابي.

قال: فبادرت إلى منزلي فجئته بمئة درهم، فعرضتها عليه، فامتنع فقلت قرضاً، فأبى، حتى بلغت عشرين درهماً، ويأبى.

فقلت: ما يحل لك أن تقتل نفسك.

قال: ارجع، فرجعت.

فقال: أليس قد سمعت معي من ابن عيينة؟

قلت: بلى.

قال: تحب أن أنسخه لك؟

قلت: نعم.

قال: اشتر لي ورقاً.

قال: فكتبت بدراهم، اكتسى منها ثوبين»<sup>(٢)</sup>.

عرف رحمه الله بصلاحه وحبه للعلم، فقد ذكر ابن الجوزي، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: نزلنا بمكة داراً وكان فيها شيخ يكنى بأبي بكر بن سماعة –

(١) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق (ص ٨٤ – ٨٥).

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مرجع سابق، (ص ٩٢٥).

وكان من أهل مكة - قال: نزل علينا أبو عبد الله في هذه الدار وأنا غلام، فقالت لي أمي: إلزم هذا الرجل فاخدمه فإنه رجل صالح، فكننت أخدمه. وكان يخرج يطلب الحديث فسرق متاعه وقماشه، فجاء، فقالت له أمي: دخل عليك السراق، فسرقوا قماشك. فقال: ما فعلت الألواح؟

فقالت له أمي: في الطاق. وما سأل عن شيء غيرها»<sup>(١)</sup>.

٢ - رحلته إلى اليمن:

عزم الإمام أحمد رحمه الله على الرحيل جنوباً، قاصداً اليمن، ليسمع من عبد الرزاق الصنعاني<sup>(٢)</sup>، وذلك بعد قضاء فريضة الحج مع رفيقه يحيى بن معين، يذكر ذلك ابن الجوزي «عن صالح بن أحمد يقول: عزم أبي على الخروج إلى مكة يقضي حجة الإسلام، ورافق يحيى بن معين، وقال له: نمضي إن شاء الله فنقضي حجنا، ثم نمضي إلى عبد الرزاق إلى صنعاء نسمع منه. قال أبي: فدخلنا مكة وقمنا بطواف طواف الورد، فإذا عبد الرزاق في الطواف يطوف، وكان يحيى بن معين قد رآه وعرفه، فخرج عبد الرزاق لما قضى طوافه، فصلى خلف المقام ركعتين ثم جلس، ففطينا طوافنا، وجئنا فصلينا خلف المقام ركعتين، فقام يحيى بن معين، فجاء إلى عبد الرزاق فسلم عليه، وقال له: هذا أحمد بن حنبل أخوك، فقال: حياه الله وثبته، فإنه يبلغني عنه كل جميل.

قال له يحيى: نجى إليك غداً إن شاء الله حتى نسمع ونكتب، قال: وقام عبد الرزاق فانصرف.

فقال أبي ليحيى بن معين: لم أخذت على الشيخ موعداً؟

قال: لنسمع منه، قد أربحك الله مسيرة شهر ورجوع شهر والنفقة.

فقال أبي: ما كان الله يراني وقد نويت نية لي أفسدها بما تقول. نمضي فنسمع منه. فمضى حتى سمع منه بصنعاء»<sup>(٣)</sup>.

لم يرغب الإمام رحمه الله في قطع نيته لينال أجر طالب العالم، فرغب في المشقة لينال الأجر، وكذلك ليبقى فترة طويلة عند شيخه ليأخذ أكبر قدر من العلم،

(١) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ٢٨).

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع، الحافظ الكبير، عالم اليمن، أبو بكر الحميري، مولاهم، الصنعاني، الثقة، الشيعي حدث عن: هشام بن حسان.. والأوزاعي.. وسفيان الثوري، ومالك بن أنس ووالده همام وخلق سواهم. حدث عنه: شيخه سفيان بن عيينة، ومعتز بن سليمان.. وطائفة من أقرانه، وأحمد بن حنبل، وابن راهويه.

توفي عبد الرزاق في شوال سنة إحدى عشرة ومئتين.

(٣) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ٢٧).

ففترة الحج التي سيقضيها الشيخ في مكة قصيرة، فهمة الإمام عالية، ونهمه في طلب العلم شديد.

كان للشيخ مجلس بصنعاء، قد تركه ورحل إلى قريته عندما علم برحيل أصحاب الحديث إليه.

تقول الأستاذة/رحمة الزهراني: «ومنذ علم عبد الرزاق بن همام من أهل الحديث في مكة برحيل هؤلاء إليه أغلق بابه وترك مجلسه في صنعاء، وذهب إلى قريته الرمادة، وربما كان ذلك منه لأنه كان يعلم بأن كتبه كانت أوثق من حفظه، فهاب أن يلتقي بأئمة الحفاظ من غير كتاب، خاصة وأن مكتبته كانت في بيته الذي في الرمادة فكان يحفظه في سجل أحاديثه، ولم يكن يدخله أحد غيره ولا تمسه يد أحد سواه»<sup>(١)</sup>.

رحل الإمام أحمد إلى صنعاء، وذكره الطيب قد سبقه، يقول الذهبي عن الحاكم عن الحنظلي أنه سمع عبد الله بن أحمد يقول: «سمعت أبي يقول: قدمت صنعاء أنا ويحيى بن معين، فمضيت إلى عبد الرزاق في قريته، وتخلف يحيى، فلما ذهبت أدق الباب قال لي بقال تجاه داره: مه، لا تدق، فإن الشيخ يهاب، فجلست حتى إذا كان قبل المغرب، خرج فوثبت إليه، وفي يدي أحاديث انتقيتها، فسلمت، وقلت: حدثني بهذه رحمك الله إني رجل غريب.

قال: ومن أنت؟ وزبرني<sup>(٢)</sup>.

قلت: أنا أحمد بن حنبل.

قال: فتقاصر، وضمني إليه، وقال: بالله أنت أبو عبد الله؟

ثم أخذت الأحاديث، وجعل يقرأها حتى أظلم.

فقال للبقال: هلم المصباح، حتى خرج وقت المغرب، وكان عبد الرزاق يؤخر صلاة المغرب»<sup>(٣)</sup>.

كان عامة المحدثين لا يحدثون غالباً من حفظهم، بل يحدثون من كتاب؛ لأن ذلك أحفظ وأضبط، وهذا ما حدث من عبد الرزاق، يذكر ذلك ابن الجوزي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «وقال أبي: ما كتبنا عن عبد الرزاق من حفظه شيئاً إلا المجلس الأول، وذلك أننا دخلنا بالليل فوجدناه في موضع جالساً، فأملى علينا سبعين حديثاً، ثم التفت إلى القوم، فقال: ولولا هذا ما حدثتكم - يعني أبي

(١) الزهراني، رحمة أحمد، (١٤٠٥ هـ)، بلاد اليمن في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، (ص ١٨١).

(٢) زبرني، جاء في لسان العرب: زبر الرجل يزبره زبراً: انتهره.

ابن منظور، مرجع سابق (١٠/٧).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١/٩٢٥).

«(١)».

وهذا من تقدير عبد الرزاق للإمام أحمد رحمهما الله، ولما رأى منه من اهتمام بالغ وحرص على طلب العلم، فهو الذي يقول عنه: «إن يعيش هذا الرجل يكون خلفاً من العلماء»<sup>(٢)</sup>، فقد كان رحمه الله صاحب همة عالية، وشغف بطلب العلم، يذكر ذلك الذهبي عن المرزوي: «حدثني أبو محمد النسائي، سمعت إسحاق بن راهويه، قال: كنا عند عبد الرزاق أنا وأحمد بن حنبل، فمضينا معه إلى المصلى يوم عيد، فلم يكبر هو ولا أنا ولا أحمد، فقال لنا: رأيت معمرًا والثوري في هذا اليوم كبرًا، وإني رأيتكما لم تكبرا فلم أكبر، فلم لم تكبرا؟

قلنا: نحن نرى التكبير، ولكن شغلنا بأي شيء نبتدئ من الكتب»<sup>(٣)</sup>.

كان الإمام رحمه الله يطلب العلم على قلة يد، ذكر ذلك الذهبي: «عن أبي إسحاق الجوزجاني، قال: كان أحمد بن حنبل يصلي بعبد الرزاق، فسها، فسأل عنه عبد الرزاق فأخبر أنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام شيئاً»<sup>(٤)</sup>.

وربما كان رحمه الله يعمل عملاً خفيفاً يقتتات منه، يذكر ذلك الذهبي عن الخلال قال: «حدثنا أبو القاسم بن الجبلي، عن أبي إسماعيل الترمذي عن إسحاق بن راهويه، قال: كنت مع أحمد بن حنبل عند عبد الرزاق، وكانت مع جارية، وسكنا فوق، وأحمد أسفل في البيت، فقال لي: يا أبا يعقوب هو ذا يعجبني ما أسمع من حركتكم.

قال: وكنت أطلع فأراه يعمل التكبك<sup>(٥)</sup>، ويبيعها، ويتقوت بها، هذا أو نحو»<sup>(٦)</sup>.

لم يدع الإمام أحمد فرصة تقوت لطلب العلم حتى وإن كانت عسيرة، يذكر ذلك ابن الجوزي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «قال أبي: ذهبت إلى إبراهيم بن عقيل وكان عسراً لا يوصل إليه، فأقمت على بابيه باليمن يوماً أو يومين حتى وصلت إليه، فحدثني بحدِيثين، وكان عنده أحاديث وهب عن جابر، فلم أقدر أن سمعها من عسره، ولم يحدثنا بها إسماعيل بن عبد الكريم لأنه كان حياً، فلم أسمعها من أحد»<sup>(٧)</sup>.

- (١) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ٢٨).
- (٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١/٩٢٦).
- (٣) المرجع السابق.
- (٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١/٩٢٦).
- (٥) التكة واحدة التكبك، والتكة: رباط السراويل.
- (٦) ابن منظور، مرجع سابق (٢/٢٣٠).
- (٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١/٩٢٦).
- (٨) ابن الجوزي، مرجع سابق (ص ٢٦).

عاد رحمه الله إلى مكة بعد أن أخذ من شيخه، ولما وصل كان عليه أثر التعب لقلّة ما عنده، وضيق ذات يده، يذكر ذلك الذهبي عن ابن أبي حاتم قال: «حدثنا أحمد بن سنان، قال: بلغني أن أحمد بن حنبل رهن نعله عند خباز باليمن، وأكرى نفسه من جمالين عند خروجه، وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة فلم يقبلها»<sup>(١)</sup>.

كان رحمه الله مسروراً بما أخذ من شيخه عبد الرزاق، مما هوّن عليه ما لقيه من مشقة، يذكر ذلك ابن الجوزي عن أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: «لما قدم أحمد بن حنبل مكة من عند عبد الرزاق، رأيت به شحوباً وقد تبين عليه أثر النصب والتعب فقلت: يا أبا عبد الله لقد شققت على نفسك في خروجك إلى عبد الرزاق، فقال: ما أهون المشقة فيما استفدنا من عبد الرزاق، كتبنا عنه حديث الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه، وحديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة»<sup>(٢)</sup>.

استهون رحمه الله ما لحقه من التعب، واستلذ بما أصابه من الوصب والنصب في رحلته الطويلة المضنية لأنه أخذ أحاديث من شيخه عبد الرزاق لم يأخذها من غيره.

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١/٩٣٠).

(٢) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ٢٨).

## المبحث الثالث نتائج رحلاته

### أولاً : نتائج رحلاته للكوفة:

- د- سمع من شيخه أبي معاوية الضرير.
  - هـ- أتقن رحمه الله كتب شيخه وكيع بن الجراح.
  - و- كتب عن شيوخه بالكوفة ثلاث مئة ألف حديث.
- يذكر ذلك ابن الجوزي عن ابن منيع قال: «سمعت جدي يقول: مر أحمد بن حنبل جاثياً من الكوفة، وبيده خريطة فيها كتب، فأخذت بيده، فقلت: مرة إلى الكوفة، ومرة إلى البصرة، إلى متى؟ إذا كتب الرجل ثلاثين ألف حديث لم يكفه؟ فسكت، ثم قلت: ستين ألف؟ فسكت. فقلت: مئة ألف؟ فقال حينئذ: يعرف شيئاً.
- قال أحمد بن منيع: فنظرنا، فإذا أحمد كتب ثلاث مئة ألف حديث»<sup>(١)</sup>.
- ز- نال الإمام أحمد رحمه الله إعجاب ومحبة وثقة شيوخه بالكوفة، يذكر ابن الجوزي قول وكيع بن الجراح في الإمام أحمد فيما رواه إبراهيم بن شماس قال: «سمعت وكيعاً يقول: ما قدم الكوفة مثل ذلك الفتى - يعني أحمد بن حنبل -». ويقول ابن شماس أيضاً: «سألت وكيعاً عن خارجه بن مصعب يحدثنا عنه، فقال: لست أحدث عنه، نهاني أحمد بن حنبل أن أحدث عنه»<sup>(٢)</sup>. ومن عظيم ما مدح به الإمام أحمد رحمه الله ما مدحه به شيخه يحيى بن آدم، فقد ذكر ابن الجوزي أن إسحاق بن راهويه قال: «سمعت يحيى بن آدم يقول: أحمد بن حنبل إمامنا»<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: نتائج رحلته إلى البصرة:

- د- سمع من شيوخه بالبصرة وأخذ عنهم، مثل: المعتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد.
- هـ- نال رحمه الله إعجاب شيوخه ومحبتهم، يذكر ابن الجوزي: أن عبيد الله بن عمر الجشمي قال: «قال لي يحيى بن سعيد القطان ما قدم عليّ مثل أحمد حنبل»<sup>(٤)</sup>.

### ثالثاً: نتائج رحلته إلى واسط:

- هـ- أخذ من شيخه يزيد بن هارون.
- و- نال رحمه الله ثقة شيخه، يذكر ابن الجوزي أن محمد بن عبد الملك بن زنجويه قال: «رأيت يزيد بن هارون يصلي، فجاء إليه أبو عبد الله أحمد بن حنبل، فلما سلم يزيد في الصلاة التفت إلى أحمد حنبل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في العارية؟

قال: مؤادة.

فقال له يزيد: أخبرنا حجاج بن الحكم قال: ليست مضمونة.  
فقال له أحمد: قد استعار النبي صلى الله عليه وسلم من صفوان بن أمية

(١) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ٢٥ - ٢٦).

(٢) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ٤٢).

(٣) المرجع السابق (ص ٤٥).

(٤) المرجع السابق، (ص ٤٣).

أدراءً، فقال له: عارية مؤداة؟  
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «العارية مؤداة». فسكت يزيد،  
وصار إلى قول أحمد بن حنبل»<sup>(١)</sup>.

❖ رابعاً: نتائج رحلته إلى الرقة:

أ- أخذ من شيوخ عدة بالرقة إلا أن أفضلهم في نظر الإمام رحمه الله هو فياض بن محمد بن سنان.

❖ خامساً: نتائج رحلاته إلى مكة المكرمة:

د- سمع الإمام أحمد رحمه الله من شيوخه سفيان بن عيينة، والإمام الشافعي رحمه الله.

هـ- نال الإمام أحمد رحمه الله محبة شيوخه، وإعجابهما.

و- رحل الإمام أحمد من مكة وقد بقي له فيها الذكر الطيب.

❖ نتائج رحلته لليمن:

أ- سمع الإمام أحمد رحمه الله من شيوخه عبدالرزاق، واستفاد أيضاً من إبراهيم بن عقيل، الذي كان عسراً لا يوصل إليه.

ب- تعلم الإمام من شيوخه عبد الرزاق طريقة مضبوطة لإملاء الأحاديث الشريفة وهي القراءة من كتاب، وعدم الاعتماد على ما يحفظه.

ج- لم يتأثر الإمام أحمد رحمه الله بمذهب شيوخه عبد الرزاق حيث كان شيعياً، وبقي الإمام رحمه الله على مذهبه، مذهب أهل السنة والجماعة.

كان من أهم نتائج رحلات الإمام أحمد رحمه الله وتنقلاته من بلد إلى بلد، ولقائه بالشيوخ، والسماع منهم أن حفظ ألف ألف حديث.

ذكر ذلك ابن الجوزي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «سمعت أبا زرعة يقول: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: ما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب»<sup>(٢)</sup>.

يقول منصور: «وكانت حصيلة ارتحاله عن بغداد ثم استقراره فيما ما يزد عن ثلاثين وأربعمائة عالم من علماء عصره، أفاد منهم في بناء كيانه العلمي»<sup>(٣)</sup>.  
كما أصبح رحمه الله علماً من أعلام الجرح والتعديل.

❖ بعض المبادئ التي كان يتحلى بها الإمام أحمد بن حنبل رحمه

الله:

١- التقوى والورع:

عُرف الإمام أحمد رحمه الله بالتقوى والورع، فقد كان كثير الصلاة، كثير الإحسان، معرضاً عن الدنيا.

يذكر الذهبي أن عبد الله بن أحمد يقول: «كان أبي يصلي في كل يوم

(١) ابن الجوزي، مرجع سابق، (٣٩).

(٢) ابن الجوزي، مرجع سابق (ص ٣٣).

(٣) منصور، زياد محمد (٤٢٣ هـ)، سوالات أبي داود للإمام أحمد بن حنبل في جرح الرواة وتعديلهم، (ط ٢)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، (ص ١٥).

وليلة ثلاثمائة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط<sup>(١)</sup> أضعفته، فكان يصلي كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة<sup>(٢)</sup>.

ومما جاء في ورعه رحمه الله ما ذكره ابن الجوزي عن إبراهيم الحربي قال: «لزمت أحمد بن حنبل سنتين، فكان إذا خرج ليحدثنا، يخرج معه محبرة مجلدة بجلد أحمر وقلماً، فإذا مر به سقط أو خطأ في كتابه أصلحه بقلمه من محبرته، يتورع أن يأخذ من محبرة أحدنا شيئاً، وكنا نقول لأحمد في الشيء: تحفظه؟ فيقول: لا، إلا من كتاب<sup>(٣)</sup>. يتورع رحمه الله حتى لا يخطئ في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يحدث إلا من كتاب؛ لأن الكتاب أحفظ.

كما ذكر ابن الجوزي عن «جعفر بن محمد بن يعقوب يقول: جاء رسول من دار أحمد بن حنبل إليه يذكر له أن أبا عبد الرحمن عليل واشتهى الزبد، فناول رجلاً من أصحابه قطعة، وقال: اشتر له بهذا زبداً، فجاء به على ورق سدق، فلما أن نظر إليه، قال: من أين هذا الورق؟ فقال: أخذته من عند البقال، قال: أستاذنته في ذلك؟ قال: لا، قال: رده<sup>(٤)</sup>.

كان رحمه الله من شدة ورعه، وإعراضه عن الدنيا، رفضه أن يلي قضاء اليمن، يذكر ذلك ابن الجوزي عن أبي إبراهيم المزني، قال: «قال الشافعي: لما دخلت على هارون الرشيد قلت بعد المخاطبة إنني خلفت اليمن ضائعة تحتاج إلى حاكم.

فقال: انظر رجلاً ممن يجلس إليك حتى نوليته قضاءها.

فلما رجع الشافعي إلى مجلسه، ورأى أحمد بن حنبل من أمثلهم أقبل عليه فقال: إنني كلمت أمير المؤمنين أن يولي قاضياً باليمن، وإنه أمرني أن أختار رجلاً ممن يختلف إليّ، وإنني قد اخترتك، فتهياً حتى أدخلك على أمير المؤمنين يوليئك قضاء اليمن.

فأقبل عليه أحمد وقال: إنما جئت إليك لأقتبس منك العلم، تأمرني أن أدخل لهم في القضاء! ووبخه، فاستحيا الشافعي.

قلت: وقد روي لنا أن هذا كان في زمان الأمين<sup>(٥)</sup>.

(١) تعرض الإمام أحمد رحمه الله للسجن والجلد الشديد في عهد المعتصم بالله حين رفض القول بخلق القرآن الكريم.

(٢) الذهبي، مرجع سابق، (ص ٧٨).

(٣) ابن الجوزي، مرجع سابق (ص ١٦٧).

(٤) المرجع السابق (ص ١٦٧).

(٥) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ١٧٠).

ومن ثمرات تقواه رحمه الله، ونتائج ورعه، أنه كان مستجاب الدعوة، يذكر ذلك الذهبي «عن عباس الدوري قال: حدثنا علي بن أبي فزارة جازنا، قال: كانت أمي مقعدة من نحو عشرين سنة، فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو لي، فأتيت، فدققت عليه وهو في دهليزه، فقال: من هذا؟

قلت: رجل سألتني أمي وهي مقعدة أن أسألك الدعاء.

فسمعت كلامه، كلام رجل مغضب، فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا. فوليت منصرفاً، فخرجت عجوز فقالت: قد تركته يدعو لها. فجننت إلى بيتنا، ودققت الباب، فخرجت أمي على رجليها تمشي. يقول الذهبي: هذه الواقعة نقلها ثقتان عن عباس»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - الصبر:

كان الإمام أحمد رحمه الله كثير الصبر، فقد صبر على ما لقيه في طلبه للعلم، فقد كان يمكث عند شيوخه أياماً طويلة، بل ويرحل إليهم المسافات البعيدة، على ما به من فقر وقلة ذات اليد، يرحل أحياناً ماشياً، ويعود من إحدى رحلاته وقد أكرى نفسه من جمالين.

وربما يُسرق متاعه فيكتب لرجل أحاديث قد سمعها، فيأخذ على ذلك دراهم، وظل يطلب العلم طول حياته.

يذكر ابن الجوزي «عن صالح بن أحمد بن حنبل قال: رأى رجل مع أبي محبرة فقال له: يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين فقال: مع المحبرة إلى المقبرة.

ويضيف ابن الجوزي قول عبد الله بن محمد البغوي: «سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر»<sup>(٢)</sup>.

كان الصبر سمة للإمام أحمد رحمه الله في كل نائبة أو ملامة، فقد صبر رحمه الله في محنته التي تعرض لها والتي دُعي فيها إلى القول بخلق القرآن.

## وملخص فتنته ما يلي:

ظل المسلمون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بأن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق، معتقدين ذلك، مبتعدين عن الجدل، منشغلين

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مرجع سابق، (ص ٩٣١).

(٢) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ٢٧).

بالعمل، حتى ظهر رجل يدعى الجعد بن درهم أيام الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك يقول بخلق القرآن، فأنكر عليه الخليفة ذلك أشد إنكار، ولخوفه من انتشار هذه البدعة بين الناس أمر بقتله حين أرسله إلى بغداد، فقتله الوالي.

أما في عهد بني العباس فقد ظهر في عهد هارون الرشيد رجل يدعى بشر المريسي الذي أخفى بدعته خوفاً من بطش الخليفة فلما كان عهد المأمون قامت المعتزلة على أصولها، وتأثر بها المأمون الذي دعا الناس إلى القول بخلق القرآن، وذلك بإرسال رسائل متعددة إلى والي بغداد.

يقول الدومي: «كتب المأمون كتباً متعددة إلى عامله ببغداد وإلى ولاة الأمصار. وقد كان الكتاب الأول من هذه الكتب لشرح الفكرة وبسط الرأي. والكتاب الثاني لأشخاص المحدثين السبعة إليه في طرسوس لمحاجتهم ومناقشتهم، والكتاب الثالث يؤكد فيه نصح الخليفة للرعية واجتهاده في الرأي وإصراره في حمل الناس عليه. والكتاب الرابع يوبخ فيه الممتنعين عن الإجابة بخلق القرآن ويتوعدهم، والكتاب الخامس ينكر فيه أشد الإنكار على من أجابوا تقية»<sup>(١)</sup>.

أنكر الإمام أحمد قول المأمون فلم يجبه، صدع بالحق، ولم تأخذه في الله لومة لائم، فحمل من بغداد مقيداً قاصدين به طرسوس<sup>(٢)</sup> حيث كان الخليفة، يقول صالح بن أحمد بن حنبل: «سمعت أبي يقول: لما أدخلنا على إسحاق بن إبراهيم<sup>(٣)</sup> للمحنة فقرأ عليه كتاب الذي كان إلى طرسوس فكان فيما قرئ علينا: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)<sup>(٤)</sup> و(خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ)<sup>(٥)</sup>، فقال أبي: فقلت: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)، فقال بعض من حضر: سله ما أراد بقوله: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) فقال: أبي: فقلت، هو كما

(١) الدومي، أحمد عبد الجواب، (١٤٢٥هـ)، أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا، المكتبة العصرية، بيروت، (ص ٧٩).

(٢) طرسوس: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، (٢٥٦/٦).

(٣) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي أمير بغداد، وليها نحواً من ثلاثين سنة، وعلى يده امتحن العلماء بأمر المأمون في خلق القرآن، كان سائساً، صارماً، جواداً، ممدحاً، له فضيلة ومعرفة ودهاء، مات سنة خمس وثلاثين ومئتين.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١/١٠٦٤).

(٤) سورة الشورى، آية: ١١.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٠٢.

قال تبارك وتعالى.

ويضيف صالح بن الإمام أحمد: ثم امتحن القوم فوجه بمن امتنع إلى الحبس، فأجاب القوم جميعاً غير أربعة: أبي رحمه الله، ومحمد بن نوح، وعبيد الله بن عمر القواريري، والحسن بن حماد سجادة، ثم أجاب عبيد الله بن عمر، والحسن بن حماد، وبقي أبي ومحمد بن نوح في الحبس، فمكثا أياماً في الحبس، ثم ورد كتاب من طرسوس بحملهما، فدُمل أبي ومحمد بن نوح - رحمة الله عليهما - مقيدين زميلين، أخرجنا من بغداد فصرنا معهما إلى الأنبار.

فسأل أبو بكر الأحول أبي، فقال له: يا أبا عبد الله، إن عرضت على السيف تجيب؟ فقال: لا.

قال أبي: فانطلق بنا حتى دخلنا في الرحبة، فلما دخلنا منها وذلك في جوف الليل، وخرجنا من الرحبة عرض لنا رجل فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟

فقيل له هذا، فسلم على أبي ثم قال: يا هذا، ما عليك أن تقتل هاهنا وتدخل الجنة هاهنا، ثم سلم وانصرف.

فقلت من هذا؟ فقيل: هذا رجل من ربيعة العرب، يعمل الشعر في البادية يقال له: جابر بن عامر.

فلما صرنا إلى أذنة<sup>(١)</sup>، ورحلنا منها، وذلك في جوف الليل فتح لنا بابها، لقينا رجل ونحن خارجون من الباب وهو داخل فقال: البشري فقد مات الرجل.

قال أبي: وكنت أدعو الله أني لا أراه.

استجاب الله تعالى لدعاء الإمام أحمد رحمه الله، ونجاه من المأمون.

ويضيف صالح بن الإمام أحمد: «فصار أبي ومحمد بن نوح إلى البذندون<sup>(٢)</sup> فردا في أقيادهما إلى الرقة، وأخرجنا من الرقة في سفينة مع قوم محبسين، فلما صارا بعانة<sup>(٣)</sup> توفي محمد بن نوح وتقدم أبي فصلى عليه ثم صار إلى بغداد وهو مقيد فمكث بالياسرية أياماً ثم صير إلى

(١) أذنة: موضع من ثغور الشام.

أبي عبيد، مرجع سابق (١/١٣٣).

(٢) البذندون: قرية بينها وبين طرسوس يوم من بلاد الثغر، مات بها المأمون.

الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق (٢/٢٨٧).

(٣) عانات: جمع عانة، موضع من أرياف العراق.

أبي عبيد، مرجع سابق، (٣/٩١٤).

الحبس في دار اكتريت عند دار عمارة، ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب الموصلية، فمكث في السجن منذ أخذ وحمل إلى بغداد ضرب وخلي عنه ثمانية وعشرين شهراً<sup>(١)</sup>.

بدأت خلافة المعتصم بالله بعد المأمون والإمام أحمد مقيد في السجن ومع ذلك كان هناك من يناظره في السجن، والإمام رحمه الله يرد عليهم فمكث ثلاثة أيام، يقول صالح بن أحمد بن حنبل: «قال أبي: فلما كان الليلة الرابعة بعد عشاء الآخرة وجه - يعني المعتصم - ببغا إلى إسحاق يأمره بحملي، فأدخلت على إسحاق، فقال لي: يا أحمد، إنها والله نفسك، إنه قد حلف أن لا يقتلك بالسيف، وأن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يلقى في موضع لا ترى فيه الشمس، أليس قال الله تعالى: ( إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا )<sup>(٢)</sup>، أفيكون مجعولا إلا مخلوقاً؟ قال أبي: فقلت: فقد قال الله تعالى:

( جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ )<sup>(٣)</sup>، أفخلقهم؟ قال: فقال: اذهبوا به.

قال أبي: فأنزلت إلى شاطئ دجلة، فأحدرت إلى الموضع المعروف بباب البستان ومعى بغا الكبير ورسول من قبل إسحاق.

فقال بغا لمحمد الحارس بالفارسية: ما تريدون من هذا؟ قال: يريدون منه أن يقول: القرآن مخلوق.

فقال: ما أعرف شيئاً من هذا إلا قول: لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وقرابة أمير المؤمنين من النبي صلى الله عليه وسلم.

قال أبي: فلما صرنا إلى الشط أخرجت من الزورق، وحملت على دابة، والأقياد عليّ، وما معي أحد يمسكني، فجعلت أكاد أخرج على وجهي حتى انتهى بي إلى الدار، فأدخلت ثم خرج بي إلى حجرة، فصيرت في بيت منها، وأغلق عليّ الباب، وأقعد عليه رجل، وذلك في جوف الليل، وليس في البيت سراج، فاحتجت إلى الضوء، فمددت يدي أطلب شيئاً فإذا بإناء فيه ماء وطست، فتهيأت للصلاة، وقمت أصلي، فلما أصبحت جاءني الرسول، فأخذ بيدي فأدخلني الدار وإذا هو جالس، وابن أبي داود حاضر، وقد جمع أصحابه، والدار غاصة بأهلها، فلما دنوت منه سلمت، فقال: ادنه، ادنه، فلم يزل يدينني حتى قربت منه.

ثم قال لي: اجلس، فجلست، وقد أثقلتني الأقياد، فلما مكثت هنيهة قلت: تأذن في الكلام.

(١) ابن حنبل، مرجع سابق، (ص ٤٨ - ٥٠).

(٢) سورة الزخرف، آية: ٥.

(٣) سورة الفيل، آية: ٥.

قال: تكلم، قلت: إلى ما دعا إليه رسوله؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، قال: فقلت: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله.

قال: ثم قلت: إن جدك ابن عباس حكى أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالإيمان بالله تعالى. فقال: «أتدرون ما الإيمان؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم».

فقال لي عند ذلك: لولا أنني وجدتك في يد من كان قبلي ما عرضت لك.

– فهل هذا من الوفاء لمن سبقه، أم أخذته العزة بالإثم، وما ضره لو اتبع السنة، وأمعن عقله، وتدبر في نصوص الكتاب والسنة –.

ويضيف رحمه الله:

ثم التفت إلى عبد الرحمن بن إسحاق، فقال له: يا عبد الرحمن، ألم أمرك أن ترفع المحنة؟

قال أبي: فقلت في نفسي، الله أكبر، إن في هذا لفرجًا للمسلمين.

قال: ثم قال: ناظروه، وكلموه.

ثم قال: يا عبد الرحمن كلمه، فقال لي عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟

قلت: ما تقول في علم الله؟ قال: فسكت.

قال أبي: فجعل يكلمني هذا وهذا، فأرد على هذا ثم أقول: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله أقول به...

– استمر الإمام أحمد رحمه الله يردد مقالته هذه كلما ناظروه حتى أودعوه السجن، ثم أعادوه مرة أخرى وقد أثقل بالقيود، ولكن هذه المرة ناظروه ومعهم الجلادين، حتى إذا امتنع من إجابتهم شدوه في عقابين وضربوه حتى فقد رحمه الله وعيه –.

ويضيف ابن حنبل: ثم خلي عنه فصار إلى المنزل، ووجه إليه الرجل من السجن ممن يبصر الضرب والجراحات يعالج منه، فنظر إليه فقال: قال لنا: والله لقد رأيت منه ضرب السيوط، ما رأيت ضربًا أشد من هذا لقد جر عليه من خلفه، ومن قدمه، ثم أدخل ميلاً في بعض تلك الجراحات.

فقال: لم ينفل، فجعل يأتيه فيعالجه، وقد كان أصاب وجهه غير ضربة، ثم مكث يعالجه ما شاء الله، ثم قال له: إن هذا شيء أريد أن أقطعه، فجاء بحديدة، فجعل يعلق اللحم بها ويقطعه بسكين معه، وهو صابر، يحمد الله لذلك، فبرأ منه، ولم يزل يتوجع من مواضع منه، وكان أثر الضرب بيئاً في ظهره إلى أن توفي رحمة الله عليه»<sup>(١)</sup>.

يقول الندوي: «وانتصر أحمد بن حنبل بإيمانه وشجاعته، وكان انتصاره دليلاً على انتصار الإخلاص والعزم على القوة والدولة والمعارضات الشديدة والعقوبات الموجعة، وانهزمت حكومة هي من أقوى الحكومات وأوسعها في عصرها»<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - تمسكه بالسنة والأثر:

كان الإمام أحمد رحمه الله شديد التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، يقول ابن الجوزي عنه: «كان شديد الاتباع للأثار، حتى إنه بلغنا عن أبي الحسين المناوي أنه قال: استأذن أحمد زوجته في أن يتسرى طلباً للاتباع فأذنت له، فاشترى جارية وسماها ریحانة، استأذناً برسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما ذكر ابن الجوزي أن عبد الملك الميموني يقول: ما رأيت عيني أفضل من أحمد بن حنبل، وما رأيت أحداً من المحدثين أشد تعظيماً لحرمة الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم إذا صحت عنده ولا أشد اتباعاً منه.

ويروي ابن الجوزي أيضاً عن المروزي قال: قال لي أحمد: ما كتبت حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد عملت به، حتى مر بي في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت»<sup>(٣)</sup>.

### ٤ - تحذيره لكتب الرأي وتحذيره منها:

تعرف الإمام أحمد رحمه الله على كتب الرأي، بل وكتبها، إلا أنه لم يهتم بها، ولم يوليها عناية، وحذر منها، وكان رحمه الله يرجع إلى الأصل ويكره الرجوع إلى الفرع، ليضع لطالب العلم طريقة مثلى للبحث والتوثيق، ويرده إلى المصدرين الأساسيين للتشريع الإسلامي ألا وهي كتاب الله وسنة نبيه

(١) ابن حنبل، مرجع سابق، (ص ٥٢ - ٥٣ - ٦٣).

(٢) الندوي، علي الحسني، (١٤٢٣ هـ)، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار القلم، دمشق، (٢١٦/١).

(٣) ابن الجوزي، مرجع سابق (ص ١٠١ - ١٠٢).

صلى الله عليه وسلم.

يذكر الذهبي قول أبا بكر الخلال: «كان أحمد قد كتب كتب الرأي وحفظها، ثم لم يلتفت إليها»<sup>(١)</sup>.

ويذكر ابن الجوزي قول عثمان بن سعيد: «قال لي أحمد بن حنبل: لا تنظر في كتب أبي عبيد، ولا فيما وضع إسحاق، ولا سفيان، ولا الشافعي، ولا مالك، وعليك بالأصل...»

كما يذكر ابن الجوزي: «أن رجلاً سأل أحمد بن حنبل: أكتب كتب الرأي؟»

قال: لا. قال: فابن المبارك قد كتبها!

قال: ابن المبارك لم ينزل من السماء، إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق»<sup>(٢)</sup>.

#### ٥ - تواضعه.

كان الإمام أحمد رحمه الله شديد التواضع، لم يفخر بنسبه قط، ولم تمنعه مكانته العلمية أن يخالط الناس ويقدمهم على نفسه.

يذكر ابن الجوزي قول عارم بن الفضل: «كان أحمد بن حنبل هاهنا عندنا بالبصرة فجاءني بمعضدة له - أو قال: صرة فيها دراهم - فكان كل قليل يجيئ فيأخذ منها، فقلت له: يا أبا عبد الله بلغني أنك رجل من العرب فمن أي العرب أنت؟»

فقال لي: يا أبا النعمان، نحن قوم مساكين.

فكان كلما جاء أعدت عليه فيقول لي هذا الكلام، ولا يخبرني حتى خرج من البصرة»<sup>(٣)</sup>.

وكان رحمه الله لا يحب من أحد أن يقبل رأسه، يقول ابن الجوزي: «قال الخلال، وأخبرني إسماعيل بن إسحاق الثقفي قال: قلت لأبي عبد الله أول ما رأيته يا أبا عبد الله ائذن لي أقبل رأسك، فقال: لم أبلغ أنا ذلك»<sup>(٤)</sup>.

ويذكر ابن الجوزي أن أبا بكر أحمد بن محمد المروذي قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، وذكر أخلاق الورعين - فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء؟»

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١/٩٢٤).

(٢) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ١١٤).

(٣) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ١٧٣).

(٤) المرجع السابق.

وقلت لأبي عبد الله، ما أكثر الداعين لك؟

فتغرغرت عينه، وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً، أسأل الله أن يجعلنا خيراً مما يظنون، ويغفر لنا ما لا يعلمون»<sup>(١)</sup>.

#### ٦ - كرمه وجوده:

كان الإمام أحمد رحمه الله كريماً، جواداً، على ما به من فقر وقلة ذات اليد، ذكر ذلك ابن الجوزي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال أبو سعيد بن أبي حنيفة المؤدب: كنت أتى أباك فربما أعطاني الشيء وقال: أعطيك نصف ما عندنا، فجئت يوماً فأطلت القعود فخرج ومعه أربعة أرغفة فقال: يا أبا سعيد هذا نصف ما عندنا، فقلت يا أبا عبد الله هذه الأربعة أرغفة أحب إلي من أربعة آلاف من غيرك.

ويذكر ابن الجوزي عن يحيى بن هلال الوراق قال: جئت إلى محمد بن عبد الله بن نمير فشكوت إليه فأخرج إلي أربعة دراهم أو خمسة دراهم، وقال: هذا نصف ما أملك، قال: وجئت مرة إلى أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل فأخرج إلي أربعة دراهم، وقال: هذه جميع ما أملك<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن الجوزي، مرجع سابق، (ص ١٧٥).

(٢) المرجع السابق (ص ١٤٧).

# الفصل الساتس

## الإمام البخاري

ويتضمن ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف بالإمام البخاري.
- المبحث الثاني: رحلاته في طلب العلم.
- المبحث الثالث: نتائج رحلاته.

## المبحث الأول التعريف بالإمام البخاري

✦ اسمه ونسبه:

قال عنه الذهبي: «أبو عبد الله البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، وقيل: بذرزبه، وهي لفظة بخارية معناها: الزراع.

أسلم المغيرة على يدي اليمان الجعفي والي بخارى، وكان مجوسياً، وطلب إسماعيل بن إبراهيم العلم» (١).

✦ مولده ونشأته:

يقول الذهبي: «ولد أبو عبد الله في شوال سنة أربع وتسعين ومئة» (٢).

نشأ الإمام البخاري في بيت علم فقد طلب والده العلم كما سبق.

يروى الذهبي بسنده عن إسحاق بن أحمد بن خلف أنه سمع البخاري يقول: «سمع أبي من مالك بن أنس، ورأى حماد بن زيد، وصافح ابن المبارك بكتنا يديه» (٣).

فقد الإمام البخاري في صغره بصره، فبكت عليه أمه، ولم يزل لسانها يلهج بالدعاء لله عز وجل أن يرد على صغيرها بصره فاستجاب الله تعالى لها، وغمر فؤادها الفرح بأن أصبح صغيرها مبصراً.

روى الذهبي بسنده عن محمد بن أحمد بن الفضل البلخي أنه سمع أباه يقول: «ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها: يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو كثرة دعائك، شك البلخي، فأصبحنا وقد رد الله عليه بصره» (٤).

✦ طلبه للعلم:

اتجه الإمام البخاري إلى الكُتاب كعادة أبناء المسلمين ليحفظ القرآن الكريم، ويتعلم القراءة والكتابة، ثم تنقل بين مشايخه في بخارى.

يروى الذهبي بسنده عن محمد بن أبي حاتم قال: «قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك؟

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٢٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٢٤).

قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب.

فقلت: كم كان سنك؟

فقال: عشر سنين، أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوماً فيما كان يقرأ الناس: سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم.

فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم.

فانتهرني. فقلت له: ارجع إلى الأصل.

فدخل فنظر فيه ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟

قلت: هو الزبير بن عدي، عن إبراهيم.

فأخذ القلم مني وأحكم كتابه، وقال: صدقت.

فقيل للبخاري: ابن كم كنت حيث رددت عليه؟

قال: ابن إحدى عشرة سنة.

فلما طعنت في ست عشرة سنة كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء»<sup>(١)</sup>.

وهذه جراءة محمودة من تلميذ العاشرة، حيث صحح لشيخه الخطأ، وهذا تواضع من الداخلي لذي صوب ما أخطأ فيه.

بهذا الحب العظيم للعلم، وبهذا الذكاء المفرط، بدأ الإمام البخاري سيرته العلمية، حيث ظن به أنه أخذ دواء للحفظ.

يذكر ذلك الذهبي عن محمد بن أبي حاتم قال: «بلغني أن أبا عبد الله شرب دواء الحفظ يقال له: بلاذر.

فقلت له يوماً خلوة: هل من دواء يشربه الرجل فينتفع به للحفظ؟

فقال: لا أعلم، ثم أقبل عليّ، وقال: لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من نهمة الرجل، ومداومة النظر»<sup>(٢)</sup>.

ظل الإمام البخاري رحمه الله يتنقل بين شيوخ بخاري، ويأخذ عنهم، وربما صحح لبعضهم الأسانيد، ومنهم: محمد بن سلام البيكندي<sup>(٣)</sup>.

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (ص ٣٣٢٠).

(٢) المرجع السابق، (ص ٣٣٢٧).

(٣) محمد بن سلام بن الفرّج، الإمام الحافظ الناقد، أبو عبد الله السلمي، مولا هم البخاري البيكندي، رأى مالك بن أنس ولم يتفق له السماع منه، حدث عنه: البخاري، وأبو محمد الدارمي... قال البخاري: مات في سابع صفر سنة خمس وعشرين ومئتين.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (ص ٣٤٤٢).

يذكر ذلك الذهبي عن أبي جعفر محمد بن أبي حاتم أنه قال: «سمعت بعض أصحابي يقول: كنت عند محمد بن سلام فدخل عليه محمد بن إسماعيل، فلما خرج قال محمد بن سلام كلما دخل عليّ هذا الصبي تحيرت، وألبس عليّ أمر الحديث وغيره، ولا أزال خائفًا ما لم يخرج.

ويضيف الذهبي:

قال أبو جعفر: سمعت أبا عمر سليم بن مجاهد يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي، فقال: لو جنّت قبل لرأيت صبيًّا يحفظ سبعين ألف حديث. قال: فخرجت في طلبه حتى لحقته، قال: أنت الذي يقول: أني أحفظ سبعين ألف حديث؟

قال: نعم، وأكثر، ولا أجيئك بحديث من الصحابة والتابعين إلا عرفتك مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثًا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي من ذلك أصل أحفظه حفظًا عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>(١)</sup>.

وممن أخذ عنهم الإمام البخاري رحمه الله أيضًا:

محمد بن يوسف البيكندي<sup>(٢)</sup> وعبد الله بن محمد المسندي<sup>(٣)</sup>، وهارون بن الأشعث<sup>(٤)</sup>.

✦ مؤلفاته:

جمع الحافظ ابن حجر مؤلفات الإمام البخاري رحمه الله وهي:

١- «الأدب المفرد (مطبوع).

٢- أسامي الصحابة.

٣- الأشربة.

٤- التاريخ الكبير (مطبوع).

(١) المرجع السابق، (ص ٣٣٣٠).

(٢) محمد بن يوسف أبو أحمد البيكندي البخاري، سمع من سفيان بن عيينة. الصغاني، الحسن بن محمد، (١٤١٩ هـ)، كتاب فيه: أسامي شيوخ البخاري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، (ص ١٢٠).

(٣) عبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي البخاري المسندي، قيل له المسندي لأنه كان يتتبع الأحاديث المسندة ولا يرغب في المقاطيع والمراسيل، سمع من ابن عيينة... توفي سنة تسع وعشرين ومئتين.

الصغاني، مرجع سابق، (ص ٦٦).

(٤) هارون بن الأشعث بن مطوف أخو إبراهيم بن الأشعث الزاهد، أبو عمران الهمداني البخاري، مولى أبي إسحاق السبيعي. الصغاني، مرجع سابق (ص ١٣٠).

- ٥- التاريخ الأوسط.
  - ٦- التاريخ الصغير.
  - ٧- التفسير الكبير.
  - ٨- الجامع الصحيح (مطبوع).
  - ٩- الجامع الكبير.
  - ١٠- خلق أفعال العباد (مطبوع).
  - ١١- رفع اليدين في الصلاة (مطبوع).
  - ١٢- الضعفاء (مطبوع).
  - ١٣- العطل.
  - ١٤- الفوائد.
  - ١٥- القراءة خلف الإمام (مطبوع).
  - ١٦- الكنى.
  - ١٧- المبسوط.
  - ١٨- المسند الكبير.
  - ١٩- كتابة الهبة.
  - ٢٠- الوحدان»<sup>(١)</sup>.
- ❖ وفاته:

يقول الذهبي: «قال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك - قرية على فرسخين من سمرقند - وكان بها أقرباء، فنزل عندهم، فسمعت ليلة يدعو، وقد فرغ من صلاة الليل: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك، فما تم الشهر حتى مات، وقبره بخرتنك.

ويقول ابن عدي أيضاً:

«سمعت الحسن بن الحسين البزار البخاري يقول: توفي البخاري ليلة السبت، ليلة الفطر عند صلاة العشاء، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست

---

(١) العسقلاني، ابن حجر، (١٤٠٧هـ)، هدي الساري مقدمة فتح الباري، دار الريان، القاهرة، (ص٥١٦، ٥١٧).

وخمسين ومئتين، وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً»<sup>(١)</sup>.



(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٤٢).

## المبحث الثاني رحلاته في طلب العلم<sup>(١)</sup>

رحل الإمام البخاري رحمه الله إلى مرو<sup>(٢)</sup> وهو صبي، طلباً لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول رحمه الله فيما رواه الذهبي عن محمد بن أبي حاتم: «كنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم، فقال لي مؤدب من أهلها: كم كتبت اليوم؟»

فقلت: اثنين. وأردت بذلك حديثين، فضحك من حضر المجلس.

فقال شيخ منهم: لا تضحكوا، فلعله يضحك منكم يوماً<sup>(٣)</sup>.

صبي صغير يزاحم أصحاب الحديث، ويناhez طلاب العلم بهمة قوية وعزيمة صادقة، فلما كبر وذاع صيته رحل إلى نيسابور<sup>(٤)</sup>، يقول الذهبي: «قال أبو عبد الحاكم: أول ما ورد البخاري نيسابور سنة تسع ومئتين<sup>(٥)</sup>».

أُستقبل الإمام رحمه الله بحفاوة وتكريم؛ لأن ذكره رحمه الله قد سبقه، يقول الذهبي: «قال محمد بن يعقوب بن الأخرم: سمعت أصحابنا يقولون: لما قدم البخاري نيسابور استقبله أربعة آلاف رجل ركباً على الخيل، سوى من ركب بغلاً أو حماراً، وسوى الرجال<sup>(٦)</sup>».

وهذا من تكريم العلم وأهله لدى أهل نيسابور.

استفاد الإمام رحمه الله من رحلته هذه وأفاد، فقد علّم وتعلم، فقد ذكر الذهبي أن محمد بن أبي حاتم يقول: «سمعت أبا بكر المديني بالشاش زمن عبد الله بن أبي عرابة يقول: كنا بنيسابور عند إسحاق بن راهويه وأبو عبد الله في المجلس، فمر إسحاق بحديث كان دون الصحابي عطاء الكيخاراني.

فقال إسحاق: يا أبا عبد الله، أيش كيخاران؟»

- (١) انظر: الملاحق (ص ٢٦٣).
- (٢) مرو: سبق التعريف بها (ص ١٧٧).
- (٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (ص ٣٣٢٦).
- (٤) نيسابور: بفتح أوله، والعامّة يسمونه نشاور، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء. قال بطليموس في كتاب الملحة: مدينة نيسابور طولها خمس وثمان درجة وعرضها تسع وثلاثون درجة خارجة من الإقليم الرابع في الإقليم الخامس. الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، (٤٢٢/٨ - ٤٢٣).
- (٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (ص ٣٣٢٧).
- (٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (ص ٣٣٣٥/٣).

فقال: قرية باليمن، كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل وكان يسميه أبو بكر... فمر بكبخاران، فسمع منه عطاء حديثين. فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله كأنك شهدت القوم»<sup>(١)</sup>.

كان رحمه الله شغوفاً بطلب العلم، حتى لا يكاد ينسى منه شيء.

يذكر الذهبي قول محمد بن أبي حاتم أنه سمع الإمام البخاري رحمه الله يقول: «...وذاك أني كنت بنيسابور مقيماً، فكان ترد إلي من بخارى كتب، وكن قرابات لي يقرئن سلامهن في الكتب، فكنت أكتب كتاباً إلى بخارى، وأردت أن أقرئنهن سلامي، فذهب عليّ أساميهن حين كتبت كتابي، ولم أقرئنهن سلامي، وما أقل ما يذهب عني من العلم»<sup>(٢)</sup>.

نسي رحمه الله أسامي بعض قريباته، لكنه قل أن يفوته شيء من العلم.

كما رحل رحمه الله إلى بلخ<sup>(٣)</sup> فوجد بها تكريماً له واحتراماً.

يذكر الذهبي قول محمد بن أبي حاتم: «سمعت أبا عبد الله يقول: دخلت بلخ فسألني أصحاب الحديث أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه حديثاً، فأملت ألف حديث لألف رجل ممن كتبت عنهم.

ويضيف ابن أبي حاتم:

«سمعت محمد بن يوسف يقول: كان زكريا اللؤلؤي، والحسن بن شجاع ببلخ يمشيان مع أبي عبد الله إلى المشايخ إجلالاً له وإكراماً»<sup>(٤)</sup>.

لقد كان بإمكان الإمام البخاري رحمه الله أن يكتفي بما أخذه من علماء بخارى، إلا أنه وجد في نفسه إقبالاً على العلم، وحباً عظيماً للمزيد من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وشوقاً منقطع النظير لملاقاة الشيوخ في بلدان شتى.

يقول المباركفوري: «كان من اللازم على رجل رزق حب العلوم الإسلامية منذ نعومة أظفاره ونشأ وترعرع مولعاً بها، شغوفاً بحبها أن يستعد لرحلة طويلة غير محدودة، ولا ريب أن مثل هذا العمل يحتاج إلى عزم قوي وهمة عالية، وعقل متفتح، وقلب واسع، ولقد كان الإمام البخاري قد وهبه الله تعالى كل هذه الأوصاف والميزات»<sup>(٥)</sup>.

(١) المرجع السابق (٣/٣٣٣٣).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٢٧).

(٣) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان.

الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق (٢/٣٧٨).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٣٣).

(٥) المباركفوري، عبد السلام، (١٤٢٢هـ)، سيرة الإمام البخاري، دار عالم الفوائد، مكة

عزم الإمام البخاري على الرحيل إلى الحجاز، فبدأ بمكة المكرمة لأداء فريضة الحج ثم البقاء لطلب العلم، وهي أول رحلة له خارج خراسان<sup>(١)</sup>.  
 ✨ رحلته إلى الحجاز:

يروى الذهبي بسنده عن محمد بن أبي حاتم أن الإمام البخاري يقول: «... فلما طعنت في ست عشرة سنة كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة فلما حججت رجع أخي بها، وتخلفت في طلب الحديث»<sup>(٢)</sup>.

ويضيف الذهبي في رواية أخرى لابن أبي حاتم أنه سمع البخاري يقول: «... فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاولهم»<sup>(٣)</sup>.

ويذكر الذهبي أن ممن أخذ عنهم الإمام البخاري بمكة: «أبي عبد الرحمن المقرئ»<sup>(٤)</sup>، و«خلاد بن يحيى»<sup>(٥)</sup>، وحسان بن حسان البصري<sup>(٦)</sup> وأبي الوليد أحمد بن محمد الأزرق<sup>(٧)</sup>، والحميدي<sup>(٨)</sup>.

المكرمة (٨٣/١).

(١) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أزاوار قصبه جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند: طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان وليس ذلك فيها إنما أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها: نيسابور وهراة ومرو وهي كانت قصبته، وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون. الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، (٢١٨/٣).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣٣٢٥/٣).

(٣) المرجع سابق، (٣٣٢٦/٣).

(٤) عبد الله بن يزيد بن راشد، أبو عبد الرحمن المقرئ المدني، مولى آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أصله من البصرة سكن مكة حرسها الله تعالى، روى عنه البخاري في الصلاة والذبايح والتهدج والتفسير... توفي سنة ثلاث عشرة ومئتين، وقيل: أربع عشرة. الصغاني، مرجع سابق، (ص ٦٦، ٦٧).

(٥) خلاد بن الحبلى بن صفوان وقيل ابن بعدان، أبو محمد السلمي الكوفي، روى عنه البخاري في الغسل والصلاة والذبايح، توفي بمكة حرسها الله تعالى قريباً من سنة اثنتي عشرة، وقيل: سنة ثلاث عشرة ومئتين.

الصغاني، مرجع سابق، (ص ٤٤، ٤٥).

(٦) حسان بن حسان بن أبي عباد، ... أبو علي البصري، سكن مكة حرسها الله تعالى، روى عنه البخاري في العمرة وفي غزوة أحد، توفي سنة ثلاث عشرة ومئتين.

الصغاني، مرجع سابق، (ص ٣٥، ٣٦).

(٧) أحمد بن محمد بن الوليد بن عون، أبو محمد القواس الأزرق المكي، روى عنه البخاري في الوضوء والجناز وغير ذلك، وقال: فارقناه سنة اثنتي عشرة ومئتين.

الصغاني، مرجع سابق، (ص ٢٠، ٢١).

(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣٣٢٥/٣).

حظي الإمام البخاري بثقة علماء مكة المكرمة، لما وجدوا عنده من العلم، يذكر ذلك الذهبي عن محمد بن أبي حاتم، قال: «حدثني حاتم بن مالك الوراق، قال: سمعت علماء مكة يقولون: محمد بن إسماعيل إمامنا وفقهنا، وفقه خراسان»<sup>(١)</sup>.

انتقل الإمام البخاري رحمه الله إلى المدينة النبوية؛ ليأخذ من علمائها، وكان ممن أخذ عنهم: «عبد العزيز الأويسي»<sup>(٢)</sup> وأيوب بن سليمان بن بلال<sup>(٣)</sup>، وإسماعيل بن أبي أويس<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

وهناك عند قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم بدأ الإمام رحمه الله في التأليف فصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقابيلهم، ثم شرع في تصنيف كتابه (التاريخ) يقول رحمه الله: «فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقابيلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنفت كتاب (التاريخ) إذ ذاك عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة، وقل اسم في التاريخ إلا وله قصة، إلا أنني كرهت تطويل الكتاب»<sup>(٦)</sup>.

يقول هشام عن الإمام البخاري رحمه الله: «ثم رحل إلى المدينة المنورة دار الهجرة ومثوى صاحب الرسالة ومشرق النور، ليزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويجمع العلم من أهله، أحفاد الصحابة الذين حرسوا السنة وسلموها إلى أولادهم التابعين وتوارثوها جيلاً جياً وطبقوها عملياً فأصبح عملهم الإجماعي حجة عند إمام دارهم الطيبة المحدث الإمام مالك بن أنس ... الذي ترك للإسلام ذخيرة صافية من الحديث وفقهه.

وفي جوار الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي رحاب المسجد النبوي بين

(١) المرجع السابق، (٣/٣٣٣٢).

(٢) عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى، وقيل: عبد الله بن عمر أويس بن سعد بن أبي سرح... أبو القاسم العامري، الأويسي المدني... روى عنه البخاري في العلم وغيره، (ولم يذكر المؤلف سنة وفاته).

الصغاني، مرجع سابق، (ص ٧١، ٧٢).

(٣) أيوب بن سليمان بن بلال، مولى أبي بكر عبد الله بن أبي عتيق... روى عنه البخاري في الصلاة في باب الإبراد بالظهر، وقال: توفي سنة أربع وعشرين ومئتين. الصغاني، مرجع سابق، (ص ٣١).

(٤) إسماعيل بن أبي أويس، واسم أبي أويس: عبد الله بن عبد الله بن أويس... روى عنه البخاري البخاري في باب تفاضل الإيمان في الأعمال، وغير موضع، توفي بالمدينة في شهر رجب سنة ست، وقيل سنة سبع وعشرين ومئتين. الصغاني، مرجع سابق (ص ٢٩، ٣٠).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٢٥).

(٦) المرجع السابق، (٣/٣٣٢٦).

القبر والمنبر حيث الروحانية الصافية أفاض الله على البخاري، فكان دخوله عند قبر صاحب السنة دخولاً في دور جديد مبارك هو بدء حياته التأليفية»<sup>(١)</sup>.

لقد قدم الإمام البخاري رحمه الله للأجيال من بعده إحدى ثمراته العلمية ألا وهو كتابه (التاريخ)، الذي تحرى فيه الدقة المتناهية، حتى سماه ابن راهوية سحراً.

يذكر ذلك الذهبي عن محمد بن أبي حاتم الذي سمع الإمام البخاري يقول: «صنفت جميع كتبي ثلاث مرات. ويضيف ابن أبي حاتم: «وسمعته يقول: لو نشر بعض أستاذي هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت (التاريخ) ولا عرفوه، ثم قال: صنفته ثلاث مرات. وسمعته يقول: أخذ إسحاق ابن راهويه كتاب (التاريخ) الذي صنفت فأدخله على عبد الله بن طاهر، فقال: أيها الأمير، ألا أريك سحراً؟ قال: فنظر فيه عبد الله، فتعجب منه، وقال: لست أفهم تصنيفه»<sup>(٢)</sup>.

(١) هاشم، الحسيني عبد المجيد، (دب)، الإمام البخاري محدثاً وفقهياً، (دب)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (ص ٢٩).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٢٧).

## ✦ رحلته إلى العراق:

لقد بدأت رحلات الإمام البخاري رحمه الله إلى العراق منذ أن كان في الحجاز فقد كان يتردد على العراق وهو مقيم في الحجاز أو بخراسان.

يقول الذهبي: قال خلف الخيام: «سمعت إسحاق بن أحمد بن خلف يقول: دخل محمد بن إسماعيل إلى العراق في آخر سنة عشر ومئتين»<sup>(١)</sup>.

كان رحمه الله يتمتع بقوة الحفظ وحدة الذكاء، لاحظ ذلك أقرانه وهو غلام يطلب العلم في البصرة، يقول الذهبي: «قال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له، إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟

فقال لنا يوماً، بعد ستة عشر يوماً: إنكما قد أكثرتما عليّ وألححتما، فأعرضا عليّ ما كتبتما.

فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نُحَكِّمُ كتبنا من حفظه.

ثم قال: أترون أنني أختلف هدرًا، وأضيع أيامي. فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد»<sup>(٢)</sup>.

عُرف الإمام رحمه الله، وطار ذكره في الآفاق، فقد وصل ذكره قبل أن يصل في إحدى رحلاته إلى البصرة، يقول عنه وراقه محمد بن أبي حاتم: «سمعت محمد بن إسماعيل يقول: لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس بNDAR<sup>(٣)</sup>، فلما وقع بصره علي قال: من أين الفتى؟

قلت: من أهل بخارى.

فقال لي: كيف تركت أبا عبد الله؟

فأمسكت، فقالوا له: يرحمك الله هو أبو عبد الله، فقام وأخذ بيديّ، وعانقني، وقال: مرحبًا بمن أفخر به منذ سنتين»<sup>(٤)</sup>.

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٢٧).

(٢) المرجع السابق (٣/٣٣٢٨).

(٣) محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان، أبو بكر العبدى البصرى، لقبه بNDAR، ولقب بNDAR لأنه كان بNDAR في الحديث، جمع حديث البصرة، روى عنه البخارى في الغسل وغيره، توفي بالبصرة سنة اثنتين وخمسين ومئتين.

الصغاني، مرجع سابق، (ص ٩٩).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٣١).

ويقول ابن أبي حاتم: «حكيت لمهيار بالبصرة عن قتيبة بن سعيد أنه قال: رحل إلي من شرق الأرض وغربها، فما رحل إلي مثل محمد بن إسماعيل. فقال مهيار: صدق. أنا رأيت مع يحيى بن معين وهما يختلفان جميعاً إلى محمد بن إسماعيل، فرأيت يحيى ينقاد له في المعرفة»<sup>(١)</sup>.

لم يكن ابن معين وحده الذي انقاد للإمام البخاري في المعرفة، بل انقاد له أهل المعرفة كلهم بالبصرة، يقول ابن أبي حاتم: «سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أهل المعرفة بالبصرة يعدون خلف البخاري في طلب الحديث، وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه، ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه. قالوا: وكان أبو عبد الله عند ذلك شاباً، لم يخرج وجهه»<sup>(٢)</sup>.

عقد أصحاب الحديث العزم على امتحان الإمام البخاري رحمه الله، وهو في بغداد، فاجتازه الإمام بكل تفوق وجداره، يقول الذهبي: «قال أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ: سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مئة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد هذا، وإسناد هذا المتن هذا، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس، فاجتمع الناس، وانتدب أحدهم فسأل البخاري عن حديث من عشرته، فقال: لا أعرفه. وسأله عن آخر فقال: لا أعرفه وكذلك حتى فرغ من عشرته. فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم، ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز ثم انتدب آخر، ففعل كما فعل الأول، والبخاري يقول: لا أعرفه، ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس، وهو لا يزيدهم على لا أعرفه، فلما علم أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فكذا، والثاني كذا، والثالث كذا إلى العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقر له الناس بالحفظ، فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطاح»<sup>(٣)</sup>.

لقد استفاد الإمام رحمه الله من رحلاته إلى العراق وأفاد، فقد طلب منه أصحاب الحديث أن يعقد لهم مجلساً، ففعل رحمه الله وحدثهم بأحاديث أهل بلدهم، ذكر ذلك الذهبي عن المروزي يقول: كنت بالبصرة في جامعها، إذ سمعت منادياً ينادي، يا أهل العلم، قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري، فقاموا في طلبه، وكنت معهم، فرأينا رجلاً شاباً يصلي خلف الأسطوانة، فلما فرغ من الصلاة، أحدقوا به، وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم، فلما كان الغد اجتمع قريب من كذا كذا ألف، فجلس للإملاء، وقال: يا أهل البصرة، أنا شاب، وقد سألتموني أن

(١) المرجع السابق، (٣/٣٣٣٣).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع السابق (٣/٣٣٣٥).

(٣) المرجع السابق، (٣/٣٣٢٨).

أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم، تستفيدون الكل...»<sup>(١)</sup>.

فأملى عليهم أحاديث يعرفونها ولكنها بأسانيد غير الذي يعرفونها.

ظل رحمه الله يطلب العلم ويجتهد في تحصيله، ويعلم أصحاب الحديث ويملي عليهم، فحدث ذات مرة أن نفذت نفقته رحمه الله، فلزم بيته ولم يخرج، لأنه كان لا يملك شيئاً، فتعفف رحمه الله عن المسألة، حتى فقده أصحابه، وقبل منهم عطيتهم، يذكر ذلك الذهبي عن عمر بن حفص الأشقر قال: «كنا مع البخاري بالبصرة نكتب، ففقدناه أياماً ثم وجدناه في بيت وهو عريان، وقد نفذ ما عنده، فجمعنا له الدراهم وكسونا»<sup>(٢)</sup>.

التقى رحمه الله بالإمام أحمد في بغداد، وجالسه، واستفاد منه، فأحبه الإمام أحمد وتمنى بقاءه، يقول ابن أبي حاتم: «سمعت البخاري يقول: دخلت بغداد آخر ثمان مرات، في كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل، فقال لي في آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله، تدع العلم والناس وتصير إلى خراسان؟

قال: فأنا الآن أذكر قوله»<sup>(٣)</sup>.

ويعلل عبد الستار الشيخ تمنى الإمام أحمد بقاء الإمام البخاري رحمهما الله في بغداد بقوله: «إنما تمنى الإمام أحمد على الإمام البخاري أن يبقى ببغداد؛ لأنها حاضرة الخلافة، ومحط رحال الطالبين، ومقصد العلماء، فيكثر الأخذ عنه، والانتفاع به، هذا فضلاً عن إجلاله للبخاري وحبه له، ومعرفته التامة بعلمه الباهر، فأحب الإمام أحمد أن يؤثر ببغداد بالبخاري، ويبقى قريباً منه»<sup>(٤)</sup>.  
ومن بين مدن العراق التي تردد عليها الإمام رحمه الله الكوفة، يقول رحمه الله: وهو يتحدث عن رحلاته: «... ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي خراسان منهم: المكي بن إبراهيم<sup>(٥)</sup>، ويحيى بن يحيى<sup>(٦)</sup>...»<sup>(٧)</sup>.

✽ رحلته إلى الجزيرة<sup>(٨)</sup>:

- (١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٢٨).
- (٢) المرجع السابق (٣/٣٣٣٧).
- (٣) المرجع السابق، (٣/٣٣٢٧).
- (٤) الشيخ، عبد الستار، (١٤٢٨هـ)، الإمام البخاري، دار القلم، دمشق، (ص ١٨٠).
- (٥) مكي بن إبراهيم بن بشير بن فرقد، وقيل: ابن فرقد بن بشير، أبو السكن، البلخي، الحنظلي التميمي البرجمي، روى عنه البخاري في الصلاة والبيوع، وغير موضع... توفي ببلخ... سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة ومئتين.  
الصغاني، مرجع سابق، (ص ١٢٦).
- (٦) يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن، أبو زكرياء التميمي، الحنظلي، المنقري، النيسابوري، روى عنه البخاري في الزكاة والوكالة، وآخر الأحكام،... توفي بنيسابور... سنة ست وعشرين ومئتين.  
الصغاني، مرجع سابق، (ص ١٣٧).
- (٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٢٨).
- (٨) الجزيرة: كور إلى جنب الشام معروفة، معروفة بديار مضر وربيعة والجزيرة وهي كورة

رحل الإمام البخاري رحمه الله إلى الجزيرة مرتين، يقول رحمه الله: «لقيت أكثر من ألف رجل، أهل الحجاز والعراق والشام ومصر لقيتهم كرات، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين..»<sup>(١)</sup>.

وهذا نص صريح من الإمام نفسه أنه لقي علماء الجزيرة مرتين.

ذكر هاشم أن ممن لقيهم الإمام بالجزيرة: «أحمد بن عبد الملك الحراني<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

✽ رحلته إلى الري<sup>(٤)</sup>:

وممن أخذ عنهم: «إبراهيم بن موسى<sup>(٥)</sup>»<sup>(٦)</sup>.

✽ رحلته إلى الشام:

يقول المباركفوري عن الإمام البخاري رحمه الله: «رحل إلى الشام، وأخذ هناك عن محمد بن يوسف الفريابي<sup>(٧)</sup>، وأبي النضر إسحاق بن إبراهيم<sup>(٨)</sup>،

الرقعة، وكورة الرهاء، وكورة سروج، وكورة حران، وكورة شمشاط، وكورة حصن منصور وسميت الجزيرة لأنها بين الفرات ودجلة مثل الجزيرة.

أبي عبيد، مرجع سابق، (٣٨١/٢).

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣٣٢٨/٣).

(٢) أحمد بن عبد الملك الحراني: أبو يحيى ويقال أبو بكر مولى ليني أسد أخو سعيد، روى عنه البخاري في كتاب الصلاة، في باب الخدم للمسجد، وفي الجهاد في باب الشجاعة توفي ببغداد سنة إحدى أو اثنين وعشرين ومئتين.

الصغاني، مرجع سابق، (ص ١٧).

(٣) هشام، مرجع سابق، (ص ٣٥).

(٤) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحاج على طريق السابلة، وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مئة وستون فرسخاً.

الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، (٤٥٧/٤).

(٥) إبراهيم بن موسى بن يزيد، أبو إسحاق، الفراء، الرازي التميمي الصغير، روى عنه البخاري في الحيض والصلاة وغير موضع، (ولم يذكر المؤلف سنة وفاته).

الصغاني، مرجع سابق، (ص ١٠).

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣٣٢٥/٣).

(٧) محمد بن يوسف بن واقد، أبو عبد الله الفريابي، الضبي، مولاهم، سكن قيسارية، روى عنه البخاري في العلم، وروى عن إسحاق غير منسوب عنه في الصلاة، توفي في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة ومئتين.

الصغاني، مرجع سابق، (ص ١٢٠).

(٨) إسحاق بن إبراهيم بن يزيد، أبو النضر القرشي، الدمشقي، الفراديسي، والفراديسي موضع قرب دمشق، روى عنه البخاري في الزكاة، والجهاد وغير موضع توفي سنة سبع وعشرين ومئتين.

الصغاني، مرجع سابق، (ص ٢٦).

وآدم بن أبي إياس<sup>(١)</sup>، وأبي اليمان الحكم بن نافع<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

لقى رحمه الله في رحلته إلى آدم بن أبي إياس بعسقلان ما لقي من النصب والوصب، ووعثاء السفر، وذلك بسبب نفاذ نفقته مما اضطره إلى أكل الحشائش خوفاً من الهلاك، إلا أن ربه الرحيم عاجله بالفرج.

يقول الذهبي: «قال محمد بن أبي حاتم: سمعت البخاري يقول: خرجت إلى آدم بن أبي إياس، فتخلفت علي نفقتي، حتى جعلت أتناول الحشيش، ولا أخبر ذلك أحداً».

فلما كان اليوم الثالث أتاني آت لم أعرفه فناولني صرة دنانير، وقال: أنفق على نفسك»<sup>(٤)</sup>.

فيا لها من همة عالية جعلته يقطع المسافات الشاسعة لطلب العلم وياله من صبر مقرون بتعفف منقطع النظير إلا عند عالم جليل بذل نفسه ووقته وماله لأجل طلب العلم.

### ✦ رحلته إلى مصر:

لم يلقي الإمام البخاري رحمه الله عصا ترحاله حتى وصل مصر وسمع من علمائها وأخذ عنهم، ومنهم: «عثمان بن صالح<sup>(٥)</sup>، وسعيد بن أبي مريم<sup>(٦)</sup>، وعبد الله بن صالح<sup>(٧)</sup>»<sup>(١)</sup>.

(١) آدم بن أبي إياس، أبو الحسن، واسم أبي إياس ناهيه، وقيل عبد الرحمن بن محمد مولى بني تميم، أو تميم، شك البخاري. أصله من خراسان... روى عنه البخاري في الإيمان، وغير موضع، توفي بعسقلان... سنة عشرين ومئتين.  
الصغاني، مرجع سابق، (ص ٨، ٩).

(٢) الحكم بن نافع أبو اليمان البهراني الحمصي، مولى أم سلمة، امرأة من بهراء، روى عنه البخاري نسخة كبيرة في بدء الوحي، وغير موضع... توفي بجمص... سنة اثنتين وعشرين ومئتين.

الصغاني، مرجع سابق، (ص ٤٢).

(٣) المباركفوري، مرجع سابق، (٩٦/١).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٣٧ - ٣٣٣٨).

(٥) عثمان بن صالح بن صفوان، مولى آل قيس بن أبي العاص، أبو يحيى السهمي المصري، ... روى عنه البخاري في الأحكام، وانشقاق القمر، وغير موضع، توفي في شهر الله المحرم سنة تسع عشرة ومئتين.

الصغاني، مرجع سابق، (ص ٧٧).

(٦) سعيد بن الحكم بن محمد بن أبي مريم، أبو محمد الجمحي المكي المصري، روى عنه البخاري في العلم وغير موضع... توفي سنة أربع وعشرين ومئتين.

الصغاني، مرجع سابق (ص ٥٠، ٥١).

(٧) عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي الكوفي المقرئ، روى عنه البخاري في ابتداء الجامع الصحيح وغير موضع... توفي سنة إحدى عشرة ومئتين.



---

=  
الصغاني، مرجع سابق، (ص ٦١).  
(١) الشيخ، مرجع سابق، (ص ١٧٥).

## المبحث الثالث

### نتائج رحلات الإمام البخاري

- ١- تعلم رحمه الله من فقهاء مرو ونيسابور وبلخ، وأخذ عنهم كما أفاد أصحاب الحديث واستفاد منهم.
  - ٢- أخذ رحمه الله عن علماء مكة المكرمة ثم المدينة النبوية التي بدأ يؤلف فيها كتابه (التاريخ).
  - ٣- أخذ رحمه الله عن علماء العراق، ثم أخذ من أصحاب الحديث وأخذوا عنه، فقد سبقه ذكره إلى هناك قبل وصوله، بل انقاد إليه أهل العلم في المعرفة وأصبحوا يرجعون له كلما أشكل عليهم أمر، ثم إنه رحمه الله اجتاز بجدارة فائقة الامتحان الذي أعده له أصحاب الحديث، مما يدل على مكانته العلمية، ورفعة قدره عندهم.
  - ٤- تنقل رحمه الله بين مدن شتى، وأخذ عن علماء كل بلد زاره، ولا بد أنه تعرف على طباعهم، وثقافتهم، وأجناسهم.
  - ٥- كتب رحمه الله عن أكثر من ألف رجل، فتعرف على الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة، يقول رحمه الله: «لقيت أكثر من ألف رجل: أهل الحجاز والعراق والشام ومصر، لقيتهم كرات، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، وأهل البصرة أربع مرات، وبالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي خراسان»<sup>(١)</sup>، ويقول رحمه الله: «أحفظ مئة ألف حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح»<sup>(٢)</sup>. لذلك أخرج رحمه الله للأمة من بعده كتابه الصحيح، الذي تحرى فيه الدقة المتناهية في وضع أحاديث، يقول رحمه الله: «ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين. ويقول رحمه الله: «صنفت الصحيح في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى»<sup>(٣)</sup>.
- ومما قيل في صحيح البخاري رحمه الله:
- «صحيح البخاري لو أنصفوه هو الفرق بين الهدى والعمى  
أسانيد مثل نجوم السماء به قام ميزان دين الرسول  
حجاب من النار لا شك فيه  
لما خط إلا بماء الذهب هو السد بين الفتى والعطب  
أمام متون كمثل الشهب ودان به العجم قبل العرب  
تميز بين الرضى والغضب»<sup>(٤)</sup>

- ٦- أصبح الإمام رحمه الله علماً من أعلام الجرح والتعديل، يدل على ذلك مؤلفاته التي منها: (الجامع الصحيح)، و(الضعفاء)، و(التاريخ الكبير)، فقد تعرف على أحوال الرواة، ثم صنفهم.
- ٧- لم يخلو صحيح الإمام البخاري رحمه الله من أحكام فقهية استنبطها من الآيات والأحاديث، فهو لم يكن محدثاً فقط، بل كان فقيهاً مجتهداً. يقول فضيلة الشيخ علي جمعة: «وأما عن مذهبه فقد تنازع مذهب الأئمة الأربعة، وأدخله ابن السبكي في رجال الشافعية، وترجمه في طبقاتهم، ولكن من أمعن النظر في الصحيح نفسه وما اشتمل عليه من المسائل يفهم منه أنه كان (مجتهداً مطلقاً) غير مقلد أصلاً، فإن أسلوبه ظاهر للعيان، أنه يقيم الحجة تأييداً لمذهبه، ولكن لشدة ورعه إذا وافق رأيه قول أحد الأئمة فإنه ينسبه للقاتل، وإن كان هو رأيه أيضاً؛ محافظة لحقوق السابقين، لكي لا يفتح باباً ينكر فيه الخلف حق

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٢٨).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٣٠).

(٣) المرجع السابق، (ص ٣٣٢٧).

(٤) المرجع السابق، (ص ٣٣٤٣).

السلف الكرام المؤسسين»(١).

بعض المبادئ التي كان الإمام البخاري رحمه الله يتحلى بها:

## ٧- التقوى والورع:

عُرف الإمام البخاري رحمه الله بتقواه الله تعالى، يقول الذهبي: «قال الحاكم: حدثنا محمد بن خالد المطوعي، حدثنا مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة»(٢).

ويذكر الذهبي عن محمد بن أبي حاتم أنه قال: «سئل عبد الله بن عبد الرحمن عن حديث محمد بن كعب: لا يكذب الكاذب إلا من مهانة نفسه عليه، وقيل له: محمد يزعم أن هذا صحيح، فقال: محمد أبصر مني، لأن همه النظر في الحديث، وأنا مشغول مريض، ثم قال: محمد أكيس خلق الله، إنه عقل عن الله ما أمره به ونهى عنه في كتابه، وعلى لسانه نبيه، إذا قرأ محمد القرآن، شغل قلبه وبصره وسمعه، وتفكر في أمثاله وعرف حلاله وحرامه»(٣).

كما عُرف رحمه الله بورعه، ومن ذلك ما ذكره الذهبي عن محمد بن أبي حاتم قال: «ما توليت شراء شيء ولا بيعه قط، فقلت له كيف، وقد أحل الله البيع؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط، فخشيت إذا توليت أن أستوي بغيري.

قلت: فمن كان يتولى أمرك في أسفارك ومبايعتك؟

قال: كنت أكفي ذلك»(٤).

ومن تقواه رحمه الله أنه كان لا يغتاب أحداً أبداً، وكان يقول: «ما اغتبت أحداً قط، منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها»(٥).

ويقول رحمه الله: «أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أنني اغتبت أحداً»(٦).  
ويعلق الذهبي على هذا بقوله: «صدق رحمه الله، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وقل أن يقول: فلان كذاب، أو كان يضع الحديث، حتى إنه قال: إذا قلت فلان

(١) جمعة، علي، (٢٠٠٧م)، الإمام البخاري وجامعه الصحيح، دار الفاروق، مصر، (ص ٢٩).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٣٥).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٣٢).

(٤) المرجع السابق، (٣/٣٣٢٧).

(٥) المرجع السابق، (٣/٣٣٣٦).

(٦) المرجع السابق، (٣/٣٣٣٥).

في حديثه نظر فهو متهم واه، وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني أغتبت أحداً، وهذا والله غاية الورث»<sup>(١)</sup>.

#### ٨- الصبر:

كان رحمه الله كثير الصبر، فقد صبر على ما لحقه من وصب ونصب أثناء رحلاته وتنقلاته بين البلدان، فقد تجشم الصعاب وتحمل المشاق، طالباً حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم إنه صبر على فراق أهله ووطنه، ففضى السنين الطوال بعيداً عنهم، وعزاء نفسه أنه مع النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله، فقد كان يطيب نفوس طلابه بهذا.

يذكر ذلك الذهبي عن محمد بن أبي حاتم قال: «أملئ يوماً ما علي حديثاً كثيراً فخاف ملالي، فقال: طب نفساً، فإن أهل الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم، وأنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقلت: ليس شيء من هذا، يرحمك الله إلا وأنا أرى الحظ لنفسي فيه»<sup>(٢)</sup>.

#### ٩- كريم السجايا، كثير العطاء، حسن التجاوز:

يقول عنه وراقه ابن أبي حاتم: «كانت له قطعة أرض يكرها كل سنة بسبع مئة درهم، فكان ذلك المكتري ربما حمل منها إلى أبي عبد الله قنائة أو قناتين، لأن أبا عبد الله كان معجباً بالقنائة النضيج، وكان يؤثره على البطيخ أحياناً، فكان يهب للرجل مئة درهم كل سنة لحمله القنائة إليه أحياناً. ويضيف ابن أبي حاتم: «كان يتصدق بالكثير، يأخذ بيد صاحب الحاجة من أهل الحديث فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين، وأقل وأكثر، من غير أن يستشعر بذلك أحد، وكان لا يفارقه كيسه ورأيته ناول رجلاً مراراً صرة فيها ثلاث مئة درهم، وذلك أن الرجل أخبرني بعدد ما كان فيها من بعد، فأراد أن يدعو، فقال له أبو عبد الله: ارفق واشتغل بحديث آخر كيلا يعلم بذلك أحد»<sup>(٣)</sup>.

ويضيف: «سمعت عبد الله بن محمد الصارفي يقول: كنت عند أبي عبد الله في منزله، فجاءته جارية وأرادت دخول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه، فقال لها: كيف تمشين؟

قالت: إن لم يكن طريق كيف أمشي؟ فبسط يديه وقال لها: اذهبي فقد

(١) المرجع السابق، (٣/٣٣٢٥).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣/٣٣٣٧).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٣٨).

أعتقتك.

قال: فقل له فيما بعد: يا أبا عبد الله أغضبتك الجارية؟ قال: إن كانت أغضبتني فإني أَرْضِيْتُ نَفْسِي بِمَا فَعَلْتُ»(١).

١٠ - كان من أدب الإمام البخاري رحمه الله في سفره لطلب العلم أنه لا يشغله عن الطلب شاغل، ولا يلهيه عنه لاه.

يقول عنه وراقه محمد بن أبي حاتم: «كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القبط أحياناً، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة، فيوري ناراً ويسرج، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها...»

ويقول ابن أبي حاتم: «سمعت هانئ بن النضر يقول: كنا عند محمد بن يوسف يعني الفريابي بالشام وكنا نتنزه فعل الشباب في أكل الفرساد ونحوه، وكان محمد بن إسماعيل معنا، وكان لا يزاحمنا في شيء مما نحن فيه ويكب على العلم»(٢).

لأنه لم يرحل رحمه الله إلا من عظيم حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ورغبته في اتباع سنته، يقول ابن أبي حاتم: «سمعت النجم بن الفضيل يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، كأنه يمشي، ومحمد بن إسماعيل يمشي خلفه، فكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع محمد بن إسماعيل قدمه في المكان الذي رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه»(٣).

يقول المظاهري: «إن ما رزقه الإمام البخاري من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفاني في تحصيل الحديث، هو الذي سهل له أن يقطع المفاوز والفقار في سبيل العلم، كأنه أشرب في دمه وقلبه الحديث، عاش به، وعاش فيه، لذلك تحمل الجوع والفقر في طلبه»(٤).



(١) المرجع السابق، (٣/٣٣٣٩).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٣/٣٣٢٧).

(٣) المرجع السابق، (٣/٣٣٢٧).

(٤) المظاهري، تقي الدين الندوي، (١٤٠٨هـ)، الإمام البخاري، إمام الحفاظ والمحدثين، (ط٣)،

دار القلم، دمشق، (ص٦٢).

## الفصل السابع

### بعض التطبيقات التربوية لرحلات الأئمة الثلاثة

لقد عُرف علماء المسلمين قديماً بحبهم للرحلة في طلب العلم والإسناد العالي، ومنهم الأئمة الثلاثة محمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل ومحمد بن إسماعيل البخاري رحمهم الله تعالى، فقد كانوا يرحلون من بلد إلى بلد لطلب حديث أو حديثين، مع طول الشقة وعظم المشقة.

لقد كانوا رحمهم الله تعالى خير مثال لطلاب العلم في عصرهم، وليعلم طلاب العلم أن علوم الإسلام العظيمة دونت بظمأ الهواجر وبسهر الليالي على السراج الذي لا يكاد يضيء لنفسه، ومع العري والجوع وبيع الثياب وانقطاع النفقة في بلد الاغتراب، وبالرحلة المتواصلة المتلاحقة، والمشاق الناصبة المتعاقبة، والصبر على أهوال الأسفار، وملاقة الخطوب والأخطار والتيه في البيد، مع تقلب مهول في الحياة السياسية.

فما أثر ذلك في أمانة علم أهلها، وما نقص من متانة دينهم، وما أخضعتهم الضائقة الخائفة مع قوتها إلى قبول الذل والهوان.

إن هؤلاء الأئمة رحمهم الله تعالى تعالى خير مثال لطلاب العلم في عصرهم، فقد التّموا بمبادئ تربوية قيمة حرياً بطلاب العلم اليوم أن يلتزموا بها وأن يطبقوها في حياتهم العلمية والعملية. فهي بعد توفيق الله جل وعلا ركائز متينة ودعائم قوية ومنها:

١- إخلاص النية لله تعالى:

إن من أهم الأمور التي ينبغي على طالب العلم الاهتمام بها وأن يوليها عناية خاصة هي إخلاص النية لله تعالى في طلبه للعلم، فلا يطلب به الجاه، أو المباهاة، فيتعرض بذلك لعقاب الله تعالى.

فقد كان كثير من السلف الصالح، ومنهم الأئمة: الشافعي وابن حنبل والبخاري رحمهم الله، يولون هذا الأمر غاية اهتمامهم. فطلبوا العلم في أوطانهم ثم رحلوا من أجله المسافات البعيدة، لم يطلبوا رياسة ولا جاهاً، ولم يسألوا به مالاً، ولم يباهوا به الأقران، بل كانوا يرحلون محتسبين أجرهم على الله تعالى.

إن من إخلاص النية لله تعالى أن ينوي طالب العلم رفع الجهل عن نفسه، وعن غيره من الأمة، فهذه منقبة عظيمة لهذا الطالب، وسيجد ثمرتها بإذن الله تعالى، ورزقه مقسوم معلوم عند الله تعالى.

٢- الحرص على طلب العلم:

ينبغي على طالب العلم أن يكون حريصاً على طلب العلم، بأن تكون همته عالية، ورغبته شديدة، وأن لا يضيع وقته في اللهو والعبث.

إن الوقت نعمة عظيمة لا ينبغي أن تُهدر، فالיום الذي يذهب لن يعود

أبدًا.

فليبادر طالب العلم شبابه وأيامه، فيستغلها خير استغلال، فلن يجد أفضل ولا أجمل من طلب العلم، كما كان يفعل كثير من علماء الأمة قديمًا ومنهم: الإمام الشافعي، وابن حنبل، والبخاري عليهم رحمة الله تعالى. فقد فنيت أعمارهم في طلب العلم، فقد كان لا يشغلهم عن الطلب شاغل، ولا يلهيهم عنه لاه، حتى إذا بلغوا من العلم مبلغًا أخذوا يعلمون الناس ما تعلموه ويلقنوه ما حفظوه.

إن طالب العلم اليوم، وإن حصل على الشهادة الجامعية يجب أن يكون مطمحة بعيدًا، فيعلم ويتعلم، ولا يسلم نفسه للعوائق، ولا ينخدع بكثرة التسويف.

٣- الإلتزام بالآداب الفاضلة:

لا بد لطالب العلم أن يكون ملتزمًا بالآداب الفاضلة، والصفات النبيلة، التي حثَّ عليها الدين الإسلامي، والتي هي عنوان المسلم الحق، وسمته التي لا تنفك عنه.

فيكون تقيًا، صادقًا، مخلصًا، كريمًا، حسنًا في معاملته مع جميع الناس، ويخصنيك معلميه، فيوليهم تقديرًا خاصًا، واحترامًا كبيرًا.

وليتأمل طالب العلم طريقة الإمام الشافعي رحمه الله في تعامله مع شيوخه، كيف كان يولي كل واحد منهم احترامًا وتقديرًا، فقد كان مع شيخه الإمام مالك بن أنس رحمه الله شديد الحياء مهيبًا له، وكذلك مع شيخه محمد بن الحسن بالعراق، مع أنه كان يناظره، إلا أنه كان يحترمه ويجلُّه.

والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان يجلس لجميع شيوخه، فقد كان لا يتكلم عند شيخه وكيع بن الجراح إجلالًا له واحترامًا، ويجلس شيخه الإمام الشافعي رحمه الله، وكان يحرص على لقاءه كلما ذهب إلى مكة المكرمة، بل كان يدعو له في السحر.

وهذا الإمام البخاري رحمه الله كان موصوفًا بأدبه وشدة حياءه مع شيوخه، حتى قيل عنه أنه لم يرى مثله في الحياء. ولا بد أن حياءه هذا لم يمنعه من طلب العلم وأخذه، بل كان نابغًا من احترامه لشيوخه في مجالسهم.

كما ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بالصبر، فلولا صبر الزارع على زرعه ما حصد، ولولا صبر طالب العلم على دروسه ومعلميه ما نجح وتعلم، فلا يتخلى طالب العلم عن الصبر في جميع أمور حياته، فيصبر على كل محنة، ويصبر على كل ضيق، فالفرج قريب، واستمرار الحال من المحال.

وليتذكر طالب العلم أن الأئمة الثلاثة قد تعرضوا للفتنة، وتجرعوا مرارة المحنة، فصبروا حتى جعل الله لهم بعد العسر يسرًا، وبعد الضيق والشدة فرجًا ومخرجًا.

كما ينبغي على طالب العلم أن يكون شديد التواضع، محاربًا للغرور مثل

ما كان عليه هؤلاء الأئمة من لين الجانب، فقد كانوا يجالسون أصحاب العلم، وربما اجتمعوا معهم على مائدة واحدة. إن مما يحتاجه طلاب العلم اليوم، التواضع ولين الجانب، يقول بكار: «هن المهم جداً أن يدرك طلابنا أن ما حصلوه من معرفة ضئيل جداً بالنسبة إلى ما هو موجود، وبالنسبة لما يجب أن يعرفوه أيضاً، وأن طريق النضج المعرفي طريق طويل وشاق، وأن الغرور مفتاح لشورور كثيرة... الجيل الجديد مطالب في الوقت نفسه أن يدرك أن التقدم العلمي الهائل مآكته أدوات ومفاهيمات للتحسن والتفوق لم تكن موجودة لدى الأجيال السابقة، وقد بقي عليه أن يعرف كيف يستفيد منها، وبوابة الاستفادة منها تتمثل في اعتقاد الطالب أنه صغير ولكنه ينمو، وجاهل ولكنه يتعلم، وضعيف ولكنه يشتد ويقوى.

ثقة المرء بنفسه مطلوبة حتى لا يقع في برائن الشعور بالعجز والانحسار والتهميش، ولكنه بحاجة مع هذه الثقة أيضاً إلى احترام الناس، وإدراك حدود الممكن الذي يتحرك فيه، وأن في محيطه من يمكن دائماً أن ينفتح عليه ويستفيد منه»<sup>(١)</sup>.

إن طالب العلم اليوم أحوج ما يكون إلى التمسك بأخلاق الإسلام، في زمن لوثت فيه الأفكار الهدامة صورة الإسلام الحق، وأعطت لغير المسلمين فكرة سيئة عن الإسلام وأهله، فهل من جيل يصعد بأتمته إلى عنان السماء بحسن الأخلاق، وطيب المعاملة؟

#### ٤- الحرص على اتخاذ الرفيق:

لابد لطالب العلم الذي يرغب في السفر أن يتخير له رفيقاً، يأمن معه جور الطريق، ويكون خير معين له في سفره، يعلمه إن جهله، ويذكره إن نسي، وإن احتاجه وجده، فقد كان علماء الأمة قديماً يتخذون لهم رفقة في سفرهم، هذا إن لم يرحلوا مع قوافل التجار.

فقد كانت رحلات الإمام الشافعي رحمه الله بصحبة رفقة له إلا أنه في رحلته إلى مصر تعرض لأذى قطاع الطريق فسرقوا متاعه وثيابه. وكذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان يتخذ رفيقاً له في رحلاته، فقد رحل إلى الكوفة مع أعرابي كان صديقاً له، ورحل إلى شيوخه عبد الرزاق باليمن مع رفيقه ابن معين، وعادا مع قافلة.

وهكذا الإمام البخاري رحمه الله كان يتخذ رفيقاً له في سفره، ولعل طالب العلم اليوم لا يحمل هم اتخاذ رفيق له، لاسيما وإن كان ضمن المبتعثين من قبل الدولة، فتكون رحلته أكثر تنظيماً وأقل خطراً.

#### ٥- أن تكون شخصيته العلمية بارزة:

يحرص طالب العلم أن تكون شخصيته العلمية بارزة، وطريقته في

(١) بكار، عبد الكريم (١٤٢٣هـ)، بناء الأجيال، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (ص٤٧ - ٤٨).

التحليل والاستنباط واضحة، فيجتنب التقليد ويحرص على أن يكون إنتاجه العلمي جيداً ودقيقاً.

فيحاول أن يأتي بالجديد، ويبرز المفيد، حتى تكون رحلته مفيدة، وثمرته جيدة، وليعود نفسه دائماً على الجاح، ولينهض دائماً كلما سقط، وليثابر، وليكن عمله دؤوباً.

إن طلاب العلم اليوم بحاجة ماسة إلى جرعات كبيرة من الحماس والتشجيع المستمر في ظل موجات اللهو العارمة، لينتجوا كما أنتج أسلافهم، وليتميزوا كما تميز علمائهم.

وليتأمل طلاب العلم اليوم ما أنتجه علماء الأمة قديماً، ومنهم الأئمة الثلاثة، الذين أخرجوا للأمة من بعدهم تراثاً مميزاً ورائعاً، يكون دافعاً لهم على الإنتاج والتميز.

فقد أسس الإمام الشافعي رحمه الله المذهب الشافعي وأخرج للأمة كتابه (الأم)، وأسس الإمام أحمد بن حنبل المذهب الحنبلي، وأخرج للأمة ثروة علمية ثمينة.

وتميز الإمام البخاري رحمه الله في جمعه لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي جرح الرجال وتعديلهم، وأخرج للأمة صحيحه الذي يعتبر أصح كتب الحديث الشريف.

إن شمعة الأمة لن تنطفئ في أن يخرج للأمة أئمة علم وهدى ينتجوا كما أنتج أسلافهم، ويتميزوا كما تميزوا، ويبدعوا كما أبدعوا.

#### ٦- الالتزام بمبادئ الحوار والمناظرة:

قد يتعرض طالب العلم أثناء إقامته خارج بلده إلى من يعارضه في أفكاره ويخالفه في رأيه، فعليه في هذه الحالة أن ينتهج نهج سلف الأمة في مناظرتهم لغيرهم.

فهذا الإمام الشافعي رحمه الله ناظر أصحاب الرأي بالعراق، والإمام أحمد بن حنبل ناظر المعتزلة في خلق القرآن، فكانا يتأديبان بأداب الحوار والمناظرة ومنها:

١- الغاية من الحوار هي الوصول إلى الحق وليس الانتصار للرأي.

٢- العناية بالعلم والتأصيل وعرض الحجج، مع الإعراض عن السفاهة والبذاءة.

٣- لا يناظر أو يحاور إلا العالم، أو طالب العلم، أما الجاهل فليس من أهل المناظرة، كما لا يناظر من لم تكتمل أهليته العلمية من أنصاف المتعلمين أو غير المتخصصين، فالطبيب لا يحاور في المسائل الفقهية، واللغوي لا يحاور في المسائل الطبية.

٤- قطع المناظرة إلى وصلت إلى طريق مسدود.

٥- عدم الخروج عن قضية النقاش، فقد يُعد نوعاً من الهروب وضعف المواجهة.

٦- إقامة الدليل وحده لا يكفي، بل لابد من الإجابة على دليل الخصم.

٧- توجيه النقد إلى القول لا إلى القائل.

٧- احترام مبدأ العمل:

ينبغي على طالب العلم أن يتزود في رحلته بالمال، إكراماً لنفسه وإغناءً لها عن المسألة، فإن نفذت نقوده فالعمل الحلال خير من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه.

فهذا الإمام الشافعي رحمه الله لجأ إلى العمل عندما ضاقت به السبل، وانقطعت به الحيل، واحتاج إلى المال، فتولى قضاء نجران، ولم يمنعه هذا من طلب العلم.

والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عمل تككاً للسرراويل عندما نفذت نفقته، فباعها واستفاد بثمنها، واشتغل حملاً في قافلة عاد معها من اليمن.

والإمام البخاري رحمه الله كانت له تجارة لم يباشرها بنفسه من شدة ورعه رحمه الله، فكان ينفق على نفسه ويتصدق.

إن احترام مبدأ العمل، والاستغناء عن المسألة، ظاهرة حضارية رائعة تدل على الرقي والتقدم.

## الخاتمة

بعد استكمال هذا البحث، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، يَحْسُنُ بالباحث أن يُنبه إلى أبرز النتائج التي ظهرت له من خلاله، ومن أهمها:

١- أهمية العلم وفضله وأن طلبه كما ورد في توجيهات الشريعة الإسلامية فريضة على كل مسلم ومسلمة.

٢- من منطلق أهمية العلم وفضله قام هؤلاء الأئمة الذين تم ذكرهم بتكريس حياتهم في القراءة والبحث والتأليف والتعلم على أيدي من سبقهم، وتعليم طلاب العلم مستخدمين في ذلك كافة الوسائل والطرق للتوصل إلى الحقيقة وإلى المعلومات التي يبحثون عنها.

٣- لم يتوقف جهد هؤلاء الأئمة في طلب العلم على ما هو موجود في متناول أيديهم وفي أماكن إقامتهم، بل قاموا بالترحال إلى البلدان المختلفة لمقابلة العلماء والبحث عن المصادر والمراجع، مع ما في ذلك من مخاطر وجهد جسدي ومطالب مالية، كل ذلك ابتغاء لمرضات الله عز وجل في طلب العلم وتعليمه للآخرين.

٤- اتضح من الدراسة أن العصر العباسي الأول والثاني شهد حركة علمية نشطة في طلب العلم ونشره، خاصة ما قام به الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل والإمام البخاري.

٥- ولقد اتضح من الجهد الذي قام به أئمة الحديث أن الرحلة في طلب العلم تعتبر وسيلة من وسائل التعليم الذاتي الذي تنادي به بعض المؤسسات التربوية حالياً؛ حيث أن هؤلاء الأئمة رحمهم الله رحلوا من بلدانهم معتمدين على الله تعالى ثم على أنفسهم في جمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

٦- تولد لدى هؤلاء الأئمة حسٌ نقديٌّ للأمر ومنهجية علمية في النقد والتقويم؛ حيث أصبحوا أئمة في جرح الرجال وتعديلهم.

٧- إن الرحلة في طلب العلم على الصفة التي قام بها هؤلاء الأئمة هي من مزايا وخصائص الأمة المحمدية.

٨- إن نيل المقامات العلمية الرفيعة لا يقتصر على جنس دون جنس، ولا بلد دون بلد، فقد رحل الإمام الشافعي المطلبي من مكة المكرمة، والإمام أحمد بن حنبل من بغداد، والإمام البخاري من بخارى، ملتزمين بأداب الرحلة التي يجب على طالب العلم الالتزام بها.

٩- أخرج هؤلاء الأئمة للأجيال من بعدهم مؤلفات عظيمة ومصنفات جلييلة، توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل، يمتد إليها الأفق بعيداً وراء كل مطمح.

١٠- ولد تم التوصل إلى أن هذه المؤلفات لم تكتب تحت ظلال الأشجار ولا بجوار الأنهار، وإنما كتبت بعد سنوات طويلة من الجمع والتحصيل والانتقال من بلد إلى بلد آخر.

- ١١- تميز هؤلاء الأئمة بالدقة والتحري؛ حيث ميزوا الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة والموضوعة في زمن كثير فيه الوضّاعون والمدلسون.
- ١٢- أخرج هؤلاء الأئمة للأجيال من بعدهم طريقة التوثيق الصحيح؛ حيث كانوا يرجعون دائماً إلى الأصل.
- ١٣- أظهرت الرحلة في طلب العلم كوامن الأخلاق الفاضلة، والصفات النبيلة، التي كان هؤلاء الأئمة يتحلون بها، كالتقوى، والورع، واتباع السنة، والصبر، والكرم، والهمة العالية.
- ١٤- تعرف هؤلاء الأئمة من خلال رحلاتهم على أنماط الشعوب وثقافتهم وعاداتهم، وتقاليدهم كما زادهم علماً وخبرة في الجوانب الاجتماعية.
- ١٥- أتقن هؤلاء الأئمة فن الحوار والمناظرة، والتزموا بأدابها، فأعطوا للأجيال من بعدهم طريقة مثلى للحوار والمناظرة.
- ١٦- هتم هؤلاء الأئمة بالعمل، وجعلوه مصدراً لكسب الرزق، فجعلوه عوناً لهم على طلب العلم.
- ١٧- أصر هؤلاء الأئمة على الحق المؤيد لديهم بالدليل من الكتاب والسنة فلم يتخلوا عنه.
- ١٨- الرحلة في طلب العلم مبدأ مستمر لدى طلاب العلم عبر العصور وتعاقب الأجيال.
- ١٩- ساهمت الرحلة في طلب العلم في بناء شخصية هؤلاء الأئمة.
- ٢٠- لم يتأثر هؤلاء الأئمة بالأحداث السياسية المتقلبة ولم تشغلهم عن طلب العلم والرحلة من أجله.

التوصيات:

- ١- من خلال النتائج السابقة يوصي الباحث طلاب العلم بما يلي:
  - ١- تتبع سير السلف الصالح من علماء الأمة والتعرف على أحوالهم وطريقة طلبهم للعلم.
  - ٢- الالتزام بمبادئ الإسلام السمحة والتخلق بالأخلاق الفاضلة والصفات النبيلة.
  - ٣- الاهتمام بطلب العلم وإدراك أهميته ثم العمل به مع إخلاص النية لله تعالى.
  - ٤- عمل بحوث علمية تتناول رحلات طلب العلم قديماً، مثل رحلات الوفود إلى النبي صلى الله عليه وسلم في طلب العلم، ورحلات التابعين وتابعيهم من علماء الأمة الأجلاء على مر العصور.
  - ٥- على القائمين على مناهج التعليم أن يسلطوا الضوء على سير العلماء وطلبهم للعلم لما في ذلك من نور في تنشئة الناشئة على الهمة العالية ومعالي الأمور.
- والمقترحات:
- يقترح الباحث على طلاب العلم عمل بحوث تربوية تتناول موضوع الرحلة في طلب العلم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وعصر الخلفاء الراشدين، وعصر بني أمية.

---

الملاحق

ملحق (١)

ملحق (٢)

ملحق (٣)

ملحق (٤)

# الفهارس

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣- المصادر والمراجع.

## فهرس الآيات

الآية ورقمها

الصفحة

سورة البقرة

٩٦ ..... [١٦٤] ( إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ... )

١٠٠ ..... [١٩٦] ( وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ )

سورة آل عمران

٥٥ ..... [١٤] ( زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ ... )

٣ ..... [١٨] ( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ... )

٢٤ ..... [٢٦] ( قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ )

١١٠ ..... [٦٤] ( يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ... )

٩٩ ..... [٩٧] ( وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ... )

١٠٣ ..... [١٥٩] ( فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ )

٩٥ ..... [٢٠٠] ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ )

سورة النساء

٩٠ ..... [١٠٠] ( وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ... )

٨٠ ..... [١١٣] ( وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ... )

٩١ ..... [٩٧] ( إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَلْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ... )

سورة المائدة

٨٠ ..... [١١٠] ( إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ يَا مَرْيَمُ إِنَّكِ عَلَىٰ غَفْوَةٍ )

سورة الأنعام

٢١٠ ..... [١٠٢] ( خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ )

سورة الأنفال

١٠٣ ..... [٤٦] ( وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ )

١١٩

سورة التوبة

- ٩٤ ..... [٤١] ( أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... )
- ٩٣ ..... [١١١] ( إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثِهِمْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ... )
- ١٢١ ..... [١١٢] ( أَلَسْتَبْخُونِ )
- ١٢١ ..... [١٢٢] ( فَتَوَلَّوْا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ... )
- سورة يوسف
- ٧٩ ..... [٢٢] ( وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ )
- ٨٨ ..... [٦٢] ( وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ )
- ١٥١ ..... [٩٠] ( إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ )
- ١٠١ ..... [١٠٨] ( قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ... )
- سورة النحل
- ٨١ ..... [٤٣] ( فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ )
- سورة الإسراء
- ١٢٦ ..... [١] ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ... )
- ٥٨ ..... [٢٤، ٢٣] ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... )
- ١٠٤
- سورة الكهف
- ٧٢ ..... [٣٤] ( أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا )
- سورة طه
- ٨٠، ٣ ..... [١١٤] ( وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا )
- سورة الأنبياء
- ٨٠ ..... [٧٩، ٧٨] ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ ... )
- سورة الشعراء
- ١١١ ..... [٨٠] ( وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ )
- سورة القصص
- ٨٠ ..... [١٤] ( وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ )
- سورة العنكبوت
- ٨١ ..... [٤٩] ( بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ يُنَنِّتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ... )

سورة فاطر

..... [٢٨] ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) ( ٢٨ ) ..... ٨٢ ، ٢

سورة فصلت

..... [٣٣] ( وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ... ) ( ٣٣ ) ..... ١٠١

سورة الشورى

..... [١١] ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ) ( ١١ ) ..... ٢١٠

سورة الزخرف

..... [٥] ( إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ) ( ٥ ) ..... ٢١

سورة الأحقاف

..... [٣٥] ( فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ) ( ٣٥ ) ..... ١٠٣

سورة محمد

..... [٢٢] ( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ) ( ٢٢ ) ..... ١٠٥

..... [٢٣ ، ٢٢] ( فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ... ) ( ٢٣ ، ٢٢ ) ..... ١٠٥

سورة الحجرات

..... [٩ ، ١٠] ( وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ... ) ( ٩ ، ١٠ ) ..... ١٠٦

سورة الذاريات

..... [٥٠] ( فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ) ( ٥٠ ) ..... ٩٣

سورة المجادلة

..... [١١] ( يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ) ( ١١ ) ..... ٨١

سورة الصف

..... [١٠ ، ١١] ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى بَيْعَةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ) ( ١٠ ، ١١ ) ..... ٩٤

سورة الملك

..... [١٥] ( هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ... ) ( ١٥ ) ..... ١١٢

سورة العلق

..... [١ - ٥] ( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ... ) ( ١ - ٥ ) ..... ٧٩

سورة الفيل

..... [٥] ( فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ) ( ٥ ) ..... ٢١٢

سورة قريش

٨٨ ..... [٢] (رِحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ)



## فهرس الأحاديث

الصفحة	طـرف الحديث
٢١٣	أترون ما الإيمان؟
١٢٧	أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس...
١٢٨	احفظوه وأخبروه من وراءكم
٨٦	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، إلا من صدقة جارية، أو علم ينفع..
٧٠	ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله تعالى...
١٠٥	أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبك، ثم أدناك أدناك
١١٣	التجار يبعثون يوم القيامة فجّاراً، إلا من اتقى الله وبر وصدق
١٠٥	إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك...
١١٦	إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله...
١١٩	إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكبير...
١٢٥	بينما موسى في ملاً من بني إسرائيل، جاءه رجل، فقال: هل تعلم أحدًا أعلم...
٩٥	رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد
...	...
١١٣	حم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى
٢١٣، ١٢٨	شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإتياء الزكاة...
٢٠٤	العارية مؤداة
١٠٠	العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة
١١٤	إن تاجر يداين الناس فإذا رأى معسراً قال لفتياته: تجاوزوا عنه...
١٣٠	كيف وقد قيل؟
٩٢	لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس
...	...
٩٢	لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا
٩٤	لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها
١٠٧	س بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نما خيراً

الصفحة	طـرف الحديث
١٢٩	ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد...
١٢٨	مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى
١٢٨	من القوم؟
١٢٨	من الوفد؟
٨٧	من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا..
٩٩	من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه
٨٢	ن سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله عز وجل به طريقاً...
٣	من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة...
٨٤	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي...
٨٥	نذر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرب حامل فقه...
١١١	نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، أو دواء...
١٢٨	هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟
١٢٩	يا أهل اليمن اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم
١٢٩	يا بني تميم، أبشروا
١٠٢	يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف..
١١٣	يا معشر التجار
١١٣	يا معشر التجارة إن الشيطان والإثم يحضران البيع، فشوبوا بيعكم بالصدقة
١٢٩	حشر الله العباد أو الناس عراة غرلاً بهم...



## المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.  
إبراهيم مصطفى، وآخرون، (١٣٩٢هـ)، المعجم الوسيط، (ط٢)، المكتبة الإسلامية، تركيا.
- ٢- الأثير الجزري، مجد الدين المبارك بن محمد، (١٤١٠هـ)، مناقب الإمام الشافعي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.
- ٣- الأثير، علي بن محمد الشيباني، (د.ت)، الكامل في التاريخ، (د.ط)، بيت الأفكار الدولية، لبنان.
- ٤- أبو أصيبعة، أحمد بن القاسم (١٤١٩هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥- الأصفهاني، أبو نعيم، (١٤١٩هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تهذيب صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٦- إمام، محمد أبو محمد (١٤٠٨هـ)، نظم الحكم في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.
- ٧- أمين، أحمد (١٤٢٧هـ)، ضحى الإسلام، المكتبة العصرية، بيروت.
- ٨- أمين، أحمد (١٤٢٧هـ)، ظهر الإسلام، المكتبة العصرية، بيروت.
- ٩- الأنصاري، صالح بن سعد، (١٤١٧هـ)، السفر بين الرحلة والإغاثة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- ١٠- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، (١٤٢٥هـ)، شرف العلم وآداب أهله، دار الضياء، طنطا.
- ١١- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤١٩هـ)، صحيح البخاري، (ط٢)، مكتبة دار السلام، الرياض.
- ١٢- البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٦هـ)، الأدب المفرد، (د.ط)، دار الحديث، القاهرة.
- ١٣- بكار، عبد الكريم (١٤٢٣هـ)، بناء الأجيال، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- ١٤- التركي، عبد الله عبد المحسن (١٣٩٧هـ)، أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل، (ط٢)، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- ١٥- الترمذي، محمد بن عيسى، (١٤٢٠هـ)، جامع الترمذي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.
- ١٦- الجزائري، أبو بكر جابر، (١٤٠٦هـ)، العلم والعلماء، (ط٢)، دار الشروق، جدة.
- ١٧- الجزائري، أبو بكر جابر، (١٤١٩هـ)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة أضواء المنار، جدة.

- ١٨- جزولي، أزمي سامعون، (١٤١٧هـ)، الهجرة في القرآن الكريم، مكتبة الرشد.
- ١٩- الجليل، عبد العزيز بن ناصر، (١٤٢٦هـ)، أفلا تتفكرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٢٠- جماعة، محمد بن إبراهيم (١٤٢٤هـ)، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، دار الضياء، طنطا.
- ٢١- جمعان أحمد الديسي، الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤١٥هـ.
- ٢٢- جمعة، علي، (٢٠٠٧م)، الإمام البخاري وجامعه الصحيح، دار الفاروق، مصر.
- ٢٣- الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٢٤هـ)، تهذيب مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تهذيب: عبد القادر الغامدي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة.
- ٢٤- الجوزي، عبد الرحمن، (١٤٣٠هـ)، صيد الخاطر، دار الغد الجديد، القاهرة.
- ٢٥- حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (١٤٠٦هـ)، توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، دار الكتب العلمية، لبنان.
- ٢٦- حزم الأندلسي، أحمد بن سعيد، (١٤٢٨هـ)، جمهرة أنساب العرب، (ط٤)، دار الكتب العلمية.
- ٢٧- حسن، إبراهيم (١٤١٦هـ)، تاريخ الإسلام، (ط٤)، دار الجيل، بيروت.
- ٢٨- الحسن، علي بن محمد، الأحمد، عمر بن أحمد، (١٤٢٥هـ)، الملتقط في دفع ما ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله من الكذب والغلط، دار أطلس الخضراء، الرياض.
- ٢٩- الحسين، قصي، (٢٠٠٥م)، موسوعة الحضارة العربية، العصر العباسي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ٣٠- حسين، غازي (١٤٠٤هـ)، مناهج البحث، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- ٣١- الحموي، ياقوت بن عبد الله (١٤٢٠هـ)، معجم الأديباء، مؤسسة المعارف، بيروت.
- ٣٢- الحموي، ياقوت بن عبد الله، (د.ت)، معجم البلدان، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٣٣- حنبل، صالح بن أحمد، (١٤١٥هـ)، سيرة الإمام أحمد بن حنبل، (ط٣)، دار السلف للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٣٤- الحنبلي، الحافظ ابن رجب، (١٤٢٤هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، (د.ط)، دار الحديث، القاهرة.
- ٣٥- الخازن، وليم (١٩٩٢م)، الحضارة العباسية، (ط٢)، دار المشرق، بيروت.

- ٣٦- الخصري، محمد (١٤٢٢هـ)، الدولة العباسية، (ط٦)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت .
- ٣٧- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، (١٤٢٥هـ)، الرحلة في طلب الحديث، (ط٢)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٨- خلدون، عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (د.ت)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (د.ط)، بيت الأفكار الدولية، لبنان .
- ٣٩- خلكان، أحمد بن محمد (١٤١٧هـ)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٠- أبو خليل، شوقي، (١٤٢٣هـ)، أطلس السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق.
- ٤١- الديبسي، جمعان أحمد، (١٤١٥هـ)، الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة .
- ٤٢- الدقر، عبد الغني، (١٤١٧هـ)، الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر، (ط٦)، دار القلم، دمشق.
- ٤٣- دنيبات، عوض عبد الكريم (١٤٢٨هـ)، المختار من تاريخ العلوم عند العرب، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن.
- ٤٤- دودين، ماجه، (٢٠٠٥م)، الإسراء والمعراج، (ط٢)، دار الإسراء للنشر والتوزيع، الأردن.
- ٤٥- الدومي، أحمد عبد الجواب، (١٤٢٥هـ)، أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا، المكتبة العصرية، بيروت.
- ٤٦- دياب، مفتاح محمد (١٤٢٤هـ)، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، دار قتيبية، دمشق .
- ٤٧- دياب، مفتاح محمد (١٤٢٤هـ)، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، دار قتيبية، دمشق .
- ٤٨- دنيبات، عوض عبد الكريم (١٤٢٨هـ)، المختار من تاريخ العلوم عند العرب، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن .
- ٤٩- الذهبي، محمد بن أحمد، (١٤١٤هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (ط٢)، دار الكتاب العربي، حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ .
- ٥٠- الذهبي، محمد بن عثمان (٢٠٠٤م)، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، لبنان.
- ٥١- الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم (١٤٢١هـ)، آداب الشافعي ومناقبه، (ط٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ٥٢- الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم (١٤٢١هـ)، آداب الشافعي ومناقبه، (ط٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- ٥٣- الراغب الأصفهاني، الحسين، (١٤١٢هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق .
- ٥٤- الراوي، محمد، (١٤١٥هـ)، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، مكتبة العبيكان، الرياض.
- ٥٥- رسلان، محمد بن سعيد، (١٤٢٦هـ)، آفات العلم، دار ابن الهيثم، القاهرة.
- ٥٦- الزركلي، خير الدين، (٢٠٠٢م)، الأعلام، (ط٥)، دار العلم للملايين، بيروت.
- ٥٧- الزهراني، رحمة أحمد، (١٤٠٥هـ)، بلاد اليمن في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية.
- ٥٨- زهرة، محمد، (١٣٦٧هـ)، الشافعي (حياته وعصره - آراؤه وفقهه)، (ط٢)، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ٥٩- زهرة، محمد، (١٤١٨هـ)، ابن حنبل حياته وعصره - آراؤه وفقهه، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ٦٠- السباعي، مصطفى (١٤٠٧هـ)، من روائع حضارتنا، (ط٥)، المكتب الإسلامي، بيروت .
- ٦١- السجستاني، سليمان بن الأشعث، (١٤٢٧هـ)، سنن أبي داود، (ط٢)، مكتبة المعارف، الرياض.
- ٦٢- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٤٢٢هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن الجوزي، الرياض .
- ٦٣- سقا، مرهف عبد الجبار، (١٤٢٦هـ)، أخلاق التاجر وأداب التجارة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٦٤- السلوم، عبد الله بن فهد، (١٤٢٥هـ)، في ظلال التربية، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٦٥- السيوطي، جلال الدين (١٤٢٠هـ)، الأشباه والنظائر في النحو، المكتبة العصرية، بيروت.
- ٦٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (د.ت)، تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، (د.ط)، دار الفكر.
- ٦٧- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٤٢٥هـ)، تاريخ الخلفاء، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة .
- ٦٨- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٤٢٥هـ)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، (د.ط)، دار البيان العربي، القاهرة.
- ٦٩- الشعراوي، محمد متولي (١٤٢٩هـ)، الإسراء والمعراج، المكتبة العصرية، بيروت.
- ٧٠- الشكعة، د - مصطفى، (١٤٠٤هـ)، الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

- ٧١- الشكعة، مصطفى، (١٤١١هـ)، الإمام محمد بن إدريس الشافعي، (ط٣)، دار الكتاب المصري، القاهرة.
- ٧٢- شلبي، أحمد، (١٩٨٧م)، العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي، (ط٥)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- ٧٣- شهبه، محمد بن محمد، (١٤١٧هـ)، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، (ط٣)، دار القلم، دمشق.
- ٧٤- الشيخ، عبد الستار، (١٤٢٨هـ)، الإمام البخاري، دار القلم، دمشق.
- ٧٥- الصابوني، محمد علي، (١٤٠٢هـ)، صفوة التفاسير، (ط٤)، دار القرآن الكريم، بيروت.
- ٧٦- صبرة، أ. د عفاف، الحناوي، مصطفى (١٤٢٨هـ)، دراسات في الحضارة الإسلامية، (ط٤)، مكتبة الرشد، الرياض.
- ٧٧- صبري، عامر حسن، (١٤١٣هـ)، معجم شيوخ الإمام أحمد في المسند، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- ٧٨- الصعيدي، عبد الحكم عبد اللطيف، (١٤١٦هـ)، الرحلة في الإسلام، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة.
- ٧٩- الصغاني، الحسن بن محمد، (١٤١٩هـ)، كتاب فيه: أسامي شيوخ البخاري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.
- ٨٠- الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، (١٤٢٩هـ)، علوم الحديث، دار ابن عفان، القاهرة.
- ٨١- ضيف، شوقي (١٩٦٦م)، العصر العباسي الأول، (د. ط)، دار المعارف، القاهرة.
- ٨٢- ضيف، شوقي (د. ت)، الرحلات، (ط٣)، دار المعارف، القاهرة.
- ٨٣- الطبري، محمد بن جرير، (١٤٢٣هـ)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٨٤- الطبري، محمد بن جرير، (د. ت)، تاريخ الأمم والملوك، (د. ط)، بيت الأفكار الدولية، لبنان.
- ٨٥- العبادي، أحمد مختار، (د. ت)، في التاريخ العباسي والفاطمي، (د. ط)، دار النهضة العربية، بيروت.
- ٨٦- العباس، عادل عبد المنعم، (٢٠٠٦م)، خير ما يهدي للمريض، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة.
- ٨٧- أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، (١٤١٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (ط٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ٨٨- عبيدات، ذوقان (١٤٢٤هـ)، البحث العلمي، إشراقات للنشر والتوزيع، جدة.
- ٨٩- العساف، صالح بن حميد (١٤٢٤هـ)، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، (ط٣)، مكتبة العبيكان، الرياض.

- ٩٠- العسقلاني، ابن حجر، (١٤٠٧هـ)، هدي الساري مقدمة فتح الباري، دار الريان، القاهرة.
- ٩١- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (١٤٢١هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٩٢- العسكري، الحسن بن عبد الله، (١٤١٨هـ)، الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، (د. ط)، دار الفضيلة، القاهرة.
- ٩٣- العضياني، بدر بن مرزوق، (١٤٢٨هـ)، قراءة الكون بين الذكر والفكر، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- ٩٤- العفاني، السيد بن حسين، (١٤١٨هـ)، الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة، (ط٢)، مكتبة معاذ بن جبل، بني سويف.
- ٩٥- علي، سيد أمير (١٤٢١هـ)، مختصر تاريخ العرب، دار الآفاق العربية، القاهرة.
- ٩٦- العماد، حمد بن ناصر، (١٤٢٤هـ)، صفات الداعية، (ط٣)، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٩٧- آل عمرو، د - محمد بن عبد الله، الشيخ، د - محمود يوسف (١٤٢٨هـ)، أصول التربية الإسلامية، (ط٣)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- ٩٨- غدة، عبد الفتاح (١٤٢٦هـ)، صفحات من صبر العلماء على شذائد العلم والتحصيل، (ط٨)، شركة البشائر، بيروت.
- ٩٩- الغزالي، محمد بن محمد (١٤٢٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
- ١٠٠- غنيم، عثمان محمد، (١٤٢١هـ)، التخطيط أسس ومبادئ عامة، (ط٢)، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن.
- ١٠١- فارس، أحمد، (١٤٢٠هـ)، معجم مقاييس اللغة، (د. ط)، دار الجيل، بيروت.
- ١٠٢- قاضي شهبة، أحمد بن محمد، (١٤٠٧هـ)، طبقات الشافعية، (د. ط)، دار الندوة الجديدة، بيروت.
- ١٠٣- قدامة، أحمد بن عبد الرحمن، (١٤٠٣هـ)، مختصر منهاج القاصدين، (ط٣)، مكتبة دار البيان، دمشق.
- ١٠٤- القرضاوي، يوسف، (١٤٠٥هـ)، ثقافة الداعية، (ط٧)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١٠٥- القرطبي، محمد بن أحمد، (١٤٢٥هـ)، الجامع لأحكام القرآن، مكتبة الصفاء، القاهرة.
- ١٠٦- قنفذ القسنطيني، أحمد بن حسن، (١٤٢٤هـ)، شرف الطالب في أسنى المطالب، مكتبة الصحابة، الشارقة.
- ١٠٧- قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (١٤٠٧هـ)، عدة الصابرين ونخيرة الشاكرين، (ط٢)، دار ابن كثير، بيروت.
- ١٠٨- قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (١٤٢٥هـ)، مفتاح دار السعادة، (ط٢)، دار الكتاب العربي، بيروت.

- ١٠٩- كثير، إسماعيل بن عمر (١٤٢٥هـ)، البداية والنهاية، (د.ط)، دار الحديث، القاهرة (١٦٣/١٠).
- ١١٠- كثير، إسماعيل، (١٤١١هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الغد العربي، القاهرة.
- ١١١- كرزون، أنس أحمد، (١٤٢٦هـ)، آداب طالب العلم، (ط٥)، دار نور المكتبات، جدة.
- ١١٢- اللاحم، أ.د سليمان بن إبراهيم، (١٤٢٤هـ)، وجوب الهجرة في سبيل الله، دار العاصمة، الرياض.
- ١١٣- ماجه، محمد بن يزيد، (د.ت)، سنن ابن ماجه، مكتبة الرشد، الرياض.
- ١١٤- المباركفوري، عبد السلام، (١٤٢٢هـ)، سيرة الإمام البخاري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.
- ١١٥- محمد أبو محمد إمام، نظم الحكم في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ.
- ١١٦- محمود، حسن، الشريف، أحمد (١٩٩٥م)، العالم الإسلامي في العصر العباسي (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ١١٧- المسعودي، علي بن الحسين (١٤٢٥هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت.
- ١١٨- المصطاوي، عبد الرحمن، (١٤٢٦هـ)، ديوان الإمام الشافعي، (ط٣)، دار المعرفة، بيروت.
- ١١٩- مصطفى، إبراهيم، وآخرون (١٣٩٢هـ)، المعجم الوسيط، (ط٢)، المكتبة الإسلامية، تركيا.
- ١٢٠- المظاهري، د - تقي الدين الندوي، (١٤٠٨هـ)، الإمام البخاري، إمام الحفاظ والمحدثين، (ط٣)، دار القلم، دمشق.
- ١٢١- مفلح، محمد، (١٤٢٨هـ)، الآداب الشرعية والمنح المرعية دار البيان، دمشق، (١، ص٤٦٩).
- ١٢٢- المقدسي، أحمد بن عبد الهادي، (١٤١٦هـ)، مناقب الأئمة الأربعة، دار المؤيد.
- ١٢٣- المقدسي، محمد بن أحمد، (د.ت)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ط٢)، دار صادر، بيروت.
- ١٢٤- منصور، د - زياد محمد (١٤٢٣هـ)، سؤالات أبي داود للإمام أحمد بن حنبل في جرح الرواة وتعديلهم، (ط٢)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- ١٢٥- منظور، محمد بن مكرم، (٢٠٠٤م)، لسان العرب، (ط٣)، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان.
- ١٢٦- الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ، المنعقدة في رحاب جامعة أم القرى، خلال الفترة من ١٣ - ١٥/٨/١٤٢٦هـ، الرحلات وأثرها في العالم الإسلامي، (ط١).

- ١٢٧- الندوي، علي الحسني، (١٤٢٣هـ)، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار القلم، دمشق.
- ١٢٨- النديم، محمد بن إسحاق (١٤١٧هـ)، الفهرست، (ط٢)، دار المعرفة، بيروت.
- ١٢٩- النووي، محيي الدين بن شرف، (١٤٢٦هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار النفائس للطباعة والنشر، لبنان.
- ١٣٠- النووي، محيي الدين، (١٤٢٨هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (ط١٤)، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان.
- ١٣١- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (١٤٢١هـ)، صحيح مسلم، (ط٢)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.
- ١٣٢- هاشم، الحسيني عبد المجيد، (د.ب.ت)، الإمام البخاري محدثًا و فقيهاً، (د.ب.ط)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
- ١٣٣- هونكه، زيغريد (١٤١٣هـ)، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، كمال دسوقي (ط٨)، دار الجيل، بيروت.